ثقافةُ الهنُد

المجلد ٦٦، العدد ٤، أكتوبر-ديسمبر ٢٠١٥ Volume 66 No 4, Oct- December 2015

ISSN 0970-3713

ثقافة الهند

مجلة علمية ثقافية جامعة فصلية

المجلد 66، العدد 4 ، أكتوبر - ديسمبر 2015

رئيس التحرير
سيد إحسان الرحمن

مساعد التحرير
د. محمد قطب الدين

المجلس الهندي للعلاقات الثقافية

المجلس الهندي للعلاقات الثقافية منظمة حرة لوزارة الشؤون الخارجية في حكومة الهند أنشئت عام 1950م لإيجاد وتنمية العلاقات الثقافية والتفاهم المتبادل بين الهند والبلدان الأخرى، وضمن برنامج مطبوعاته ينشر المجلس، بين ما ينشر، عدة مجلات، ففي العربية "ثقافة الهند" وفي الإنكليزية "Indian Horizons" و "Africa Quarterly" وفي الفرنسية "Rencontre Avec L'Inde" وفي الأسبانية "Papeles de la India" وفي الهندية "Gagananchal" وكلها يصدر أربع مرات في السنة.

والمراسلات المتعلقة بالاشتراك في الطباعة والنشر توجه إلى:

EDITOR, Thaqafatul Hind
The Programme Director (Pub.)
Indian Council for Cultural Relations
Azad Bhavan , Indraprastha Estate
New Delhi-110002 (India)
E-mail: editor.thaqafatulhind@gmail.com

ويدفع الثمن لـ:

The Programme Director (Pub.)
Indian Council for Cultural Relations
Azad Bhavan , Indraprastha Estate
New Delhi-110002 (India)

يمكن الوصول إلى المقالات المنشورة في مجلة "ثقافة الهند" على الموقع الإلكتروني التالي:

www.iccr.gov.in/library&publications/journals

حقوق جميع المقالات المنشورة في ثقافة الهند محفوظة فلا يجوز نشرها بدون الإذن الخطي، والآراء التي تحويها المقالات هي آراء شخصية للمساهمين والكتاب ولا تعكس سياسة المجلس بالضرورة.

بدل الاشتراك للمجلات الصادرة عن المجلس:

ثمن النسخة	الاشتراك السنوي	اشتراك ثلاثة أعوام
25 روبية	100 روبية	250 روبية
10 دولارات	40 دولارا	100 دولار
4 جنيهات	16 جنيها	40 جنيها

نشرها وطبعها السيد C. راجا سيكهار، المدير العام للمجلس الهندي للعلاقات الثقافية – آزاد بهوان، نيودلهي، الهند.

ثقافة الهند

المجلد 66، العدد 4 ، أكتوبر – ديسمبر 2015

- كلمة المدير العام
- كلمة إدارة التحرير
- **إنسانية عبد الكلام تفوق كل أوصافه وألقابه** 1

  أ.د. حبيب الله خان
- **شخصية السير سيد أحمد خان كما تتجلى في الكتابات العربية** 16

  أ. د. أبو سفيان الإصلاحي

  ترجمة: أبو سعد الأعظمي
- **التفسير والفقه في ولاية بيهار** 34

  د. مستفيض الرحمن
- **سياحة أدبية في ديوان "رنين الثريا" للشاعرة كملا ثريا** 50

  محمد علي الوافي كرواتل
- **طريقة ريشي الصوفية في كشمير** 63

  أ.د. زبير أحمد الفاروقي

  ترجمة: أ.د. محمد أيوب الندوي
- **إيه بي جيه عبد الكلام في خدمة الوطن** 78

  أ.د. مجيب الرحمن
- **الملك شير شاه السوري مؤسس الإدارة المدنية في الهند** 89

  د. أختر عالم

- **إطلالة على حياة الشيخ محمد يوسف كوكن ودوره في تطوير الأدب العربي في الهند** 101

د. محمد حافظ عبد الرب مرزا

- **عبقرية مولانا أبو الكلام آزاد وإسهاماته في إثراء اللغة والترجمة العربية في الهند** 114

سيد محمد عمر فاروق

- **الثقافة الهندية كما صورها البيروني في "كتاب الهند"** 130

د. أشفاق ظفر

- **أبو الفيض فيضي وتفسيره سواطع الإلهام** 146

د. محمد مهدي حسن

- **محمد احتشام الحسن الكاندهلوي وإسهاماته في العلوم الإسلامية** 177

د. محمد أكرم نواز

- **تأثير المهاتما غاندي في شخصية نيلسون مانديلا** 190

د. محمد سليم القاسمي

<u>قصة قصيرة</u>

- **ساعي البريد** 208

رابندر ناث طاغور

ترجمة: د. محمود عالم الصديقي

كلمة المدير العام

توليتُ مؤخرا منصب المديرالعام للمجلس الهندي للعلاقات الثقافية. فأنا متحمس جدا للقيام بهذه المهمة الجديدة وأتطلع إلى قيادة الهند للتواصل الثقافي مع العالم. ويسعدني أن اغتنم هذه الفرصة لأرحب بقراءنا للمجلة "ثقافة الهند".

وفي هذا العدد نقدم إلى حضراتكم باقة منوعة من المقالات الممتعة حول الثقافة والشخصيات الهندية والبحوث والقصة القصيرة وخدمات الرئيس الأسبق الهندي.A. P. J عبد الكلام للوطن في مجال العلوم والتكنولوجيا والإدارة والتقليد الريشي الصوفي (Rishi- Sufi) إلى جانب الرحلة الروحانية.

وبهذه المناسبة أود أن أشارككم تجربتي الشخصية في زيارة مكان مقدس. وذلك بعد قضاء سنوات عديدة في السلك الدبلوماسي أخذت أمي (وهي قد توفيت الآن) إلى زيارة " تيروبتي" مدينة المعابد الشهيرة في جنوب الهند. بناء على خبرتي الدبلوماسية لم أدخر وسعا في تخطيط زيارة شاملة واتخاذ ترتيبات رائعة لها مع الاهتمام الكافي بالتفاصيل الدقيقة لضمان الراحة لها. وفي نهاية هذه الزيارة عندما استفسرت عن ما إذا أعجبتها الرحلة فأجابت بالنفي وقالت بأنني حرمتها من الزيارة الروحانية واستبدلتها برحلة ممتعة. وإنها قصدت من ذلك أن الرحلة الدينية يجب أن تتضمن نصيبها من الصعوبات والمشقات العملية لكي يشعر الإنسان بأهمية القوة

الإلهية، وهو ما يشبه الرحلة المقدسة التي تتعدى كونها رحلة عادية إلى رحلة تحتضن أبعادا إضافية من الروحانية.

هذا، وقد استضافت الهند مؤخرا قمة منتدى الهند– أفريقيا بنجاح باهر. واعترافا واحتفالا بالرغبة المتنامية في دراسة الهند عبرالعالم، جاء المؤتمرالدولي حول "علم الهنديات 2015" في نيو دلهي الذي نظمه راشتربتي بهاون (القصرالرئاسي) نيو دلهي في 2015 -23-21 . نحن نتطلع إلى تعليقاتكم و آرائكم حتى نتمكن من تحسين مستوى المجلة.

وتقبلوا مني أطيب التحيات والتمنيات بمناسبة ميلاد المسيح وحلول العام الجديد، كل عام وأنتم بألف خير.

السفير، C . راجا سيكهار
المدير العام للمجلس الهندي للعلاقات الثقافية

كلمة إدارة التحرير

يقولون إن الإنسان وليد ظروفه الاجتماعية والمادية ولكن مرة في قرون يولد إنسان يهزم ظروفه الاجتماعية غير المساعدة والمادية القاسية ومنهم كان رئيس جمهوريتنا المرحوم أبو بكر زين العابدين عبد الكلام.

أمضى أبو بكر طفولته في فقر مدقع بحيث كان والده صياد سمك صغيرا وأجبر أبو بكر على العمل لمساعدة أسرته منذ صباه عن طريق القيام بأعمال تافهة. عندما أكمل تعليمه الابتدائي بدأ يعمل كموزع صحف ولكنه لم يتوقف عن دراساته الجامعية، كانت له أمنية أن يصبح طيارا يقود طيارة عسكرية ولكن القدر كان اختاره لقيادة الشعب الهندي.

إنه استمر في دارساته الجامعية حتى حصل على درجة في الرياضيات ثم اتبعها بالدرجة في علوم الفيزياء. بعد إحرازه التخصص في هندسة علوم الفضاء بدأ أبوبكر حياته العملية كمهندس في مؤسسة تطوير الطيران التابعة للمنظمة الهندية لأبحاث وتطوير الدفاع ومن هنا سنحت له فرص اللقاء والعمل مع كبار العلماء وإظهار مواهبه الكامنة ثم إنه انتقل إلى منظمة البحوث الفضائية الهندية المعروفة بـ ISRO حيث وجد مجالا أوسع للعمل. إنه يعتبر أول عالم ومدير في ISRO لمشروع مركبة إطلاق الأقمار الصناعية وكذلك يرجع إليه فضل تطوير الصواريخ البالستية والقنابل النووية. بالاختصار استمر أبوبكر في العمل بجد وسرية في

تطوير مختلف الصواريخ وأكسبه عمله الدائب ثقة كبار رجالات الدولة الذين لبّوا جميع طلباته حتى يقوم بإنجاز أعماله. وعن إخلاصه للعمل كسب أبوبكر مجدا وهيبة في كل البلاد. نظرا لأبحاثه العلمية وإنجازاته المفيدة للوطن أظهر كبار الشخصيات في الدولة تقديرا له وساعدوه في كل ما أراد تنفيذه في مصلحة الوطن وجازوه بما استحقه من المناصب العلياء حتى أصبح المستشار العلمي الرئيس لرئيس الوزاء الهندي وسكرتارية منظمة البحوث الفضائية الهندية أي ISRO.

خلال الفترة يوليو 25، 2002 حتى 25 يوليو 2007 م ولاه الشعب الهندي منصب الرئيس (الحادي عشر) لجمهورية الهند وخلال هذه الفترة منح له الشعب الهندى لقب رئيس الشعب لمحبته للشعب ومحبتهم لهم.

تكبدت الهند خسارة علمية فادحة في وفاته في 28 يوليو 2015 عن عمر يناهز 83 عاما لن تتعوض. بالرغم أنه ليس موجودا بيننا جسمانيا الآن ولكن الشعب سوف يتذكره بامتنان لإنجازاته الخالدة إلى أبد الآبدين.

إدارة التحرير

إنسانية عبد الكلام تفوق كلَّ أوصافه وألقابه

أ.د. حبيب الله خان**

{ كان يملك قدراً كبيراً من الفضولية للإطلاع على أشياء جديدة، لذلك نرى أنه كان كثير المطالعة في كلّ ميادين المعرفة من العلوم والآداب والفلسفة والأديان، وكانت مشاهداته وملاحظاته للأشياء والأحداث عميقةً إلى درجةٍ يَسّرت له استخلاص الدروس والعبر والنتائج منها بكلّ سهولةٍ }.

دخل اليوم السابع والعشرون من شهر يوليو عام 2015م صفحات تاريخ الهند الحديثة كيوم حزين، خسرت فيه الهند ابنها النجيب الذي كرّس حياته وأفنى شبابه في سبيل بلاده الأمّ وتطويرها تكنولوجياً وثقافياً واجتماعياً واقتصادياً، لتحتلّ مكانتها بجدارةٍ واستحقاقٍ في مصاف الدول المتقدّمة بحلول عام 2020م. لقد عُرف هذا الابن إبّان حياته المهنية اللّامعة بالمسمَّيات والألقاب المعدودة أمثال "عالِم ذري" و"رجل الصاروخ" و"رجل المهمات" و"رئيس الشعب" وما إلى ذلك، ولكنّ الأوصاف والألقاب التي لحقت به بعد وفاته فهي غير معدودة، خرجت من أعماق قلوب أبناء جلدته لتعبّر عن خالص حزنهم وصادق مؤاساتهم لفقيدهم الغالي الذي ضحّى بكلّ ما أوتي من علمٍ وعمرٍ في سبيل رفع الوطن وتحسين أوضاع المواطنين، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر "قائداً عظيماً" و"قائداً مُلهماً" و"قائداً بصيراً" و"رجلاً أسطورياً" و"بطلاً خارقاً" و"نجلاً عظيماً" و"قدوةً حسنةً" و"روحاً لا تُقهَر" و"إنساناً

** الأستاذ في قسم اللغة العربية، الجامعة الملية الإسلامية، نيودلهي، الهند.

عظيماً" وما إلى ذلك. ولا يخفى على من تابَعَ رسائل التعازي على مواقع التواصل الاجتماعي، وفي الجرائد والمجلات أن الهند في تاريخها الحديث مع تنوّعها الديني والعرقي والإقليمي واللغوي توحّدت في التعبير عن حزنها العميق على خسرانها العظيم، وتلاشى الفرق بين الحزب الحاكم والأحزاب المعارضة لأول مرة في وصف شخصيةٍ كان شغلها الشاغل خير الوطن ورفاهية المواطنين. فإذا أمعنا النظر في الألقاب والأوصاف التي لُقِّب بها الرئيس الفقيد خلال حياته المهنية نجد أنها تدلّ على مؤهلاته العلمية وإنجازاته التقنية، ولكنّ الأوصاف والألقاب– التي وردت في كلمات التعازي الصادقة التي عبّر بها أفراد مختلف شرائح المجتمع الهندي عن مؤاساتهم وخسرانهم على رحيله عن العالم الفاني– تدلّ على الصفات الإنسانية النبيلة التي كانت تزخر بها شخصية الرئيس الأسبق أبوبكر زين العابدين عبد الكلام، وهي كلّها مرتبطةٌ وثيقة الارتباط بسلوكه وتصرّفاته ومعاملاته ومواقفه الإنسانية، ومع أنّ حياته حافلةٌ بعددٍ من الإنجازات التقنية العظيمة التي بفضلها دخلت الهند نادي الدول المتقدّمة، واكتسبت شهرةً علميةً وتقنيةً على مستوى العالم، لم يأخذها الرئيس الفقيد في حُسبانه، ولم يخطر على باله أن تذكره الأجيال القادمة بتلك الإنجازات، بل عندما سأله صحفيٌّ "بما تُحبّ أن تذكرك الأجيال القادمة"؟، فقال: أحبّ أن تذكرني الأجيال القادمة كـ "nice human being" أي إنسان طيب، إن كلمة جيّد في هذا السياق تبدو محدودة المعنى وضيّقة المفهوم، ولا تؤدّي المعنى الحقيقي المقصود، لذا أستميح القراء عذراً، لو تجاوزتُ حدود القواميس في ترجمة العبارة "nice human being"كـ "إنسان نافع" وفقاً لما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم "خير الناس من ينفع الناس"، وبالفعل إنه كان خير الناس الذي ينطبق عليه قول الشاعر الأردوي :

مت سهل همين جانو پهرتاهے فلك برسون
تب خاك كے پردے سے إنسان نكلتے هين

في الواقع، إن العبارة "خير الناس" هي مترادفة للإنسان الذي يتشدّق به الشاعر الأردوي، ويقول إن ولادة الإنسان في هذا الكون ليست أمراً سهلاً، وإنما يأتي خروجه من بطن الأرض إلى حيّز الوجود بعد أن يدور الفلك سنواتٍ كثيرة، هذه حقيقةٌ ثابتةٌ، لا يُنكرها أحدٌ، بل يُقرّها أتباع جميع الأديان، ويعترفون بأن الهدف الحقيقي الذي من أجله بُعثتِ الأديان كلّها هو إعادة تلقين بني آدم دروس الإنسانية التي ينسونها من حينٍ إلى آخر.

ومما لا شكَّ فيه، أن الشخصيات أمثال الرئيس الفقيد أبوبكر زين العابدين عبد الكلام تُولد في مئات السنين، وتترك أثراً بالغاً من خلال أعمالها وأقوالها ليس في نفوس شريحة معيّنة من المجتمع وإنّما في نفوس كافة شرائح المجتمع، هذا ما رأيناه بالضبط بعد وفاة الرئيس الفقيد عندما شَعُر كلُّ هندي بفقدان أعزِّ قريبٍ أو صديقٍ له، ولم يأت هذا الشعور من الفراغ بل نبَعَ من الخدمات والعطاءات الصادقة التي قدّمها الرئيس الفقيد لوطنه ومواطنيه، ثم اعتراف الوطن والمواطنين بخدماته وعطاءاته وتكريمهم إيّاه بأعلى الجوائز الوطنية وأرفعها مثل بادام شيري (Padam Shree)، وبادام بهوشان (Padam Bhushan)، وبادام فيبهوشان (Padam Vibhushan) ، وبهارات راتنا (Bharat Ratana)، ثم قيادة هذه الجوائز والأوسمة والعطاءات إلى تولّي الفقيد رئاسة الجمهورية عام 2002م، قد يتساءل المرء ما هو أعلى شأناً؟ الخدمات والعطاءات التي قدّمها الرئيس الفقيد لوطنه، أم الجوائز والتكريمات التي أغدقها عليه الوطن والمواطنون اعترافاً بعطاءاته، فمن المرجّح أن يكون الجواب أنّ كليهما وُفِّقا في دورهما أي أن الرئيس الفقيد في تقديم الخدمات، والوطن في تشريفه وتكريمه، أنّ الرئيس الفقيد لم يقصّر في الخدمة والعطاء، والوطن لم يبخل عليه في تكريمه وتشريفه،هكذا أصبح الرئيس الفقيد أول رئيس للجمهورية وصل إلى سُدّة الرئاسة بمحض خدماته وعطاءاته للوطن وليس لولائه لأيّ حزب من الأحزاب السياسية، فهو ثالث رئيس الجمهورية بعد الدكتور رادها كريشنان والدكتور ذاكر حسين الذي نال أرفع وسام وطني وهو

"بهارات راتنا" قبل تولّيه الرئاسة، وهنالك الكثير من المميّزات التي يمتاز بها الرئيس الفقيد عن الرؤساء السابقين واللاحقين، لعلّ أكثرها أهمّيةً هي شعبيته الواسعة بين الشعب الهندي التي بادية من كثرة الرسائل التي نُشرت في وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي من التويتر والفيسبوك عقب وفاته، حيث نرى أن كلّ رسالةٍ تسعى إلى تقدير وتثمين ميزةٍ من ميزاته، وتدعو إلى اتّباع خطواته في الحياة العامّة، وتطبيق المثل العليا والقيم السامية مثل العدل والمساواة والعدالة الاجتماعية والشفافية الإدارية والنزاهة السياسية والمالية التي كان يدعو إليها في خُطَبه وتفاعلاته مع الشباب والطلبة والطالبات، لقد سجّل الرئيس الفقيد في هذا المضمار رقماً قياسيّاً حيث بلغ عدد الذين تفاعلَ معهم حوالي عشرين مليون شاب وشابة، وخلال هذه التفاعلات كان يشجّعهم على تحقيق أحلامهم، ويقول لهم: إن الحُلْم ليس ما يراه المرء في منامه، بل على العكس عندما ينتابه لا يستطيع أن ينام[1].

ومن المميّزات الأخرى للرئيس الفقيد قيامه بتطهير السياسة قدر الإمكان من العيوب الاجتماعية أمثال مراعاة مصالح الأحزاب السياسية والمحسوبية والرشوة من خلال تقديم قدوة حسنة في النزاهة السياسية، فإنه من أجل القضاء على الرشوة في الدوائر الحكومية ابتكر طريقة جديدة تتمثّل في تحليف الطلاب الصغار بإقناع والديهم بعدم قبول الرشوة، ولم تكن هذه المساعي الحميدة من أجل الدعاية ، بل طبّقه الرئيس الفقيد في حياته، عندما دخل القصر الرئاسي كانت معه شنطتان، وعندما خرج منه لم تكن معه غير شنطتين[2]، ليس هذا فحسب، بل ذكرت الصحف أن أهله وأقرباءه عندما حلّوا عليه ضيوفاً في القصر الرئاسي استأجر لهم الرئيس الفقيد سيارات الأجرة، ولم يستخدم لهم السيارات الرسمية، ودفع فواتير ضيافتهم من جيبه الخاص[3]. لقد قرأتُ في مواقع التواصل الاجتماعي أن الإرث المادّي الذي تركه الرئيس الفقيد وراءه هو كما يلي : 6 بناتيل، 4 قمصان، 3 بدلات، 2400 كتاب، شقة واحدة (وقفها لجمعية الباحثين)، جائزة بادام شيري، جائزة بادام بهوشان، جائزة بادام فيبهوشان، جائزة بهارات راتنا، 16 شهادة الدكتوراه، موقع الويب، حساب

التويتر، حساب البريد الإلكتروني، (لم يكن لديه جهاز التلفزيون والتكييف وسندات الأسهم والعقار والرصيد المصرفي) ومنذ ثماني سنوات الماضية تبرّع بمبلغ تقاعديته إلى مجلس قريته. ولكنّه ترك للأجيال القادمة إرثاً معنوياً ثميناً هائلاً جداً يتمثّل في رؤاه وبرامجه ومخططاته التنموية التي لم يمهله القدر ليحقّقها لتغيير صورة الهند وأوضاع الهنود البالغ عددهم 1.25 مليار نسمة كان يعتبرهم أبناءه الحقيقيين وهو نفسه لم يكن متزوّجاً.

ومن المميّزات الأخرى التي تدلّ على مواقفه الإنسانية قيامه بما كان لصالح الوطن والمواطنين، والابتعاد عن الأعمال الرمزية التي لا تعود فائدتها إلاّ على صاحبها، وأضرب مثالاً على ذلك، أن القصر الرئاسي يقيم كلّ سنةٍ مأدبة إفطار يحضرها الوزراء والنوّاب ورؤساء الأحزاب وكبار موظفي الدولة ورجال الأعمال وأصحاب النفوذ، فعندما حلّ شهر رمضان المبارك في عام 2002م، دعا الرئيس الفقيد سكرتيره وسأله: كم نُنفِقُ على إقامة مأدبة إفطار؟ فأجاب السكرتير حوالي مائتين وخمسين ألف روبية، فاقترح الرئيس الفقيد لِمَ لا نوزّع هذا المبلغ على دور الأيتام بدلاً من إقامة مأدبة إفطار للميسورين اقتصاديا؟ إنّ الأيتام أولَى وأحقّ بهذا الإفطار، ثم أضاف من حسابه الخاص مبلغاً آخر قدره مائة ألف روبية، وطلب من سكرتيره توزيع هذا المبلغ بأكمله على دور الأيتام، فنزولاً عند رغبة الرئيس الفقيد تم تحديد 28 داراً للأيتام، وحُوّل المبلغ إليها، لقضاء احتياجات الأيتام وإقامة مأدبة الإفطار لهم، وأُلغي برنامج الإفطار في القصر الرئاسي تلك السنة[4].لقد كان الرئيس الفقيد يمتاز بخلوص النيّة أو النيّة الصادقة التي كانت تمدّه بجرأة كبيرة لاتخاذ القرارات الصحيحة، لم نر طوال فترة رئاسته قط أنه تقاعس عن الواجب الوطني، أو اتّخذ قراراً لإرضاء شخصٍ أو حزبٍ، أو تظاهر بالعلمانية المفرطة الزائفة مثل الزعماء الآخرين لإرضاء الآخرين، بل قدّم نفسه طول حياته كمسلم ملتزم، وبقدر ما كان يحبّ دينه، كان يحترم أديان الآخرين، فإنه كان يهتمّ اهتماماً شديداً بما قيلَ ولا بمن قال، كان يقرأ الإنجيل وبهاغوات غيتا كما كان يقرأ القرآن الكريم، لم يحاول

أبداً إخفاء دينه أو التقليل من شأنه، بل كان يقدّم منه أمثلة رائعة عند الضرورة، أتذكّر أن الرئيس الفقيد ذات مرة خلال الخطاب التقليدي الذي يلقيه رئيس الجمهورية عشية عيد الاستقلال والجمهورية أمام الشعب، حكى قصة سيدنا عبد القادر الجيلاني رحمه الله للتأكيد على تبنِّي الصدق في الحياة، ومرة أخرى قصة أبيه في الإعراض عن قبول الهدية من أصحاب المصالح، وذلك في سياق القضاء على وباء الرشوة. ذكر الصحافي الشهير أنيس درّاني قصة لقائه مع الرئيس الفقيد في عام 2006م، و قد جاء هذا اللقاء على النحو التالي : أن الأمين العام لمجلس تبليغ القرآن المرحوم تشودهري عارف كان يقيم مسابقةً لقراءة القرآن في دلهي خلال شهر رمضان كلّ عام، وكان لي شرف العضوية في هذا المجلس، وفي عام 2006م تلقى المجلس بلاغاً من القصر الرئاسي بأن رئيس الجمهورية يودّ اللقاء مع المقرئين الكرام، فتلبيةً لرغبة رئيس الجمهورية وصل السيد تشودهري عارف مع المقرئين الكرام وأعضاء المجلس إلى القصر الرئاسي عصر اليوم التالي، وكانت جلسة قراءة القرآن قد نُظّمت في غرفة كبيرة مفروشة بشراشف بيضاء على السجاجيد، ووُضع الميكروفون في جانب للمقرئين الكرام، وأنا كنتُ جالساً في الصف الأمامي مع السيد تشودهري عارف، فجأةً دخل علينا فخامة الرئيس أبو بكر زين العابدين عبد الكلام في زيّ كورتا وبيجاما (وهو لباس يفضله المسلمون في محافل دينية والصلوات) وعلى رأسه طاقية بيضاء، وبيده نسخة مصغّرة للقرآن الكريم، وبعد تبادل التحايا التقليدية جلس متربّعاً على الأرض بيني وبين السيد تشودهري عارف بحيث كانت ركبته اليمنى تلامس ركبتي اليسرى، وبالفور بدأت عملية قراءة القرآن، وكان المقرؤون يتناوبون في قراءة القرآن الكريم، وكان الرئيس الفقيد يتابع قراءتهم في نسخة القرآن الكريم التي كانت بيده، وما أن يأتي مقرىء جديد ويشرع في القراءة كان الرئيس يفتح نفس السورة ونفس الآية التي كان يقرأها المقرىء، فاندهشتُ من سرعته في فتح السورة، واستنتجتُ إما هو حافظٌ للقرآن الكريم عن ظهر قلبه، أو يقرأه بكثرة يسّرت له الوصول إلى الآية المطلوبة بسهولةٍ، وبما أني كنتُ جالساً على

جانبه الأيمن، وكنتُ أراقبه عن كثب، فرأيتُ سذاجة البسطاء وبراءة الأطفال وإمارة الأذكياء و تواضع العلماء في وجهه. هذا حدث واقعي واحد يحمل في طيّاته درساً بليغاً في احترام المجلس والتواضع والتديّن والعلم وما إلى ذلك[5].

أنا من كبار المُعجَبين بشخصية الرئيس الفقيد وأفكاره وأعماله وأقواله وكتاباته، لقد قرأت كتابه "Wings of Fire" في عام 1999م فور نزوله إلى الأسواق، وتأثّرتُ به كثيراً، واستهواني هذا الكتاب إلى قراءة كتابه الثاني "Ignited Mind" في عام 2002م، ثم بعد انقطاعٍ دام حوالي عشر سنوات عدتُ لقراءة كتابه الثالث "Turning Points" في عام 2012م، وفضلاً عن هذه الكتب لقد تابعتُ قدراً لا بأس به من أفكاره وأقواله المنشورة في الجرائد والمجلات، فمن خلال ما تجمّع لديّ من المعلومات الأساسية عن هذه الشخصية العظيمة، يُمكنني القول إنها كانت بمثابة أكاديمية أو مؤسسة علمية وبحثية، تضمّنت في قامته النحيفة ثلاث شخصيات بارزة : شخصية العالِم والباحث، وشخصية السياسي المرموق، وشخصية المفكّر والكاتب البارع، لقد كانت هذه الشخصيات الثلاث كلّها ناجحةً جداً، وبلغت ذروتها في الإنتاج والعطاء. ولايخفى على أحدٍ أن الرئيس الفقيد بدأ حياته المهنية في عام 1960م كعالم وباحث في مؤسسة الأبحاث الدفاعية، وقضى في هذه المهنة ما يقارب أربعة عقود من الزمن، وعمل خلالها بجِدٍّ وإخلاص على عددٍ من المشاريع الفضائية والدفاعية، ونجح في تطوير وبناء مركبة إطلاق الأقمار الصناعية وعددٍ من الصواريخ المتنوّعة، ولعب دوراً محورياً في إجراء التجارب النووية الناجحة عام 1998م، وما من أدنى شكٍّ في أنّ الإنجازات العظيمة التي حقّقها الرئيس الفقيد في مجال العلم والتكنولوجيا سيفتخر بها الوطن والمواطنون إلى الأبد[6]. وأما فيما يتعلق بعمله في مجال السياسة كرئيس الجمهورية خلال الفترة 2002–2007م، فهو غني عن البيان، يعرفه القاصي والداني، أن الرئيس الفقيد هو الذي شرَّفَ كرسيَّ الرئاسة بقبوله، وليس بالعكس، لأنه لم يكن رئيساً فخرياً رمزياً يمتثل لأوامر الحكومة، ويراعي مصالح الحزب الذي ولاّه الرئاسة، بل كان رئيساً

وطنياً مُخلصاً يعمل على ما كان لصالح الوطن والمواطنين، ويُعرض عن كلّ ما كان يتعارض مع المصلحة العامة ولو طلبت منه الحكومة، وخير مثالٍ على ذلك، قيامه بزيارةٍ رسميةٍ لمعسكرات المتضرّرين من أعمال الشغب في ولاية غوجرات عام 2002م، والتي اندلعت بعد فترة قصيرة من تولّيه الرئاسة، ومع أن حكومة السيد أتال بيهار فاجباي نصحته بعدم زيارة غوجرات بحجّة الظروف الأمنية، ولكن لم يرض ضميرُه بأن يتقاعس عن نصرة المظلومين، ومسح دموع الملهوفين، فقام بزيارة غوجرات ضد رغبة الحكومة، والتقى بالمتضرّرين، وطلب من الحكومة المحلّية بإسراع أعمال الإغاثة وإعادة إعمار النازحين عن بيوتهم، لقد أسفرت زيارته عن نتائج محمودة في ضِماد جراح المفجوعين والمنكوبين، كما أعطت أول إشارة واضحة للحكومة المركزية بأنه لايُمكن إخضاعه لإرادة الحكومة[7]، فالتاريخ شاهد على أن الرئيس الفقيد طوال فترة ولايته لم يسع أبداً إلى إرضاء الحكومة، بل عمل حسب مقتضيات الدستور نصاً وروحاً، ولعلّ من أهمّ إسهاماته كرئيس وضع نفسه في متناول الشعب، وفتح أبواب القصر الرئاسي على مصراعيه لعامة الناس من الشعب الهندي الذين كانوا يجدون أبواب الحكومة مسدودة أمامهم، أضرب عليه مثالاً من مقال مطوّل نُشر في صحيفة "دي هيندو" اليومية في 2015/7/30م، ويحتوي على قصة أخيل غوبتا البالغ من العمر 29 عاماً، وهو من مدينة رام بور بولاية أترابراديش، وتعود القصة إلى عام 2004م، حينما كان أخيل غوبتا يدرس في المرحلة الثانوية، وكان من الطلبة المتفوّقين في المدرسة، وعند ظهور نتائج الثانوية العامة أصيب أخيل غوبتا بصدمة كبيرة، عندما رأى بأنه راسب في مادة الفيزياء لأنه حصل فيها على 13 درجة فقط من أصل 70 درجة، بينما في المواد الأخرى مثل الرياضيات والكيمياء والحاسوب كان قد حصل على 97% من الدرجات، وبما أنّ النتيجة كانت عكس ما كان يتوقّعه، فراجع المسؤولين المحلّيين أولاً، ثم قدّم طلباً إلى الهيئة المركزية للتعليم الثانوي لإعادة النظر في قضيته وإعادة تقييم كرّاسته ولكن لم ينل طلبه ما يستحقّ من الاهتمام، وجاء الجواب مخيّباً لآماله، وكان والده

رئيس جمهورية الهند الأسبق إيه. بي. جيه. عبد الكلام

الأطفال يتهافتون ليتصافحوا "رئيس الشعب" ايه. بي. جيه. عبدالكلام.

إيه. بي. جيه. عبد الكلام يصغي إلى طفل بشوق ولطف.

إيه. بي. جيه. عبد الكلام يتمتع بآلة الموسيقى The Veena of Rudra/Shiva

عبد الكلام يلقي الخطاب في الاحتفال الرابع عشر للمعهد الهندي للتقنية في غواهاتي بولاية آسام، الهند.

رئيس جمهورية الهند إيه. بي. جيه. عبد الكلام مع العلماء والأكاديميين والباحثين.

يعمل مهندساً في دائرة الري، هو أيضاً استخدم نفوذه لحلّ هذه المشكلة، ولكن سعيه أيضاً باء بالفشل، وبدأ اليأس يدبّ إلى نفوس الأسرة، وكان أخيل غوبتا على وشك الإصابة بالاكتئاب، وفي مثل هذه الحالة المليئة باليأس والاكتئاب، أرسل أخيل غوبتا خطاباً إلى الرئيس الفقيد عبر البريد الإلكتروني يشرح فيه مشكلته، ويناشد فيه عطفه وعنايته، فمن حسن حظّه وقع نداءه هذه المرة على أذنٍ صاغيةٍ، فقد قرأ الرئيس الفقيد طلبه بعناية وأحاله إلى وزير التعليم لدراسة الموضوع بجدية، وكانت النتيجة أن أخيل غوبتا في غضون 15 يوماً فقط تلقّى خطاباً مسجّلاً من الهيئة المركزية للتعليم الثانوي مع اعتذار وافر عن حصول الخطأ في كشف درجاته، وبعد التصحيح أصبح مجموع درجاته 85 درجة في مادة الفيزيا التي كان قد رسب فيها، وبهذا لم ينجح أخيل غوبتا في الثانوية العامة فحسب، وإنّما احتلّ المركز الأول ليس في مدرسته بل في مديرية رام بور بأسرها، وبعد ذلك التحق أخيل غوبتا بمعهد بيرلا للتكنولوجيا والعلوم ببيلاني(BITS-Pilani)، وأكمل شهادة البكالوريوس في الهندسة الميكانيكية، واليوم يعمل مهندساً ميكانيكياً لدى شركةٍ حكوميةٍ، ويقود حياةً سعيدةً مع أسرته، ويدين أخيل غوبتا للرئيس الفقيد بنجاحه في الحياة ويعتبره ملاكاً، ويتأسّف على عدم تمكنّه من مقابلته شخصياً، ويَعُدُّ وفاته خسارة عظيمةً للوطن والمواطنين[8].

إن دلّت هذه القصة على شيء فإنها تدلّ على اهتمام الرئيس الفقيد بعامة المواطنين، وحرصه الشديد على التواصل المباشر معهم، ولتحقيق هذا الغرض نشر عنوان بريده الإلكتروني ليتّصل به من يشاء، ووسّع دائرة عمل القصر الرئاسي لتشمل الأمور التي تهمّ الشعب مباشرة. وهذه القصة ليست وحيدةً وإنما هي واحدة من مئات القصص التي نشرتها وسائل الإعلام خلال فترة رئاسته.

والعنصر الثالث من العناصر المكوّنة لشخصية الرئيس الفقيد هو الرؤيا والرأي والفكر والكتابة، هذا العنصر يتداخل في العنصرين السابقين أي في إسهاماته في مجال العلوم والتكنولوجيا والسياسة، لقد ترك الرئيس الفقيد وراءه عشرين كتاباً قيّماً، وُفّق في تأليفها بمشاركة من زملائه الذين عملوا معه على المشاريع المختلفة[9]،

ونالت هذه الكتب برمتها شعبيةً كبيرةً بين أوساط المثقفين والأكاديميين والباحثين والسياسيين، إذ أنّها تحتوي على تجربته الخاصة في الحياة، ورؤاه عن الوطن، وأفكاره عن التنمية، وقصته مع العلوم والتكنولوجيا، وفلسفته عن الحياة، ومبادئه في السياسة، وآرائه في الأدب والفنون الجميلة، لقد وهبه الله سبحانه وتعالى عدداً من المواهب والميزات والصفات التي نادراً ما تجتمع في شخصية واحدة، فقد كان يملك قدراً كبيراً من الفضولية للإطلاع على أشياء جديدة، لذلك نرى أنه كان كثير المطالعة في كلّ ميادين المعرفة من العلوم والآداب والفلسفة والأديان، وكانت مشاهداته وملاحظاته للأشياء والأحداث عميقةً إلى درجةٍ يَسّرت له استخلاص الدروس والعبر والنتائج منها بكلّ سهولةٍ[10]. ومن يطالع كتبه يجد أنها مُفعَمةٌ بالقضايا والمواقف والقصص المتعلقة بالإنسان والإنسانية، وليس بحقوق الإنسان التي تشكّل موضوعاً عصرياً تستغلّه الأحزاب والمنظّمات والدول المختلفة لكسب المآرب الشخصية والمنافع السياسية، فقد أولى الرئيس الفقيد المسائل المتعلقة بالإنسان والإنسانية اهتماماً كبيراً، وركّز عنايته على الإنسان وتنميته مادياً ومعنوياً وأخلاقياً واجتماعياً، لأن الإنسان هو الأصل والجوهر، والباقي هو الفروع، ولا يمكن تنمية الفروع بإهمال الأصل، لذلك نرى أن أعمال الرئيس الفقيد كلّها من البداية إلى النهاية تزخر بالدروس في الإنسانية، ونجد هذه الدروس منتشرة في كافة مجالات اهتماماته من الفضاء والصواريخ والذرة والثقافة والكتابة والسياسة والرئاسة وما إلى ذلك، ولهذا الغرض بالضبط منذ تولّيه الرئاسة عام 2002م، كان يهتمّ اهتماماً بالغاً بلقاء الطلبة والطالبات ليغرس في نفوسهم ماعدا حبّ الاطّلاع والتعلّم والوطنية والعمل الدؤوب ومتابعة الأحلام والنزاهة في الحياة العامة حبَّ الإنسان والإنسانية أيضاً، لأن حبّ الإنسان والإنسانية يشكّل موضوعاً أساسياً لأعماله واهتماماته، لقد لمستُ هذا الاهتمام عنده أثناء قيامي بترجمة كلمة الرئيس الفقيد في اجتماع ممثلى البرلمان العالمي الذي استضافه البرلمان الهندي في عام 2003م، حيث قال فيما قال: إن هدف الأديان والعلوم واحد، ألا وهو خدمة الإنسان، يعمل الدين في حياة الإنسان على حلّ مشاكله الداخلية أي الروحية وإنارة السبيل المستقيم أمامه، كما تعمل العلوم على حلّ مشاكله الخارجية، أي ما يواجهه الإنسان من الصعوبات في

السكن والعيش على هذا الكوكب الأرضي إلخ، وللمرة الثانيه سمعتُ منه هذا الحديث خلال إلقائه كلمة ضيف الشرف في حفلة توزيع الشهادات التي نظّمته الجامعة الملية الإسلامية، ودعته إليها كضيف شرف في عام 2004م[11]، وليس هذا فحسب وإنما أشار إلى هذا الأمر في كتابه "أجنحة من النار"[12]. وذكر الرئيس الفقيد في خطبه وكلماته مراراً "إن العلوم هي أكبر هدية من الله سبحانه وتعالى للإنسان" إذا كان الأمر كذلك، فيجب على الإنسان أن يقدّر هذه الهدية ويستفيد منها في حلّ المشاكل التي تعترضه في حياته اليومية، ويستخدمها لتحسين مستوى معيشته، وفي هذا الصدد قدّم الرئيس الفقيد مثالاً عملياً رائعاً، يقول الدكتور جي مادهوان نايار،(الرئيس الأسبق لمؤسسة أبحاث الفضاء الهندية (ISRO) الذي عمل تحت قيادته حوالي عشرين سنة)، في مقال له رائعٍ نُشِر في جريدة "إنديان إيكسبريس" في 2015/7/29م بعنوان "حلاّل المشاكل" "إن الرئيس الفقيد كان على قدرٍ كبيرٍ من الإنسانية، ولقد كان يفكّر دائماً في رفاهية الشعب، وكان همّه الوحيد خلال فترة رئاسته أن يفيد البلاد بأكملها من تجاربه العلمية، وكان من أعزّ مشاريعه التنموية أن ينقل التسهيلات المتوفّرة في المناطق الحضرية إلى المناطق الريفية أيضاً، كما كان يريد تزويد المناطق الريفية بالبنى التحتية الحضرية. فقد كان الرئيس الفقيد يؤمن بأنه لايمكن تحقيق الأهداف الإنمائية للبلاد، دون تمكين الشباب، ولهذا السبب كان يتفاعل دائماً مع الشباب وطلاب المدارس، ومن المصادفات الغريبة أنه انتقل من هذا العالم الفاني خلال إلقائه محاضرة أمام مجموعة من الشباب في المعهد الهندي لتعليم إدارة الأعمال بشيلونغ. ومما يدلّ على همومه الإنسانية أنه بعد إحراز إتقان في مجال تكنولوجيا المواد المستخدمة في صنع الصواريخ، استخدم معرفته لصنع فرجار[1] خفيف الوزن للأطفال المصابين بالشّلل،وكانت "الدعامة"[2] للمصابين بأمراض القلب مساهمة أخرى قام بها. لقد كان الرئيس الفقيد يريد تكييف المواد والتكنولوجيا المستخدمة في الأبحاث الفضائية من أجل حلّ مشاكل الناس العاديين، وخلال فترة تولّيه منصب رئيس مؤسّسة تنمية الأبحاث الدفاعية، ساهم

[1]– فرجار معناه ***Calipers***

[2] - دعامة معناها ***Stent***

بشكل كبير في نظام الرعاية الصحية، وكان يريد أن تُتاح التكنولوجيا للاستخدام في المجالات التي يحتاج إليها، ولا يجب أن تبقى مقصورةً على المختبرات أو محصورةً بين جدران الجامعات فقط"[13].رداً على سؤالٍ وجّهه إليه صحفيٌّ كما وجّه إليه طالب خلال إحدى التفاعلات، ما هي أسعد لحظات في حياتك يا سيادة الرئيس؟ هل هي عندما نجحتَ في صُنع مركبة إطلاق الأقمار الصناعية أو الصواريخ أو عندما أصبحتَ رئيس الجمهورية؟ قال الرئيس الفقيد إن هذه اللحظات أو المناسبات كلّها التي ذكرتها، بالطبع، مدعاة للفرح والسعادة، ولكن أسعد اللحظات التي شعرتُ فيه براحة البال والسعادة الحقيقية هي عندما نجحتُ بمشاركة الطبيبين الدكتور ناريندرا ناث والدكتور بي إن براساد من معهد نظام للعلوم الطبية بحيدرآباد في صنع الفرجار خفيف الوزن للأطفال المصابين بالشلل أو مبتوري الأطراف، لأن الفرجار المُتاح في الأسواق كان يزن حوالي أربعة كيلوغرامات ويكلّف أربعة آلاف روبية، بينما الفرجار الذي صنعه الرئيس الفقيد من المواد المستخدمة في الصواريخ لم يكن يتجاوز وزنه عن 300 غرام ويكلّف 500 روبية فقط، ولكونه خفيف الوزن تمكّن الأطفال المصابين بالشلل من المشي بسهولة جداً، وعند رؤية هذا المنظر السعيد بدأت دموع الفرح تنهمر من عيون آبائهم، ولما رأى الرئيس الفقيد هذا المشهد البهيج ارتاح بالاً وشعر بسعادة حقيقية[14].وثمة إنجاز إنساني آخر يستحق الذكر في هذا السياق وهو أن الرئيس الفقيد بمشاركة الطبيب سوما راجو من معهد نظام للعلوم الطبية بحيدر آباد قام بصنع دعامة للمصابين بأمراض القلب في أواخر التسعينات من القرن الماضي في حين كانت الهند تستورد الدعامات من الخارج ولم تكن في الهند غير شركة واحدة تقوم بإنتاج الدعامات، وكانت التكلفة تتراوح بين مائة ألف إلى مائة وخمس وسبعين ألف روبية هندية، في حين كانت قيمة الدعامة التي صنعها الرئيس الفقيد عشرة آلاف روبية فقط[15].هذه الإنجازات الإنسانية تجعله من دون شك مصداقاً لحديث الرسول ﷺ " خير الناس من ينفع الناس".

تعدّ حياة الرئيس الفقيد كتاباً مفتوحاً، لا مكان فيه لإخفاء أي شيء، وإنّما كلّ شيء فيه للقراءة والاستفادة، قال السيد فينكائيانائيدو وزير الشؤون البرلمانية في

كلمة تعزيته " إنّ الرئيس الراحل عبد الكلام يُعدّ ثاني قائد بعد المهاتما غاندي، حظي بهذا القدر الهائل من الشعبية، وترك بصمة الإنسانية في كل عملٍ قام به"[16].وبما نحن نعيش في عصر الانفجار المعرفي وعصر المعلوماتية، نتحيّر فيما نسجّل وما نترك من أفعاله وأقواله لأنّها بأعداد كبيرة، وبفضل انتشار وسائل الإعلام المرئية والمقروءة ومواقع التواصل الاجتماعي انبرى عدد من العلماء الكبار الذين عملوا معه على المشروعات المختلفة، وقدّموا التجارب الشخصية معه، لقد عمل الرئيس الفقيد في مجال العلوم والتكنولوجيا حوالي أربعة عقود من الزمن، وخلال هذه الفترة تعامل وتفاعل مع آلاف من العلماء الكبار ومئات الآلاف من التقنيين وعشرات المختبرات، وبالطبع ستكون عند كلٍّ منهم قصة معه، فكم أتمنّى أن تخرج هذه القصص إلى النور ليستفيد منها الناس جميعاً، وبإحدى من هذه القصص أختم مقالي، وهي تتعلق برحلته الأخيرة التي انتهت بها حياة الرئيس الفقيد، يقول السيد سيريجان بال سينغ الذي كان يلازم الرئيس الفقيد في حلّه وترحاله، ويعمل سكرتيراً له، "نحن انطلقنا من المطار في القافلة المكوّنة من سبع سيارات، كنتُ أنا والرئيس الفقيد في السيارة الثانية، وكانت أمامنا سيارة الحماية فيها ثلاثة جنود في أزيائهم السوداء، وكان الاثنان جالسين مع بندقيّتيهما على طرفي السيارة، بينما كان ثالثهم واقفاً مع بندقيته، فلما رأه الرئيس الفقيد واقفاً رقّ له قلبه، وطلب منّي أن أرسل رسالة إذاعية لأطلب منه أن يجلس، ولكنني أخفقتُ في إرسال الرسالة لضعف الخطّ، وخلال السفر الذي استغرق ساعتين ونصف ساعة، ذكّرني الرئيس ثلاث مرات بإرسال الرسالة، وأخيراً عندما وصلنا إلى المعهد الهندي لتعليم إدارة الأعمال بشيلونغ، طلب مني أن أقدّم الجندي أمامه، وبعد جهد جهيد استطعت بمعرفة الجندي لأُحضِرَه أمام الرئيس، فلمّا حضر الجندي أمامه، صافحه الرئيس بحرارة بالغة، وقال له أنا آسف جداً، أنت تعبتَ من أجلي، كنت واقفاً طول الطريق، خذ ما تشاء من المأكولات والمشروبات، فتحيّر الجندي على هذا السلوك الإنساني للرئيس الأسبق، ولم يعرف كيف يتصرّف، فقال في ذهول شديد، يمكنني أن أقف لك ست

ساعات يا سيدي"[17]. هذه القصص والمواقف الإنسانية التي قدّمتها في هذا المقال البسيط لا تمثّل إلاّ غيضاً من فيضٍ، وخوفاً من إطالة المقال أختمه بقول الشاعر الأردوي الشهير ميرزا أسد الله غالب:

ورق تمام هوا أور مدح باقي هے
سفينة چاهۓ اس بحرِ بيكران كے لئے

أي إن المقال وصل إلى اختتامه ومازالت أحاديث المدح والثناء لعبد الكلام باقية، فإن الإبحار في محيط مدح وثناء عبد الكلام يتطلّب سفينة كبيرة.

المراجع :

[1]– للتفصيل راجع مقال تي إس سوبرامانيان، مجلة "فرونت لائين" العدد : أغسطس عام 2015م، ص 28–32

[2]– سيد منصور آغا، مقال عن الرئيس عبد الكلام، جريدة أسبوعية "مشن" نيو دلهي، العدد الصادر في 2015/7/28م

[3]– سيد منصور آغا، مقال عن الرئيس عبد الكلام، جريدة أسبوعية "مشن" نيو دلهي، العدد الصادر في 2015/7/28م

[4]– ريحان فضل/ مقال بعنوان " ذكريات مرتبطة بأبي بكر زين العابدين عبد الكلام" ، جريدة هيندوستان إيكسبريس، العدد الصادر في 2015/7/29م

[5]– أنيس دراني، مقال عن الرئيس عبد الكلام، جريدة "صحافت" الأردية، العدد الصادر في 2015/8/2م

[6]– للتفصيل راجع مقال راج تشين غابا، مجلة "إنديا تودي" العدد: أغسطس عام 2015، ص4–42، وأيضاً مقال شيخار غوبتا، مجلة "إنديا تودي" العدد : أغسطس عام 2015م، ص 16–17

[7]– للتفصيل راجع افتتاحية جريدة أسبوعية "مشن" نيو دلهي، العدد الصادر في 2015/7/28م، وأيضاً مقال تي إس سوبرامانيان، مجلة "فرونت لائين" العدد : أغسطس عام 2015م، ص 28–32

[8]– سيدهارثا راو، رئيس الشعب، صحيفة "دي هيندو" اليومية، 2015/7/30م

[9]– للتفصيل راجع مقال دليب بوب، بعنوان "هالة حول أغني" مجلة "آوت لوك"، العدد: أغسطس 2015م

[10]– للتفصيل راجع مقال دليب بوب، بعنوان "هالة حول أغني" مجلة "آوت لوك"، العدد: أغسطس 2015م

[11]– للتفصيل راجع أرشيف موقع الجامعة الملية الإسلامية على الإنترنتwww.jmi.ac.in

[12]– عبد الكلام/أرون تيواري، أجنحة من النار، الترجمة العربية : الدكتور صهيب عالم، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، ص 50

[13]– الدكتور جي مادهوان نايار، حلاّل المشاكل، جريدة إنديان إيكسبريس، 2015/7/29م

[14]– للتفصيل راجع جريدة "ديكان كرونيكلس" العدد الصادر في 2015/7/28م

[15]– للتفصيل راجع، مقال إم ساي غوبال، جريدة "دي هيندو" العدد الصادر في 2015/7/30م

[16]– كلمات التعازي، جريدة "دي هيندو" العدد الصادر في 2015/7/28م

[17]– راجع موقع سريجان بال سينغ على الفيسبوك، وأيضاً جريدة راشتريه سهارا الصادرة في 2015/7/30م

شخصية السير سيد أحمد خان كما تتجلى في الكتابات العربية

أ.د. أبو سفيان الإصلاحي*

ترجمة: أبو سعد الأعظمي**

{...وأظن أن أحمد أمين هو أول كاتب في العالم العربي الذي قدم صورة حقيقية للسير سيد تقديرا لحركته الفكرية والإصلاحية والتعليمية إلى جانب ذكر "اللجنة العلمية" و"مؤتمر المسلمين التعليمي" و"الرحلة إلى لندن" والمجلة "تهذيب الأخلاق" خاليا عن الطعن والتشنيع. وقد تناول فيه أحمد أمين هذا الجانب أيضا أن إقداماته الغالية التي قام بها في جعل اللغة الأردية لغة حية علمية ونقدية، لا يمكن صرف النظر عنها. وكذلك أشار إلى ما قامت مجلة سيد الأخبار وتهذيب الأخلاق بإصلاحات لسانية. وأفاد فيه بعد تسمية السير سيد بطلا جليلا أن كونه موظفا للحكومة البريطانية هو في الواقع مثل الغدر والخيانة من الوطن والملة، ولكنه رغم ذلك قبل السير سيد وظيفة الحكومة البريطانية بما كان فيه من الثبات والعزم، وذلك لكي يفتح عقدة المسائل الملية. وقد صرح فيه أيضا أنه لم يتوقف عن حركته الإصلاحية بالرغم من المخالفة الشديدة والاتهامات الشنيعة من الكفر والإلحاد. وأشاد بهذا الجانب أيضا أن التعليم والتربية والثقافة جزء لا يتجزأ من شخصية السير سيد}.

---

* الأستاذ في قسم اللغة العربية، جامعة عليجراه الإسلامية، عليجراه، الهند.

** الباحث في الدكتوراه، قسم اللغة العربية، جامعة عليجراه الإسلامية، عليجراه، الهند.

يعود شهر أكتوبر كل عام، وهذا هو الشهر الذي ولد فيه المصلح الهندي الكبير السير سيد أحمد خان(1817-1898) ولكن نحن غافلون عن مقتضياته ومتطلباته منا، وكذلك ليس عندنا فكرة جادة وشعور علمي لما نحتاج من أهداف وخطوط لإلقاء الضوء على حياة السير سيد وأفكاره. فإن اللغة الأردية والإنجليزية تفعم بكتب قيمة تستقصي حياته وخدماته في مجالات مختلفة إلا أن اللغة العربية وآدابها تفقد مثل هذه الكتب. والعالم العربي حتى الآن لا يعرف شخصية السير سيد كما ينبغي وأعماله البارزة التي قام بها لإصلاح أحوال المسلمين في الهند. فإنهم يرون هوية السير سيد كما صوره جمال الدين الأفغاني في صورة مشوهة. وبذلك ظنوا مزاعم باطلة ونسجوا حكايات غير صحيحة حول السير سيد ومدرسته التي أسسها. ومن أمثال هذه المزاعم الباطلة السائدة في بلاد العرب أن المدرسة التي أسسها هي في الحقيقة تبلّغ المسيحية وتدعو الطلاب المسلمين إلى اعتناق المسيحية. وحتى العلماء الهنود أيضا اعترضوا عليه وأصروا أن السير سيد يريد تثقيف المسلمين بثقافة إنجليزية. ولكن الآن قد تغير الوضع ظهرا على عقب وانكشفت سحب الظلمة والأوهام، فنرى الطلاب المتخرجين في المدارس الإسلامية وغير الإسلامية يستفيدون بجامعة عليجراه الإسلامية على حد سواء. وبعد إنشاء الدورة الخاصة بإسم "Bridge Course" للمتخرجين في المدارس الإسلامية من قبل الجامعة ازداد التحاقهم بها وتيسر لهم التسجيل في أقسام مختلفة لجامعة عليجراه الإسلامية وغيرها . يستحق عمل رئيس الجامعة هذا المدح والثناء.

وفي هذه المقالة نحن بصدد التعريف بالسير سيد أحمد خان للقراء العرب. ومن الحقيقة أننا لم نُخرج مؤلفات مهمة باللغة العربية بعد وفاة السير سيد حتى يمكن لنا أن نقدمها أمام العرب في سياق التعريف به. وهذا من مسؤلية "مجمع السير سيد بعليجراه" أن ينشر كتبا حول السير سيد وآثاره العلمية وقيمه الخلقية في اللغة العربية. وكذلك ينبغي لمجلة "فكر ونظر" و "تهذيب الأخلاق" الصادرتين من الجامعة أن تهتما بنشر مقالات في اللغة العربية في أعدادهما المختصة حول السير سيد أحمد خان. وأظن أن ليس هناك أي حرج أن تنشر مقالات عربية وإنجليزية في

مجلات أردية. واعترف بكل صراحة أن قسمنا قسم اللغة العربية وآدابها بهذه الجامعة أيضا قصيرة الباعة في ترويج أفكار السير سيد أحمد خان، ولا أكذب إن أدعي أن "مجلة المجمع العلمي" الصادرة من قسم اللغة العربية بجامعة عليجراه الإسلامية منذ سنة 1976م هي أيضا لم تنشر أي عدد خاص تستعرض فيها آثار السير سيد العلمية، على الرغم ما أدى هذا القسم من خدمات بارزة في ترويج اللغة العربية وآدابها في الهند. وقد استقدم السير سيد أحمد خان العلماء المستشرقين هناك لتدريس اللغة العربية وآدابها ليربط طلاب هذه المدرسة بالعالم الجديد في البحث والتحقيق والتدوين. فكان السير سيد أحمد خان ما زال متفكرا طول حياته في ازدهار اللغة العربية وآدابها، وهي كانت من أوائل اللغات التي تدرس في جامعة عليجراه الإسلامية من أول يوم، ولذلك نرى أن أول لجنة عربية في الهند أسست في الجامعة بإسم "لجنة الأدب"[1]، تلزم المساهمين فيها المحادثة باللغة العربية فقط. وكان يقدم دبتي نذير أحمد وألطاف حسين الحالي وحميد الدين الفراهي وغيرهم محاضراتهم وخطبهم وقصائدهم في اللغة العربية فيها.

إلا أن البروفيسور صلاح الدين العمري (حفظه الله ورعاه) من قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة عليجراه الإسلامية قد أتم ما كان عليه من دين بطريق أحسن في الأيام الأخيرة. فرتب الأستاذ العمري كتابا مهما أسماه "السير سيد أحمد خان: حياته وأفكاره"، قام فيه الأستاذ العمري بدراسة آثاره العلمية وقيمه الخلقية بعد أن تناول حياته وخدماته. وقبل نشر هذا الكتاب عندما كنا نناقش مع الطلاب العرب الموجودين بهذه الجامعة حول السير سيد أحمد خان فكانوا يطلبون منا كتابا يلقي الضوء على حياة السير سيد ورفقائه باللغة العربية، فلم نقدر أن نقدم لهم أي كتاب باللغة العربية الذي يشفي غليلهم العلمي. فعمل الأستاذ العمري هذا قد سد الفراغ. ويشتمل هذا الكتاب على مدخل وعشرة مقالات وهي كما يلي:

المدخل

السير سيد أحمد خان: مولده ومنشأه

السير سيد أحمد خان في الوظائف الحكومية

الرحلة إلى إنجلترا

السير سيد أحمد خان: المصلح الاجتماعي

السير سيد أحمد خان: الأديب الناقد والباحث

السير سيد أحمد خان وأفكاره السياسية

السير سيد أحمد خان وحركته التعليمية

السير سيد أحمد خان وأفكاره الدينية

المشاكل والآلام التي قاساها السير سيد أحمد خان في آخر حياته

السير سيد أحمد خان: مميزات شخصيته[2]

وبما أن الأستاذ العمري يشغف بالسير سيد ويعترف بما له من خدمات مختلفة من علمية ودينية وقومية ولسانية، وكذلك هو من أولئك القلائل الذين طالعوا أهم تصنيف للسير سيد المسمى بـ"تبيين الكلام"[3] بغاية من الدقة و الإمعان، فلذلك حصل له انشراح القلب على أعمال السير سيد أحمد خان، وهذا الانشراح قد أفضى به إلى ترجمة بعض مقالات السير سيد إلى اللغة العربية. وترجمة هذه المقالات تقتضي جهودا جبارة ولكن بما أن الأستاذ العمري يريد من صميم قلبه أن يقدم للعرب ما كان للسير سيد أحمد خان من منزلة علمية وشخصية إسلامية فقام بترجمة هذه المقالات بكل شوق ورغبة وبذل جهودا جبارة فيه حتى أمكن للعرب أن يطلعوا على شخصية السير سيد في ضوء مقالاته التي جمعها في مجموعتين بإسم "المنتقى" و"المختار". وإليكم عناوين هذه المقالات المترجمة:

المنتقى: 1-إصلاح المسلم 2- الطبيعة 3-طبيعي 4-الأفكار الدينية في العصر القديم والحديث 5-تأثير الزمان في الدين 6-حب العقيدة وحب الإنسانية

7–حقوق المرأة 8–حكاية تمثيلية 9–المواطنون والتقدم في التعليم 10–العلوم والفنون الشرقية 11–ائتلاف قومي 12–حرية الرأي[4].

المختار: 1–التعاطف 2–الأمل 3–مسرة الأمل 4–الفهم 5–سراب 6–الكمال 7–الاحترام 8–الثقة بالنفس 9–التعصب 10–النفاق 11–التملق 12–جدال ونقاش 13–الأعراف والتقاليد 14–الحضارة 15–المتطلبات الأساسية للسلوك المهذب[5].

فهذه سبع وعشرون مقالة ترجمت إلى اللغة العربية في هذين المجلدين، وبإمكاننا أن نقول في ضوء هذه المقالات أن السير سيد كان يريد إنشاء العواطف الإنسانية في نفوس المواطنين. فكان يكره المصالح الذاتية والتعصب والنفاق ويود إيقاظ عواطف الإيثار والتضحية في نفوس عامة الناس والطلاب داعيا إلى ائتلاف إنساني، محاولا لكسر التقاليد البالية والمراسيم القديمة. فرفع صوته ضد المظالم على النساء وأمسك بالقرطاس والقلم داعيا إلى زواج الأرامل وكذلك خالف الستي (هو طقس كان سائدا في المجتمع الهندوسي، وهو إحراق الزوجة مع زوجه الميت). وأضف إلى ذلك خدمة الأستاذ العمري في ترجمة النشيد الجامعي إلى اللغة العربية الفصحى كي يطرب بألحانها الشجية ووقعها الموسيقي الطلاب العرب ويهتز بسماعها الضيوف الكرام من العرب. وفي الواقع هذا عمل ما يخلد اسم العمري مع اسم الشاعر الكبير "مجاز" و "اشتياق أحمد" إلى الأبد. وأظن أنه ليس إلا عدد قليل من يعلم أن هذه الأنشودة ليست كاملة بل هي أبيات منتخبة من هذه الأنشودة الكاملة، فلذلك ألتمس من الأستاذ العمري أن يترجم كامل الأنشودة إلى اللغة العربية، ويكون من المناسب أن يعد له وقع موسيقي في اللغة العربية كما لها لحن خاص في اللغة الأردية يستهوي القلوب. والأستاذ رياض الرحمان الشرواني أيضا يستحق الثناء العطر لنشر هذه الأنشودة العربية في مجلته الشهرية "كانفرنس كزت" (عليجراه) بمناسبة يوم ولادة السير سيد. وكذلك نشرها أيضا راقم هذه السطور في

العدد الخاص للمجلة "تهذيب الأخلاق" حول السير سيد أحمد خان الصادرة في أكتوبر 2012م[6].

ومن الجدير بالذكر أن جمال الدين الأفغاني قد رد في المجلة "العروة الوثقى" وفي كتابه "الرد على الدهريين"[7] على أفكار السير سيد ودشن ضده معركة علمية معتمدا على ما سمعه من إنكاره المعجزات والجن والملائكة وغير ذلك. وربط حركته الإصلاحية والتعليمية بحركة التنصير وأضاف فيه أن الحركة القاديانية أيضا تتعلق بنفس الحركة. فتسببت هذه الأفكار الباطلة والاتهامات الشنيعة للأفغاني ومؤيديه إلى تنفير العرب وابتعادهم عن السير سيد وأفكاره الملية وإلى ازدياد البغض والكراهية فيهم. فكتبوا عدة كتابات ينقصها الاستشهاد بالدلائل والبراهين، وعبروا فيها عما كان في قلوبهم من كراهية وتنفر بعد أن سمعوا وعرفوا أفكار السير سيد الدينية بوساطة جمال الدين الأفغاني ومجلته "العروة الوثقى". وفي الواقع كان الأفغاني بكونه ثوريا عاطفيا انقلابيا رحالا لا يجد الفرصة للتوقف والتعمق في بعض الأمور فلذلك عادة ما يعبر عن رأيه بدون الدقة والإمعان. كان في طبيعته التصادم بالعراقيل دون الإزالة، ولا ينكر أحد أن الإخلاص والسعي الدائم لا فائدة لهما بدون التدبير والتفكير. ويتصف السير سيد بكليهما فكان مخلصا مدبرا ومفكرا. ونرى أن إخلاصه الصادق ومساعيه الجبارة الخالصة قد أدت إلى النجاح ولا تزال تثمر حتى الآن. وأما ما عمل المخالفون بل المعاندون لسد طريقه فذهب هباء. ويتبادر من مطالعة "الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي" للدكتور محمد البهي[8]، و"كفاح المسلمين في تحرير الهند" لعبد المنعم النمر[9]، و"الهند خلال العصور" لأحمد إبراهيم البشبيشي[10] أن مؤلفي هذه الكتب قد أغمضوا عيونهم عن الحقيقة عندما تناولوا السير سيد أحمد خان بالبحث والتحقيق وأبدوا آراءهم فيه. وتتصل هذه السلاسل كلها إلى الأفغاني فاعتمد هؤلاء الأدباء العرب على مصادر ثانوية دون الاعتناء بالمصادر الأساسية والاستفادة بها. فأعادوا بنفس الآراء التي قدمها الأفغاني.

كتب جمال الدين الأفغاني في مجلته "العروة الوثقى" مقالة بعنوان "الدهريون في الهند" وانتقد السير سيد وأصدقاءه بأنهم ينشطون في إيفاء أهداف الإنجليز في الهند مطيعين لهم. وأضاف أن السير سيد أسس "محمدن انجلو أورينتل كالج ("The *Mohammedan Anglo-Oriental College*) في عليجراه إتماما لهذا الهدف كي يسهل له الطريق للحصول على المصالح الذاتية. وتطبيقا لهذه النظرية إنه ألف "تبيين الكلام" وحاول بالإثبات أن التوراة والإنجيل غير محرفين، ولم يتوقف عند هذا بل اتهمه لكونه نصرانيا. قدم كل هذه الآراء بدون أي دليل أو نص. فمثلا لم يأت الأفغاني بالدليل أو البرهان في صدد تحريفات التوراة والإنجيل. وفي الواقع أن السير سيد أحمد خان عندما أثار مسئلة التحريف اللفظي أو المعنوي فأثبت أن فيهما تحريفا معنويا ليس لفظيا. وإليك هذا المقتبس من مقالة الأفغاني لتتبين أمامكم آراؤه الخاطئة: "فظهر بمظهر الطبيعيين "الدهريين" ونادى بأن لا وجود إلا للطبيعة العمياء وليس لهذا الكون إله حكيم. –إن هذا إلا ضلال مبين– وإن جميع الأنبياء كانوا طبيعيين لا يعتقدون بالإله الذي جاءت به الشرائع "نعوذ بالله" ولقب نفسه بالنيجري "الطبيعي"، وأخذ يغري أبناء الأغنياء من الشبان الطائشين، فمال إليه أشخاص منهم تخلصا من قيود الشرع الشريف وسعيا خلف الشهوات البهيمية. فراق لحكام الإنجليز مشربه ورأوا فيه خير وسيلة لإفساد قلوب المسلمين فأخذوا في تعزيزه وتكريمه وساعدوه على بناء مدرسة في عليكره وسموها مدرسة المحمديين لتكون فخا يصيدون به أبناء المؤمنين ليربوهم على أفكار هذا الرجل "أحمد خان بهادر". كتب أحمد خان تفسيرا للقرآن فحرف الكلم عن مواضعه وبدل ما أنزل الله وأنشأ جريدة بإسم "تهذيب الأخلاق" لا ينشر فيها إلا ما يضلل عقول المسلمين ويوقع الشقاق بينهم، ويلقي العداوة بين مسلمي الهند وغيرهم خصوصا بينهم وبين العثمانيين وجهر بالدعوة لخلع الأديان كافة"[11].

فقد صرح الأفغاني في هذه المقالة أن السير سيد أحمد خان هو أشد اجتهادا لإيقاع الشقاق بين الأمة المسلمة وأما رفقاؤه فإنهم صرفوا النظر عن الميزات

الإسلامية مخالفين الخلافة أشد مخالفة، ونظرا لدسائسهم وفتنهم هذه عندما كنت في الهند فاضطررت إلى كتابة رسالة بعنوان "الرد على الدهريين" في اللغة الهندوسية والفارسية وذلك لرفع الحجاب عما كانت تكن صدورهم من عداء للإسلام. واتفق السير سيد ورفقاؤه مع الإنجليز للحصول على مناصب رسمية، فنرى أن الإنجليز منحوا ابن السير سيد منصبا عاليا. ومن طموحاتهم أيضا الحصول على الألقاب والجوائز بمساعدة الإنجليز. ولذلك فإن النواب صديق حسن خان (1832–1890) قد لقب السير سيد "بدجال آخر الزمان" نظرا لنشاطاته غير الإسلامية". وأضاف الأفغاني في كتاباته أن السير سيد وأصدقاءه كانوا يريدون محو الشعائر الإسلامية. والجيش الإنجليزي في الواقع يتكون منهم ويريد قتل المسلمين مستندا عليهم. وطعن الأفغاني في نفس المقالة الشيخ سميع الله خان أيضا فكتب: "هو أعظم الدهريين دهاء وأشدهم اجتهادا في تضليل المسلمين وأدقهم حيلة وأقواهم مكرا في إيجاد الوسائل لتفريق شمل المؤمنين وتمكين الحكومة الإنجليزية في أرض الهند. يقوم هذا الخادع خطيبا في محافل المسلمين فتسبق دموعه كلامه ويأتي بغاية ماعنده من الفصاحة لهدم أركان الديانة الإسلامية وإبطال عقائدها الأصلية ويتجرأ على حضرة الألوهية ويطعن في الرسالة وصاحبها، كل ذلك وهو ينتحب كأنما يرثي الدين وأهله"[12]. وأضاف قائلا بأن المحكمة الإنجليزية في آغرة منحته (السير سيد) منصب القضاء نظرا لدسائسه وعدائه للإسلام[13].

هذه الأخيلة المذكورة للأفغاني وانفعالاته تعكس العاطفية. وفي الواقع هذه المقالة تعبر عما كانت تجيش في قلوب العلماء الهنود من عداوة وبغض للسير سيد أحمد خان. وبما أنهم لم يطالعوا "تهذيب الأخلاق" و"الخطبات الأحمدية" و"تبيين الكلام" بالدقة فجعلوه هدفا للطعن والتنقيص. ولو أن الأفغاني قد درسها فلم يقل مثل هذا أبدا. وأما الآراء التي أدلي بها في تفسيره فهي أيضا تخالف الواقع. وليس من الصدق أن هذا التفسير قد رتب للتحريف في آيات الله، ونعترف أن هناك تسامحات وزلات في تفسيره ولكن الإدعاء أن تفسيره يفعم بالنقائص فقط، لا يوافق العدل. فما

أجدر أن ينتقد السير سيد نظرا لمتونه التفسيرية. فهذه الأخيلة الباطلة للأفغاني وانفعالاته وإغماضه عن المتون قد تسبب إلى الضلالة و سوء الفهم في نفوس العرب عن هذه الجامعة وشخصية السير سيد أحمد خان. وأشكر الله أن هذه السحب للعداوة والخصومة قد انكشفت، وإن كانت بعض آثاره السلبية تظهر هنا وهناك.

وقد نشرت إلى جانب هذه التصانيف مقالة سيد إحسان حقي، وسيد نبيل إبراهيم، وسيد رحمة الله طارق في مجلة "المسلمون"[14]. ولعبت مقالات البروفيسور وحيد أختر[15]، وعشرت قريشي[16]، وأختر الواسع[17]، ومحمد أسلم الإصلاحي[18] في تقديم أفكار السير سيد دورا إيجابيا، ونشرت هذه المقالات في المجلة "ثقافة الهند" الصادرة من المجلس الهندي للعلاقات الثقافية بدلهي الجديدة.

وكذلك صور أحمد أمين للسير سيد في كتابه "زعماء الإصلاح في العصر الحديث" بالصدق والأمانة. وأظن أن أحمد أمين هو أول كاتب في العالم العربي الذي قدم صورة حقيقية للسير سيد تقديرا لحركته الفكرية والإصلاحية والتعليمية إلى جانب ذكر "اللجنة العلمية" و"مؤتمر المسلمين التعليمي" و"الرحلة إلى لندن" والمجلة "تهذيب الأخلاق" خاليا عن الطعن والتشنيع. وقد تناول فيه أحمد أمين هذا الجانب أيضا أن إقداماته الغالية التي قام بها في جعل اللغة الأردية لغة حية علمية ونقدية، لا يمكن صرف النظر عنها. وكذلك أشار إلى ما قامت مجلة "سيد الأخبار" و"تهذيب الأخلاق" بإصلاحات لسانية. وأفاد فيه بعد تسمية السير سيد بطلا جليلا أن كونه موظفا للحكومة البريطانية هو في الواقع مثل الغدر والخيانة من الوطن والملة، ولكنه رغم ذلك قبل السير سيد وظيفة الحكومة البريطانية بما كان فيه من الثبات والعزم، وذلك لكي يفتح عقدة المسائل الملية. وقد صرح فيه أيضا أنه لم يتوقف عن حركته الإصلاحية بالرغم من المخالفة الشديدة والاتهامات الشنيعة من الكفر والإلحاد. وأشاد بهذا الجانب أيضا أن التعليم والتربية والثقافة جزء لا يتجزأ من شخصية السير سيد. ويرى أنه لا بد من توفير السكن للطلاب في الجامعة لكي

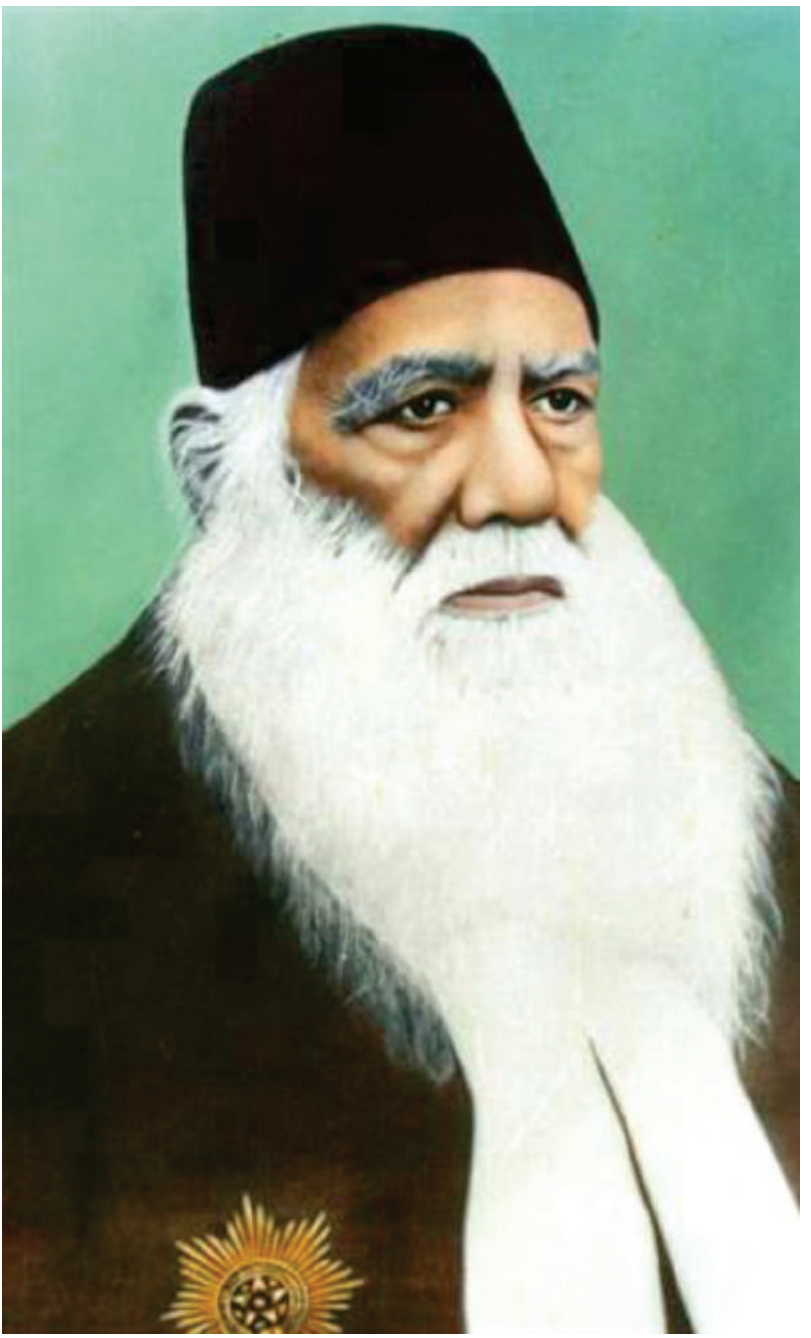

السير سيد أحمد خان (1817-1898م) مؤسس جامعة عليجراه الإسلامية، عليجراه، الهند.

باب السير سيد، جامعة عليجراه الإسلامية، عليجراه، الهند.

باب فكتوريا، جامعة عليجراه الإسلامية، عليجراه، الهند.

مكتبة مولانا آزاد المركزية في جامعة عليجراه الإسلامية، عليجراه، الهند.

مسجد السير سيد في جامعة عليجراه الإسلامية، عليجراه، الهند.

يكونوا مأمونين من التأثيرات المسمومة الخارجية [19]. ولو نمعن النظر في أن أحمد أمين كيف أمكن له الكتابة مثل هذه المقالة المبنية على الصدق والعدالة فلا بد من الاعتراف أن كتابات جراغ علي (1844م-1895م)[20] وسيد أمير علي (1849-1928م)[21] اللذين كانا مؤيدين للسير سيد كانت تحضر أمامه. وكان لأحمد أمين شغف كبير بكتابات سيد أمير علي[22]. وإضافة إلى ذلك كل ما كتبها الإنجليز حول السير سيد من كتابات فهي أيضا أمام عينيه. وكذلك عثر على الطبعة الإنجليزية للخطبات الأحمدية، وبما أن "تبيين الكلام" موجود في اللغة العبرانية والإنجليزية والأردية، فلذلك أظن أنه درس هذا الكتاب أيضا. فهذه الصداقة لأحمد أمين تدل على عظمته النقدية.

عباس محمود العقاد هو أيضا من سلسلة إيجابية في هذا المضمار، فهو ألف انطباعاته التي تخلو من العاطفية حول السير سيد في إجابة سؤال. وبما أن العقاد يمتاز بين الأدباء والنقاد والفلاسفة الجدد لمصر بكونه خبيرا بالأدب العالمي وإطلاعه على المصادر الفرنسية والإنجليزية. وكان العقاد أوسع مطالعة للإنجليزية بالنسبة إلى أحمد أمين. فلا أبالغ إذا قلت إنه كان يعرف السير سيد معرفة جيدة، إلى جانب علمه عاطفية الأفغاني وإمعان السير سيد في العلم. أفاد العقاد في هذه الكتابة بأن السير سيد ربط المسلمين الهنود بالعلوم الجديدة والفنون الحديثة متوطنا في الهند بعد أن ذكر مساعيه الإصلاحية. وأضاف فيها أن له خدمات نادرة بما حاول من مجهودات عظيمة في تقريب أطفال المسلمين إلى المدارس الجديدة وما واجه في سبيله من عداء وكراهية[23]. ومما لا شك فيه أن أحمد أمين والعقاد قاما بخدمات جديرة بالذكر في تقليل حقد العرب على السير سيد أحمد خان . ويمكن أن كتاب العرب قد ألفوا مقالات كثيرة حول السير سيد في العقود الخمسة الأخيرة. ولنرى صورة السير سيد المقدمة في اللغة العربية وآدابها، فنحتاج إلى جمع هذه الكتابات العربية وترتيبها وتدوينها. وأنا أشعر بالغبطة والابتهاج بإفادتكم أن الدكتور أبوذر متين يسعى لجمع الكتابات العربية المؤلفة عن السير سيد أحمد خان، وقد تم

هذا العمل إلى حد وسينشر في صورة كتاب[24]. وأتوقع أنه كعادته يلزم منهج البحث والتحقيق في جمع هذه الكتابات ويقدم عملا مميزا في سياق الدراسات عن السير سيد أحمد خان.

ومن المعلوم أن اللغة العربية تعاني من قلة المواد في البحث عن السير سيد أحمد خان ففي هذه الحالة ألف البروفيسور أختر الواسع من الجامعة الملية الإسلامية، بنيودلهي كتابا تُرجم إلى اللغة العربية بعنوان "السير سيد أحمد خان: حياته وأفكاره وحركته التعليمية" وهذا الكتاب يجدر بالعناية[25]، وخاصة لدى العرب، لأن مآثر السير سيد لم تحرز العناية كما تستحق عند العرب. فتأثروا بما ألف ونشر في مجلة "العروة الوثقى" لجمال الدين الأفغاني من اتهامات وافتراءات. وفي الواقع هذا الكتاب للبروفيسور أختر الواسع عبارة عن تعريب المقالات الأردية المنتخبة، وبعد قراءة هذا الكتاب المهم يطرأ في الذهن أننا نحتاج إلى تعريب مثل هذه التصانيف والمقالات المؤلفة في اللغة الأردية، لكي تتجلى مآثر السير سيد النادرة واضحة أمام العرب. فهذا الكتاب ينقسم إلى بابين، يتضمن كل باب أربع مقالات، وهي كما يلي:

(الباب الأول)1-السير سيد أحمد خان: نبذة عن حياته 2-التسامح الديني كما يتجلى في فكر السير سيد أحمد خان وسلوكه 3-أهمية رأي السير سيد أحمد خان في العصر الراهن 4-ثورة عام 1857م في ضوء كتاب أسباب الثورة الهندية.

(الباب الثاني) 1-الخلفية الاجتماعية 2-المسلمون والتعليم في ضوء أفكاره 3- تأسيس المؤتمر التعليمي الإسلامي 4-دراسة إجمالية لأعمال المؤتمر.

وقدم كشاف إجتماعات المؤتمر التعليمي (All India Muslim Educational Conference) في آخر الكتاب، نقيس بها خدمات المؤتمر التعليمية وبما فيه من عزم وشوق وقلق شديد على تخلف المسلمين الثقافي والملي والتعليمي. وكان شركاء المؤتمر يريدون إيقاظ الشعور في نفوس الشعب في الهند طولها وعرضها كي يخرج عما يواجهه من الإحباط وشعور النقص، ويعيش في

العالم كقوم ذي ثقافة وعزة وكرامة. وكان من إخلاص السير سيد وتضرعه أن اجتمع رؤساء القوم وأمراؤهم وأثرياؤهم في هذه الحركة، ومن طموحاتهم الشديدة أن يبرع أولاد المسلمين في العلم والعلوم الجديدة متمسكين بالعلوم الدينية، ويصلوا فيها إلى القمة. فهناك شخصيات عديدة قاموا بخدمات بارزة في بناء المؤتمر وازدهاره. ومنهم ألطاف علي البريلوي (1905–1986) الذي لا تنسى خدماته، بما أنه جعل هذا المؤتمر نصب عينيه لحياته وغادر بها إلى باكستان فأسس فيها أيضا هذا المؤتمر، وبدأ فيه البحث والتحقيق ونشرت عشرات من الكتب وانعقدت الندوات العلمية وأصدرت جريدة "العلم" ورتبت الموضوعات العلمية. ومن أهم ميزته أنه دعا إلى قيام كلية السير سيد للبنات. ولكن مؤسسة السير سيد تجهل عن اعتراف انجازات ألطاف علي البريلوي العلمية وما له من مآثر. وإتماما لهذا الدين على الجامعة ألف راقم هذه السطور مقالة في عدد خاص لـ"تهذيب الأخلاق"[26]. ولا بد هنا من الصراحة أن البروفيسور أختر الواسع قام بتحليل جدير بالذكر والثناء للمؤتمر يمكن بها تقديم مآثر السير سيد التعليمية إلى العالم العربي على مدى واسع.

والكتاب الهنود أيضا لا يألون جهدا في تشويه صورة السير سيد في كتاباتهم، فلم يعتن الشيخ عبد الحي اللكهنوي حق العناية (1869–1923م) في كتابه "نزهة الخواطر" الشهير بـ (الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام) في ترجمة السير سيد[27]، وكذلك تناوله الشيخ مسعود عالم الندوي (1910–1954م) في كتابه "نظرة إجمالية في تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند والباكستان" بالطعن والتنقيد[28]. فكان من الإنصاف أن يُذكر معائبه ومحاسنه كلتيهما.

وأخيرا ألتمس من مسؤلي جامعة عليجراه الإسلامية ومجمع السير سيد وقسم اللغة العربية وآدابها بهذه الجامعة للقيام بجمع كل ما ألف في مخالفة السير سيد وتأييده في اللغة العربية إلى جانب تدوينها وتنقيحها وإضافة الحواشي والتعليقات عليها، إن كان لا بد منها، ثم يهتم بنشرها كي يمكن لنا تقديم حياة السير سيد في

صورة حقيقية. وما أحرى قسم اللغة العربية وآدابها أن يقوم بأداء ثلاثة أعمال وهي كما يلي:

أولا: انعقاد ندوة علمية في اللغة العربية حول السير سيد وأفكاره العلمية.

ثانيا: إخراج عدد خاص حول السير سيد للمجلة "المجمع العلمي"، يعرف فيها العالم العربي بشخصية السير سيد ومآثره العلمية ويزداد بها حبهم وشغفهم به.

ثالثا: اختيار حياته وأفكاره موضوعا للتحقيق.

ولو أنجزت دكتوراة حول السير سيد ثم طبعت فتكون تلك الرسالة البحثية هدية غالية جديرة بالتقدير والثناء لدى الدارسين العرب.

المراجع

[1] كتب الدكتور أبوذر متين مقالة جيدة حول "لجنة الأدب: تأسيسها وخدماتها"، راجع للتفصيل: ايم–اي او كالج كي دو ادبي اور ثقافتي انجمنين(لجنة الأدب وإخوان الصفا)، تهذيب الأخلاق،ج28، العدد 10، أكتوبر 2010م، ص:73–84

[2]راجع للتفصيل: السير سيد أحمد خان حياته وأفكاره، محمد صلاح الدين العمري،مجمع السير سيد العلمي، جامعة عليجراه الإسلامية،2003م، عدد الصفحات 190

[3]هناك عدد من المقالات القيمة الصادرة في مجلات أردية مختلفة تلقي الضوء على أهمية هذا الكتاب وتناوله بالبحث والتحليل. راجع للتفاصيل:

"تبيين الكلام في تفسير التوراة والإنجيل (السير سيد)"، مسعود الحسن، معارف، ج182، العدد،4، أكتوبر 2008م،ص275–289

"بين المذاهب افهام وتفهيم كي باب مين سر سيد كي اوليت"، البروفيسور عبد الرحيم القدوائي، تهذيب الأخلاق، ج31، العدد10، أكتوبر 2012م، ص117–121

"برطانوي هندوستان مين اسلام اور عيسائيت كا تعامل"، البروفيسور صلاح الدين العمري، في نفس المصدر المذكور،ص:122–134

وقام الأستاذ أبو سفيان الإصلاحي أيضا بالدراسة والتحليل للمجلدات الثلاثة لهذا الكتاب في مقالات مختلفة رتبها في كتابه "مطالعات سر سيد– قرآنيات سر سيد كا خصوصي

مطالعه" المطبوع بقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة عليجراه الإسلامية. أنظر للتفصيل ص123-165 من هذا الكتاب.

[4] راجع للتفصيل: "المنتقى من مقالات السير سيد أحمد خان"، ترجمة وتقديم محمد صلاح الدين العمري، مجمع السير سيد العلمي، جامعة عليجراه الإسلامية، الطبعة الأولى 1428هـ/2007م، عدد الصفحات208

[5] راجع للتفصيل: المختار من مقالات السير سيد أحمد خان، ترجمة وتقديم (الأستاذ) محمد صلاح الدين العمري، ملتزم الطبع والنشر نيو سر سيد نكر عليجراه، الطبعة الأولى 1431هـ/2010م، عدد الصفحات 148

[6] نشيد الجامعة عليجراه الإسلامية، ترجمة البروفيسور محمد صلاح الدين العمري، تهذيب الأخلاق،ج1، العدد10، اكتوبر2012م، ص5-6

[7] كتب الأستاذ صلاح الدين العمري مقالة قيمة بعنوان '' سر سيد أحمد خان عرب دنيا مين ايك مطالعه'' واعتنى بترجمتها الدكتور إحسان الله خان فنشرت هذه المقالة في مجلة ''ثقافة الهند'' الصادرة بدلهي الجديدة في سنة 2005. وحاول الأستاد العمري بالإستقصاء كل ما كتب في العالم العربي حول السير سيد أحمد خان وقام بتحليل هذا الكتاب المسمى بـ''الرد على الدهريين'' للأفغاني. أنظر لتفصيل هذه المقالة: سر سيد اور علوم اسلاميه، مرتبه محمد يسين مظهر صديقي، اداره علوم اسلاميه جامعة عليجراه الإسلامية، مارس 2001م، ص210-225

[8] راجع للتفصيل عن آراء الدكتور البهي عن السير سيد، نفس المقالة للأستاذ العمري، ص213-214

[9] راجع للتفصيل: نفس المقالة للأستاذ العمري، ص214-15-16

[10] راجع للتفصيل: نفس المقالة للأستاذ العمري، ص216-17

[11] العروة الوثقى، يوم الخميس،22شوال14/1301 أغسطس1884م، ص137-38

[12] نفس المصدر، ص140

[13] نفس المصدر، ص141

[14] أفادنا الأستاذ العمري بمعلومات قيمة عن كل هؤلاء المؤلفين في مقالته المذكورة وقام بتحليل آرائهم. أنظر للتفصيل عما قدمت في هذه المقالات من آراء، مقالة الأستاذ العمري بعنوان'' السير سيد أحمد خان في العالم العربي'' الشامل في كتاب ''سر سيد اور علوم اسلاميه'' مرتبه يسين مظهر صديقي .

[15] السيد أحمد خان ورؤيته للدين، أ.ب.سيد وحيد أختر، تعريب، أ.د. ثناء الله الندوي، "ثقافة الهند"، ج41 ،العدد3 ،1990،ص160-187

[16] السير سيد أحمد خان وحركة عليجراه، عشرت علي قريشي، ترجمة، اشفاق الرحمن السلفي، "ثقافة الهند"، ج38، العدد1، 1987، ص110-138

[17] المسلمون والتعليم في ضوء أفكار السير سيد، البروفيسور أختر الواسع، ترجمة، الدكتور فوزان أحمد، "ثقافة الهند"، ج44، العدد1، 2، 4، 1993

[18]بين السيد أحمد خان وجمال الدين الأفغاني، د.محمد أسلم الإصلاحي، "ثقافة الهند"، ج59، العدد4، 2008م، ص144-153

[19]طبع هذا الكتاب من مكتبة النهضة المصرية في سنة 1948م، ويشتمل على ثلاث مأة وخمسين صفحة. وفيه ترجمة السيد أحمد خان من 121 إلى 138، وترجمه إلى الأردية الدكتور سليم أشرف الجائسي. راجع للتفصيل: سر سيد أحمد خان، سر سيد اور علوم اسلاميه، مرتبه، يسين مظهر صديقي، ص225-250

[20] راجع للتفصيل عن حياة جراغ علي: مولوي جراغ علي، كبير أحمد جائسي، رساله "فكر ونظر"، ناموران عليجره نمبر، يناير1985م،ص201-210

[21]راجع للتفصيل عن حياة امير علي،*Great personalities in Islam* by Badar Azimabadi، 2004م ص378-384.

[22] زعمه أحمد أمين من زعماء حركة الإصلاح في العصر الحديث، راجع للتفصيل، زعماء حركة الإصلاح في العصر الحديث، أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية1948، ص139-145

[23]راجع للتفصيل: السيد أحمد خان مؤسس جامعة عليجراه الإسلامية، عباس محمود العقاد، مجلة الأزهر، الجزء التاسع، القاهرة، شهر رمضان 1378هـ، ص748-753.

[24] رتب الدكتور أبوذر متين كل هذه الكتابات عن السير سيد أحمد خان بعنوان "السير سيد أحمد خان بين علماء العرب والهند" وهي الآن تنتظر الطباعة.

[25] أنظر: السير سيد أحمد خان: حياته وأفكاره وحركته التعليمية، البروفيسور أختر الواسع، مكتبة رضا رامفور، أترابرديش،1431هـ/2010م عدد الصفحات 248

[26] أنظر للتفصيل: "تهذيب الأخلاق"، مشاهير علي كره، ج32، العدد3، شهر مارس2013م، ص50-62

[27] راجع للتفصيل: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، عبدالحي الحسني، قام بمراجعته وإكماله أبو الحسن علي الندوي، دائرة المعارف العثمانية، 1390هـ/1970م، الجزء الثامن، ص30-37

[28] راجع للتفصيل، نظرة إجمالية في تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند والباكستان، مسعود الندوي، المطبعة السلفية، القاهرة،1372هـ، ص57-59

التفسير والفقه في ولاية بيهار

د. مستفيض الرحمن**

{من المعروف أن العلماء والفضلاء من الهند عامة ومن ولاية بيهار خاصة اهتموا بالعلوم الشرعية من التفسير والفقه اهتماماً أشد من العلوم و الفنون الأخرى للآداب العربية الإسلامية، لأن العلوم الشرعية أي التفسير والفقه وغيرهما لها أهمية كبرى من حيث تنفيذ الأحكام الشرعية الإسلامية وتفهيم القرآن الكريم واستنباط المسائل والفروع للأحكام الدينية، واجتهاد في المسائل الفقهية، وبدون التفسير والحديث والفقه وأصول الفقه لا يمكن لأي شخص أن يتوصل إلى الصواب في استنباط المسائل الصحيحة وتنفيذها ولذلك يمكن أن نقول أن الحديث والتفسير والفقه كالعمود الفقري نظراً إلى أهميتها في الشريعة الإسلامية فإنما هذه الأسباب الكبيرة وراء كثرة ظهور الفقهاء والمفسرين والكتب الفقهية والتفسيرية ونذكر هنا بعض المفسرين والفقهاء البارزين وكتبهم تتمتع بالإقبال عليها في الهند والبلدان الأجنبية}.

فأولاً يلزم الاطلاع على الغرض والغاية من التفسير. فيقول عبد الحي الحسني عن علم التفسير في كتابه "الثقافة الإسلامية في الهند" إن علم تفسير القرآن الكريم علم باحث في معنى نظم القرآن بحسب الطاقة البشرية، وحسب ما تقتضيه

** الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها، جامعة آسام، سيلتشار، آسام، الهند، البريد الالكتروني: drahman668@gmail.com

القواعد العربية، ومبادئ العلوم العربية وأصول الكلام، وأصول الفقه، والجدل وغير ذلك من علوم جمة، والغرض منه معرفة معاني النظم بقدر الطاقة البشرية، وفائدته حصول القدرة على استنباط الأحكام الشرعية على وجه الصحة، موضوعه كلام الله سبحانه وتعالى هو منبع كل حكمة ومعدن كل فضيلة، وغايته التوصل إلى فهم معاني القرآن واستنباط حكمه للبلوغ إلى السعادة الدنيوية والأخروية [1].

وأما علم الفقه فقال المؤلف "إن الفقه علم باحث في الأحكام الشرعية الفرعية العلمية من حيث استنباطها من الأدلة التفصيلية، ومبادئه مسائل أصول الفقه، وله استمداد من سائر العلوم الشرعية العربية، وفائدته حصول العلم به على الوجه المشروع، والغرض منه تحصيل ملكة الاقتدار على الأعمال الشرعية ولما كانت الغاية والغرض في العلوم العملية يحصلان بالظن دون اليقين بناء على أن أقوى الأدلة الكتاب والسنة، وأنه وإن كان علم الفقه قطعي الثبوت لكن أكثره ظني الدلالة، فصار محلاً للاجتهاد وجاز الأخذ فيه أولا بمذهب أي مجتهد أراد المقلد، والمذاهب المشهورة تلقتها الأمة بالقبول وقبلها أهل الإسلام بالصحة، وهي المذاهب الأربعة للأئمة الأربعة، أبي حنيفة ومالك والشافعي، وأحمد بن حنبل. فتفرق الناس في السلوك على هذه المذاهب، وتفرقت البلاد في شيوع المشارب، فشاع مذهب مالك في بلاد المغرب، ومذهب الشافعي في بلاد العراق وماوراء النهر وأذربيجان وخوارزم وأفغانستان وبلاد الهند" [2].

وأما أصول الفقه هو علم يتعرف منه استنباط الأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها الأربعة، يعني الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وفائدته: استنباط تلك الأحكام على وجه الصحة، وهذا العلم فرع لعلم أصول الدين [3].

وفي الشريعة الإسلامية للتفسير والحديث والفقه أهمية أكبر من العلوم الأخرى وإن علماء بيهار أدركوا هذه الأهمية ولعبوا دوراً هاماً في تطوير وتوسيع التفسير والحديث والفقه الإسلامي.

قبل أن أتناول مساهمة الفقهاء والمفسرين لولاية بيهار في الفقه والتفسير أتناول تطورهما في الهند بصورة عامة.

لم يكن الحديث مجالاً لاختلاف في الرأي بين أهل السنة الذين يمثلون الأغلبية من المسلمين وإذا وجد شيء بالخلاف فهو قليل جداً. وأما علم الفقه فقد قسم إلى أربع مدارس. وقد تمذهب أكثر المسلمين في الهند بمذهب الإمام أبي حنيفة ولما بدأ المسلمون الهنود يأخذون نصيبهم في التأليف فكانت المؤلفات في الفقه الحنفي والمذاهب الأخرى قد تكونت وكثرت ثم توقفت عن التجديد. وحصر الكتاب أنفسهم في إعداد الشروح والحواشي والمتون. ومن هناك لم يكن اشتراك الهند في الأدب الفقهي أكثر من بناء صروح جديدة في تقليد الكتب السابقة بنفس المواد مع تغيير ضئيل جداً في الخطة وعلاوة على ذلك لا أعلم أي قطر منذ الإنجازات الفقهية الكبرى استطاع إنتاج كتب قيمة ذات أضواء منيرة وفوائد أصيلة في موضوع الفقه بالرغم من الفرص العظيمة التي نالها بعض الأقطار وساهمت بها مساهمات عظيمة في الآداب العربية.

ومن بين الكتب الفقهية المتعددة التي ألفت في الهند نذكر ثمانية عشر كتاباً تلفت النظر وهي يمكن أن تدرج تحت الأبواب الرئيسية التالية:

(1) شروح نقدية في الفقه: كتابان

(2) أصول الفقه

أ- المتون كتاب واحد

ب- الشروح والحواشي ثلاثة كتب

(3) بحوث في المسائل الفقهية:

أ- الفقه الحنفي:

1. الفتاوى خمسة كتب

2. الموضوعات الأخرى ستة كتب

ب. الفقه الشافعي كتاب واحد

الشروح النقدية على الفقه:

1. الإنصاف في بيان سبب الاختلاف

2.عقد الجيد في أحكام الا جتهاد والتقليد[4]

أصول الفقه

أ. "المتون"

ألف في أصول الفقه بالهند محب الله البيهاري الكاتب الفيلسوف الكبير كتاباً يسمى "مسلم الثبوت" (ولد في منطقة بيهار وتوفى سنة 1119هـ/1707م) وقد حظى هذا المتن بتقدير عظيم لا في الهند وحدها بل في مصر أيضاً وكان المؤلف بارعاً في كتابة "المتون" التي شرحها وأوضح غوامضها عدد من العلماء.

ب. الشروح والحواشي على كتب الأصول:

1. شرح المغنى لجلال الدين الخبازي (691 هـ/ 1291م).

ألف عمر بن إسحاق الهندي (المتوفى 773 هـ/ 1371م) اسمه الكامل أبو حفص سراج الدين عمر بن إسحاق بن أحمد الهندي الغزنوي الدولت آبادي.[5]

الفقه:

أولا نتناول الفتاوى وفيها خمسة كتب تستحق أن تذكر:

1. الفتاوى الحمادية
2. الفتاوى الحنفية
3. فتاوى جامع البركات
4. خزانة الروايات [6]
5. الفتاوى العالمكيرية:

معروف خارج الهند باسم الفتاوى الهندية وهو أعظم كتاب من نوعه ألف في الهند وأحسن كتب الفقه الحنفي بعد الهداية التي يضعها الأحناف في الدرجة الأولى بعد القرآن كما قيل في البيتين الآتيين:

إن الهداية كالقرآن قد نسخت
ما صنفوا قبلها في الشرع من كتب
فاحفظ قواعد وأسلك مسالكها
يسلم مقالك من زيغ ومن كذب

وهذا الكتاب ضخم يتألف من ستة مجلدات ألفته لجنة من علماء الهند برئاسة الشيخ نظام بتكليف من أورنكزيب. وبتأليف هذا الكتاب القيم تكون الهند قد أسهمت إسهاماً في الفقه باللغة العربية وهو إن لم يكن عملاً ابداعياً فليس نسخه طبق الأصل.

وقد قيل لا يمكن أن يتوقع من كتاب أن يحوز الإبداع في علم الفقه. وميزة هذا الكتاب تعود إلى أنه لم ينفرد بتأليفه عالم واحد ولكن اشتركت لجنة من العلماء المشهورين في تأليفه الذين راجعوا المراجع المختلفة الهامة ولم يألوا جهداً في إخراجه كتاباً موثوقاً به ومرجعاً مقبولاً.

ثانياً: مؤلفات أخرى تتصل بالفقه:

1. زبدة الأحكام في اختلاف الأئمة الأعلام
2. المنسك الصغير
3. تحقيق أراضي الهند
4. فرائض الإسلام
5. جامع التعزيرات

ب. الفقه الشافعي:

إن الأغلبية من المسلمين في جنوب الهند فقط كانت تتبع المذهب الشافعي، ومعظم هؤلاء المقيمين هناك من أصول عربية هاجرت من جنوب شبه الجزيرة العربية ولما كان هؤلاء المهاجرون ينتمون إلى المذهب الشافعي فقد تأثر كثير من مواطنيهم بالمذهب الشافعي واعتنقوه حتى صارت الشافعية في مالابار

أغلبية وإذا كانت الدراسات العربية في الجنوب قد راجت رواج الفارسية في الشمال فإنه من المقبول والحالة هذه أن يتوقع أن قد كتبت بالعربية هناك بعض الكتب على الأحكام الشافعية وما قد وجدت إلا كتابين أحدهما كتب في مالابار والثاني قريباً من ممبائي.

1. فقه مخدومي
2. قرة العين

وأما التفسير فإن رسول الله ﷺ قد منع أصحابه أن يفسروا أي آية دون أن يدعموها بسند من أحاديثه. ولذلك لا يمكن الاستغناء عن الحديث في التفسير أيضاً وبعد أن تمت مجموعات الأحاديث الموثوق بها لم يعد هناك اهتمام خاص بالتفاسير الأصلية وللناس في كتاب التفاسير أساليب مختلفة غير أن المبادئ واحد وقد أنتجت الهند تفسيرين فيهما أصالة تامة وإبداع بمعنى الكلمة أحدهما "سواطع الإلهام" الذي خلا من الحروف المنقوطة وثانيهما "جب شغب" الذي لم يستعمل فيه سوى الحروف المنقوطة على عكس سواطع الإلهام.

وبعد استعراض المدارس الفقهية وانتشارها في الهند ومساهمتها فيها، أتناول الآن المساهمة لعلماء بيهار في هذا العلم الشرعي وعندما نقارن الولايات الهندية ببعض نجد أن منطقة بيهار ذات أهمية كبيرة نظراً إلى جهود العلماء الذين ولدوا ونشأوا فيها وبذلوا الجهود الجبارة في ترقية هذا العلم النافع في الحياة الدنيوية والأخروية للإنسان.

ومن العلماء البارزين فيها إمام الدين عبد الحسيب بن تاج الدين الحسيني القادري الشطاري الراجكيري أحد المشائخ الأعلام، أخذ الطريقة عن الشيخ ركن الدين أحمد الشطاري الراجكيري عن الشيخ معين الحق عن الشيخ قطب الدين عن الشيخ علاء الدين عن الشيخ أبي يزيد عن الشيخ أبي الفتح هدية الله عن والده الشيخ محمد بن العلاء الهاشمي المنيري، وأخذ بعض الأذكار والأشغال عن الشيخ على أكبر السلهتي ثم الكاكوروي، وبعضها عن الشيخ محمد أرشد بن رشيد

الجونبوري أخذ عنه سنة اثنتي عشرة ومائة وألف. وللشيخ أمام الدين رسالة مبسوطة بالفارسية في الأذكار والأشغال، أوله "الحمد الله الذي نور قلوب العباد بأنوار الوظائف والأوراد وجعلها وسيلة إلى المحبة والوداد". وتوفى في 26 ذي الحجة سنة 1130 هـ [7].

ومنهم العالم الفقيه حبيب الله بن ذكي الدين الحنفي ومن مؤلفاته "هدية السالكين" و"تحفة الذاكرين" والعلامة ظريف الحسيني العظيم آبادي أحد العلماء المبرزين في الفقه والأصول والكلام وغيرها، و العالم المحدث عبد المقتدر بن النبي الحنفي البيهاري أحد العلماء المبرزين في الفقه والحديث، و فضل الله بن أبي الفضل الحنفي البيهاري أحد العلماء المبرزين في الفقه والأصول والعربية.

ومن كبار العلماء حسن بخش الشيعي العظيم آبادي، تلمذ على السيد حسين بن دلدار علي النصير آبادي، وتفقه عليه، ثم سافر إلى الحرمين الشريفين فحج وزار ورحل إلى "كربلا" ولازم الشيخ كاظم الرشتي واختار طريقته غير المرضية عند عامة الشيعة، ورجع إلى الهند وصنف الرسائل في تأييد مذهبه نحو "كشف الظلام" وترجمة "حياة النفس" وقصر مواعظة على مذهب الرشتي، فأنكر أستاذه حسين بن دلدار علي وبذل جهده في إصلاحه، وصنف "الإفادات الحسينية" في الرد على الرشتي، وقال في مفتح كتابه "ومن غريب ما اتفق أن بعض أفاضل الطلبة ممن قرأ عليه دهراً طويلاً ووثقت به وواسيته لأنه سلك مسلكاً رضياً وما هو أحسن سبيلا، سافر إلى حج بيت الله الحرام ثم إلى مشاهدة أئمة العراق – عليهم ألف تحية وسلام – فوصل إلى خدمة العلماء الحائر المنيف ونظر إلى معركة عظمى بين الوضيع والشريف وأدرك بها الفاضل الرشتي فألفاه بزعمه عالي الكعب في العلوم، فأحسن الظن به وبقي في صحبته واستفاد من خدمته، وقد رشح في قلبه الباطل، فأخذ في تأليف بعض الرسائل، منها رسالة في وجوب صلاة الجمعة تكلم فيها على طريقة المتفقهين، ومنها رسالة: تكلم فيها في أصول الدين. قد أكثر الطعن فيها على المتكلمين سماها بكشف الظلام وإن هو إلا إمحاق حق وإظلام وكشف ما كتموه من

أوهام، ثم استجازنى فطويت عنه كشحا وأعرضت وجهي عنه صفحةً وعرض لي التأسف وأخذني التلهف على ما أحدث في الإسلام والتبس على الأنام سيما هذا الذي كان من خلاني الكرام وكنت أحسبه من أولى الأفهام فنبهته فلم ينتبه، وظن أن العلماء الكرام في كل بلد ومقام لا يدركون دقائق ما حققه هؤلاء الذين زعمهم من أصحاب الأسرار لكلام الإمام عليه السلام، و أخذ في تجهيل الأعلام وبسط بساط الوعظ وترغيب الأنام إلى المشائخ الذين حسبهم من الكرام وإذا كان وكانوا في ذي التسيع ومكارم الأخلاق فمالت إليهم طبائع المؤمنين في الآفاق" انتهي بلفظه.

وللمرزا حسن بخش رسالة في وجوب صلاة الجمعة ورسالة في الصيام وله رسائل أخرى، وهو سافر إلى العراق مرة أخرى، فلما وصل إلى "إله آباد" مات بها في رمضان سنة اثنتين ومائتين وألف [8].

ومنهم الشيخ الفاضل قاضي غلام يحيى البيهاري أحد العلماء المبرزين في الفقه والأصول، كان قاضي القضاة ببلدة "كلكته". له ترجمة "هداية الفقه" بالفارسية جمعها سنة تسعين ومائة وألف بإعانة المولوي تاج الدين البنغالي والمير محمد يسين الإيراني والمولوي شريعة الله السنبهلي في أيام اللورد هستنغ، ثم نقله بالفارسية إلى الإنكليزية الكتابان هما من الإنكليزي في ثلاثة مجلدات، وهي ما يتعلق بالمعاملات، فاخطأ في كثير من المواضع، فلما عثر على أغلاطه جان هربت هارنغتن المغربي أقضي قضاة الهند أمر الشيخ محمد راشد بن ضياء الدين محمد البردواني سنة إحدى وعشرين في أيام السيد جارج هلرو بارلو، فبذل جهده في تصحيح الترجمة وتنقيحها وتهذيبها [9].

ومنهم الشيخ الفاضل الكبير وحيد الحق بن وجيه الحق بن أمان الله الهاشمي الجعفري البهلواروي أحد كبار الأساتذة، ولد ونشأ ببهلواري وقرأ بعض الكتب الدرسية على والده وأكثرها على خاله الشيخ مبين الجعفري، ثم تصدر للتدريس أخذ عنه خلق كثير.

وكان شيخاً صدوقاً، حسن الأخلاق، مليح الشمائل، حلو الكلام، ورعا تقيا، يحترز عن الشبهات ولا يأكل طعام مستخدمي الحكومة الإنكليزية، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فيكسر أطواق الأطفال يطوقونهم بها في المحرم، ويقطع الزنانير التي يلبسونها في عاشوراء، وكان يتزي بزي الفقراء ولا يتجشم التصنع في الزي واللباس، وكان يجلس على الحصير وعليه خميصة سوداء، وكان يجتنب عن استماع الغناء في أول الأمر، كما هو دأب الفقهاء الحنفية فلما غلبت عليه الحالة، رغب فيه وحضر إلى المجلس للسماع غير مرة.

وكان كثير الاشتغال بالدرس والإفادة أخذ عنه أبناء أحمدي وعلي أكبر وبنو خاله المفتي عبد الغني وعبد العلي وعمه الصغير عبد الواسع والشيخ شمس الدين ونور الحق ونعمة الله بن مجيب الله وعبد القادر بن خير الدين العمادي وخلق كثير، وله تعليقات شتى على "هداية الفقه" و"شمائل الترمذي" و"تفسير البيضاوي" وله رسائل في الفقه. مات لست بقين من صفر سنة إحدى ومائتين وألف وقيل مائتين وألف [10].

ومنهم فضل حسين بن فرخ حسين بن واحد علي المهداني المنيري أحد العلماء المشهورين، ولد لثلاث بقين من محرم سنة إحدى وسبعين ومائتين وألف، وقرأ العلم على ملا محمد عارف البشاوري والمولوي عبد الحميد البيهاري، ثم سافر إلى دهلي وأخذ الحديث عن السيد نذير حسين الدهلوي المحدث وتطبب على الحكيم عبد المجيد بن محمود الشريفي الدهلوي، ثم سكن بمهدانوان، وله تأليفات في الفقه والحديث، منها رسالة في القنوت في النازلة، والحياة بعد الممات، كتاب في سيرة شيخه وشيخنا السيد نذير حسين [11].

ومن الفقهاء قادر بخش بن حسن علي الحنفي السهسرامي أحد العلماء البارزين، ولد سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف ببلدة "سهسرام" وقرأ على والده وعلى المولوي أحمد حسين السهسرامي والقاضي نور الحسين الغهاتوي ثم سافر إلى "مرزا بور" وأخذ عن السيد معين الدين الكاظمي الكروي، ثم دخل "لكناؤ" ولازم العلامة

عبد الحي بن عبد الحليم الأنصاري اللكناوي، ثم سافر إلى "باني بت" و"مراد آباد" وأسند عن الشيخ القارئ عبد الرحمن الباني بتي والشيخ الإمام فضل الرحمن بن أهل الله البكري المراد آبادي، ثم سافر إلى الحجاز فحج وزار وأسند عن السيد أحمد بن زين دحلان الشافعي المكي وعن الشيخ حبيب الرحمن الردولوي المهاجر، ثم رجع إلى الهند وتولى التدريس والموعظة بكهكرة، بفتح الكاف وسكون الهاء بعدها كاف عجمية ثم راء هندية وهي قرية جامعة من أعمال "بورنية".

ومن مصنفاته التقرير المعقول في فضل الصحابة وأهل بيت الرسول، والأربعين في إشاعة مراسم الدين، وضرب القادر على رقبة الواعظ الفاجر، ورفع الارتياب عن المغترين بشرف الأنساب، وغاية المقال في رؤية الهلال، وتحفة الأتقياء في فضائل آل العباء "جور الأشقياء على ريحانة سيد الأنبياء". مات في رجب سنة 1337 [12].

ومنهم الشيخ العالم الفقيه الزاهد محمد علي بن عبد العلي بن غوث علي الحنفي النقشبندي الكانبوري، المونغيري أحد الأفاضل المشهورين في الهند ومؤسس ندوة العلماء. ولد بكانبور 27 شعبان 1262 هـ وقرأ المختصرات على المفتي عنايت أحمد الكاكوروي ثم أخذ عن السيد حسين شاه الكشميري، ثم لازم المفتي لطف الله الحنفي الكويلي ببلدة كانبور، وقرأ عليه سائر الكتب الدرسية، ثم تولى التدريس بمدرسة فيض عام فدرس بها زماناً، ثم اعتزل وسافر إلى سهارنبور وأخذ الحديث عن الشيخ أحمد علي الحنفي السهارنبوري المحدث، ولازم دروسه كاملة وبعد أخذ الإجازة منه رجع إلى كانبور.

وكان في شبابه أخذ الطريقة عن الشيخ كرامت علي القادري الكانبوري ثم أخذ عن الشيخ الكبير فضل الرحمن بن أهل الله البكري المراد آبادي واستفاض منه فيوضاً كثيرة فنال الإجازة منه، فاشتغل بالأذكار والأشغال مدة، وسافر إلى الحجاز فحج وزار، وأقام بمكة المباركة سنة كاملة، ورجع إلى الهند سنة عشرين وثلاثمائة وألف، وذهب إلى بلدة مونغير فسكن بها، وحصل له القبول العظيم، وسافر إلى الحجاز مرة ثانية وأقام بها سنتين ثم رجع إلى مونكير واشتغل بالعبادة والإفادة.

وهو الذي أسس ندوة العلماء سنة إحدى عشرة وثلاثمائة وألف لإحياء المدارس العربية وإصلاح نظام الدرس، ورفع النزاع من الفرق الإسلامية. فبارك الله سبحانه في مساعيه، وأسس أعضاء الندوة مدرسة عظيمة بمدينة لكناؤ سنة سبع عشرة وثلاثمائة وألف وهي التي اشتهرت بدار العلوم نفع الله بها المسلمين.

وكان للشيخ محمد علي منذ أيام الطلب والتدريس إلمام بما يجري حوله من حوادث وتيارات، وكان يتتبعها بعقل واع ونفس حساسة ورأى نشاط القسوس المسيحيين ودعاة "التبشير" في نشر النصرانية وتشكيك المسلمين في عقيدتهم ودينهم، ورأى خطر ذلك على الشباب وأبناء المسلمين، فأقبل على دراسة النصرانية ومراجعها، وشمر عن ساق الجد للرد على القسوس والمبشرين، وأصدر صحيفة لهذا الغرض سماها "منشور محمدي" واستمرت في الصدور نحو خمسة أعوام، وألف في رد المسيحية كتباً قيمة، منها "مرآة اليقين" و"آئينه إسلام" ومن أهمها "بيغام محمدي".

وكان قد اطلع في أثناء رده على المسيحية، ومناظرته مع القسوس والمبشرين على مواضع الضعف في صفوف العلماء والذين تقع عليهم مسئولية الدفاع عن الإسلام، وعلى مداخل الفساد والزيغ والإلحاد بانتشار التعليم الجديد في البلاد، وكانت فتنة التكفير وخصومات العلماء المذهبية، وتنازع الطوائف الإسلامية قد بلغت أوجها في هذه الفترة، وقد أصبحت المدارس والمساجد مركز حروب داخلية، وازدحمت المحاكم بالقضايا الخلافية التي يرفعها المسلمون، ويحكم فيها القضايا المسيحيون والحكام الوثنيون، ورأى جمود العلماء على المنهج الدراسي القديم الذي يسمى بالدرس النظامي، وعضهم عليه بالنواجد مع شدة حاجة العصر إلى تطويره وتنقيحه فحمله كل ذلك على تأسيس ندوة العلماء لتبادل الفكر والرأي، وتنسيق الجهود في إصلاح التعليم والمسلمين، ووهب نفسه وعقله، وعنايته لهذه الحركة ومركزها، وأصبحت له الشغل الشاغل، واشتغل بإدارة ندوة العلماء وتحقيق مشاريعها وأهدافها، ووقع بينه وبين بعض زملائه من أعضاء الندوة خلاف في بعض المسائل التعليمية والإدارية ولجت به الأمراض واعتراه الضعف، وجذبته

دواعي الشوق وتربية النفوس، وحب العزلة فقدم استقالته عن إدارة ندوة العلماء، وقبلت مع التأسف لسبع بقين من ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وألف، واعتزل في زاويته، في مدينة "مونكير" في ولاية "بيهار" فأقبلت عليه الدنيا، وقصده الراغبون في الإصلاح والتربية من كل جانب، وصار المقصد والمرجع في هذا الشأن.

وفي هذه الفترة زحفت القاديانية على ولاية "بيهار" بقوة وعزم واضطربت عقيدة كثير من المتعلمين والموظفين، فنهض مولانا محمد علي وصمد لها يقاومها بالدعوة والمناظرة، وأصبح لا يهدأ له بال ولا يقر له قرار، يؤلف الرسائل والكتب في الرد عليها، ويكتب الكتب إلى أصحابه، ويحثهم على مقاومة هذه الفتنة، وبذل النفس والنفيس في هذا الشأن في سبيلها، ويؤثر ذلك على النوافل والطاعات، والأوراد والأذكار، ويعتقده أفضل الأعمال وأعظم القربات، وقد ألف نحو مائة مؤلف بين رسالة وكتاب كبير، طبع منها أربعون كتابا باسمه بينما طبع أكثرها باسم غيره، ووقعت مناظرة بين علماء القاديانية وبين علماء أهل السنة في سنة ثلاثين وثلاثمائة وألف واهتم لها مولانا محمد علي اهتماماً كبيراً، ولقيت القاديانية في هذه المناظرة هزيمة منكرة، وتراجعت وخلا الجو.

وعكف مولانا محمد علي على الذكر والعبادة وتربية النفوس وانقطع إلى الإرشاد والتعليم وتأليف الكتب في الرد على أهل الأهواء والبدع مع استغناء وتوكل، وزهد وقناعة وبذل وسخاء، والت إليه قلوب العباد، وتهافت عليه الناس وباعه خلق لا يحصون بحد وعد، وقد قدر بعض الناس أن عدد من بايعه بلغ أربعمائة ألف، وتغيرت أخلاق الناس وصلحت أحوالهم، وقد غلب عليه الحب والاستغراق في آخر حياته، وقوى تأثيره، وانتشرت بركته.

كان مولانا محمد علي عالماً ربانياً، ومصلحاً كبيراً، أثنى عليه شيخه مولانا فضل الرحمن الكنج مراد آبادي، ثناء بالغاً، وقال إن روحه من بقية أرواح المتقدمين، وإن أمثاله قليلة في كل عصر، وكان من العلماء المطلعين العاملين

الذين عملوا لنهضة الإسلام والمسلمين، وإعلاء شأن العلم والدين، وكان شديد الغيرة على الإسلام، شديد الحمية قوي الدفاع عن العقيدة الصحيحة وحرمات الدين، شديد الاشتغال بما ينفع الإسلام والمسلمين، قوي الأفاضة على الطالبين المسترشدين، شديد الاتباع للسنة شديد المحبة لله وللرسول، واسع الصدر سمح النفس، كثير التعاون مع أصحابه، كثير الاحتمال للآراء المختلفة، متصلباً في الأصول والمحكمات، متوسعاً في الجزئيات والخلافيات.

كان ممدود القامة، مكتنز اللحم، أسمر اللون، عريضا ما بين المنكبين، واسع الجبين، أسيل الوجه له معرفة بالرياضات البدنية، يجيد السباحة، دائم البشر، واضح الصوت، له لحن شجي في قرأة القرآن، وقورا مهيباً، يحب النظافة والأناقة في كل شيء، لا يراه أحد في وسخ أو تبذل، كثير الحياء يحسب كل جليس له أنه أحب إليه من غيره.

وكان إذا صلى الفجر جلس لأولاده وخاصة أصحابه، ثم اشتغل بالذكر والتسبيح، ثم يتناول الشاي ويحضره خواص ضيوفه، ثم يقبل على التأليف والتحرير، ثم يرغب عن ذلك، ويتناول الغداء ويقيل، ثم يصلى الظهر ويجلس بعد الظهر للمريدين والطالبين، ويبايع من يرغب في ذلك، ويتناول الشاي، ويتفقد الضيوف يؤانسهم، ويتحدث في العلم والدين، ثم يصلى العصر، ويشتغل بالذكر والتسبيح، وقد يتنزه في حديقة البيت، ويشتغل بعد صلاة المغرب بالأذكار والأوراد ويتعشى، ثم يصلى العشاء وينصرف إلى الراحة مبكراً، ثم يقوم في الليل ويطيل القرأة وكان هذا دأبه على مر الأيام بعد ما أقام بزاويته في "مونكير".

له مؤلفات كثيرة، من أحسنها: "بيغام محمدي" (أي رسالة محمد صلى الله عليه وسلم) في الرد على المسيحية "فيصله آسماني" (أي القرار السماوي) في الرد على القاديانية، وقد ظهرت فيه قوة استدلاله وأحكام عبارته، و"إرشاد رحماني" (أي مقولات مولانا رحمن) في أحوال مولانا رحمن الكنج مراد آبادي وأقواله وتعاليمه، وله

مقالات وكتب في الانتصار لندوة العلماء. توفي لثمان خلون من ربيع الأول سنة ست وأربعين وثلاثمائة وألف، ودفن في زاويته بمونكير" [13].

ومن العلماء محمد ياسين بن ناصر علي الحنفي الغياثبوري ثم الآروي، أحد العلماء المشهورين، ولد ببلدة "آره" في الثاني عشر من شوال سنة ثمانين ومائتين وألف، وقرأ الكتب الدرسية على والده وعلى مولانا سعادت حسين البيهاري، وعلى مولانا وحيد الحق الأستهانوي والمولوي فدا حسين الدربهنكوي ببلدة "آره" ثم سافر إلى "كلكتة" وأخذ عن الشيخ سعادة حسين المذكور ولازمه زماناً ثم سافر إلى "لكناؤ" وتخرج على العلامة عبد الحي ابن عبد الحليم اللكناوي، وأخذ صناعة الطب عن الحكيم عبد العلي بن إبراهيم الحنفي اللكناوي، ثم رجع إلى بلدته "آره" وتصدر للتدريس.

له مصنفات عديدة منها "معين المعالجين" وهو كتاب مختصر في الطب بالفارسي، ورسالة في جهر "آمين" وسره في الصلاة و"تنبيه الشياطين" و رسالة في المناظرة، ورسالة في مناقب الإمام أبي حنيفة رح[14].

ومنهم المفسر والمحدث رفيع الدين بن بهادر علي بن نعمت علي الصديقي الشكرانوي البيهاري أحد العلماء المشهورين.

ولد في سنة إحدى وستين ومائتين وألف، وقرأ العلم على مولانا محمد أحسن الكيلانوي، ثم سافر إلى دهلي وأخذ الحديث عن الشيخ المحدث نذير حسين الدهلوي وقرأ عليه الصحاح الستة ومؤطا مالك وتفسير الجلالين مشاركاً للسيد شريف حسين بن نذير حسين، ثم سافر إلى أمرتسر وصحب الشيخ الأجل عبد الله بن محمد أعظم الغزنوي، ولبث عنده ثمانية أشهر واستفاض منه فيوضاً كثيرة، ثم سافر إلى الحجاز فحج وزار.

وله مكارم وفضائل، وأخلاق حسنة، بذل الأموال الطائلة في تحصيل الكتب النفيسة، واستنسخها وجلبها من الدول العربية، ولا يقلد أحداً من الأئمة، ويفتي بما

يقوم عنده دليله، وله يد بيضاء في التفسير، تفسير القرآن بالقرآن، ويدرسه كل يوم بمحضر للناس، ويدرس الحديث. مات سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة وألف [15].

ومنهم العالم المفسر والمحدث عليم الدين حسين بن تصدق حسين بن عبيد الله بن غلام بدر بن سليم الله الأنصاري النكرنهسوي العظيم آبادي، أحد العلماء المشهورين. ولد في سنة ستين ومائتين وألف، واشتغل أياماً على أساتذة بلاده، ثم سافر إلى "لكناؤ" وأخذ الفقه والأصول عن المفتي صدر الدين، والحديث عن الشيخ السيد نذير حسين المحدث، وتطبب على صحة الدولت بهادر، ورجع إلى بلدته بعد عشر سنين فدرس وأفاد، وصرف عمره في نشر العلوم الدينية والمعارف اليقينية، وسافر إلى الحجاز سنة ثلاث وثلاثمائة وألف فحج وزار.

وكان ملازماً لأنواع الخير قوياً في دينه، جيد التفقه كثير المطالعة لفنون العلم، حلو المذاكرة، مع الدين والتقوى، وإيثار الانقطاع وترك التكلف، لم يزل يدرس وينفع بمواعظه الناس، ويجتهد في محق الرسوم والأهواء انتفع به خلق كثير، وله مصنفات، منها سلم الأفلاك في الهيئة، وله أجزاء في التفسير ورسائل في الخلافيات. مات يوم الجمعة لعشرين من محرم سنة ست وثلاثمائة وألف [16].

مما ذكرنا عن العلماء والفقهاء والمفسرين يمكن أن نطلع على مساهمة علماء بيهار في تطوير وتنمية العلوم الشرعية من التفسير والفقه ولا يمكن أن تنسى الأجيال الجديدة هولاء العلماء الفقهاء الذين عاشوا في الزمن المنصرم وخدموا العلوم الشرعية.

المراجع والهوامش:

1–عبد الحي: الثقافة الاسلامية في الهند، صـ 161
2–نفس المرجع: صـ 102
3–نفس المرجع: صـ 123
4–الإنصاف في بيان سبب الاختلاف: صـ 3، 4، طبعة لاهور 1970م
5–زبيد أحمد: الآداب العربية في شبه القارة الهندية، صـ 106

6-عبد الحق الدهلوي: أخبار الأخيار، صـ 273

7-عبد الحي: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (المعروف بنزهة الخواطر)، جـ 6 ، صـ 41

8-عبد الحي: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (المعروف بنزهة الخواطر)، جـ 7، صـ 178

9- عبد الحي: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (المعروف بنزهة الخواطر)، جـ 7، صـ 401

10- عبد الحي: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (المعروف بنزهة الخواطر)، جـ 7، صـ 573

11- أبو الكلام: تذكرة علماء بيهار، 224 ، لم نعثر على سنة وفاته، عبد الحي: نزهة الخواطر، جـ 8، صـ 383

12- عبد الحي: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (المعروف بنزهة الخواطر)، جـ 8، صـ 393

13- مكتب خدا بخش: تذكرة كاملان بيهار، جـ 2، صـ 224 ، عبد الحي: نزهة الخواطر، جـ 8، صـ 383

14- لم نعثرعلى سنة وفاته، عبد الحي: نزهة الخواطر، جـ 8، صـ 487

15- عبد الحي: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (المعروف بنزهة الخواطر)، جـ 8، صـ 168

16- عبد الحي: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (المعروف بنزهة الخواطر)، جـ 8، صـ 355

سياحة أدبية في ديوان "رنين الثريا"
للشاعرة كملا ثريا

محمد علي الوافي كرواتل**

{ إن الإبداع النسوي في ذاته يعبر عن أدبية الذات المبدعة الأنثوية في علاقتها بالمجتمع والكائنات، وفوق ذلك فإن هذا الإبداع يجسد هموم المرأة الشعورية واللاشعورية وصراعها الداخلي والخارجي عبر طرائق متعددة مثل المناجاة والبوح والاعتراف والتمرد وغير ذلك من سبل التعبير. ولكن الإبداع الأدبي للمرأة بصفة عامة والشعري بصفة خاصة يتسم بالقلة والوهن، فمحمد العباس يؤكد في كتابه "سادنات القمر" "أن ذلك الوهن الشعري في التجربة الإبداعية النسوية يأخذ الاتهام، ليس بالنسبة للشاعرة العربية وحسب، ولكن لكل الحركة الشعرية النسوية، فالقراءة التاريخية تؤكد ذلك القصور التعبيري في نص الشعر الأنثوي، رغم الطابور الطويل من الأسماء"[1]}.

فهذه القاعدة تكاد تخلو عن الشاعرة الهندية كملا ثريا حينما نقوم بسياحة في عالمها الشعري والروحي من خلال ديوانها "رنين الثريا". والديوان كما يشير إليه عنوانه يحفل برنات قلبها بعدما اعتنقت الدين الحنيف، ويتسم الديوان بارتباطها العاطفي والروحي بعناصر الإسلام والإيمان. ويتميز الديوان بجماليات اللغة وبلاغة الصور، وتتجلى فيه ذاتها الشعرية التي تحتفي بالروح الشفاف الذي لا يخطئ

** الباحث في مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي.

الوصول إلى النور التوحيدي رغم تكسر الدروب ورغم العثرات الكثيرة التي تحول بينها وبين اعتناق ذلك النور الإلهي.

تعد الشاعرة كملا ثريا (1934–2009) من أشهر شاعرات ولاية كيرالا. ولدت الشاعرة في 31 مارس سنة 1934م في أسرة هندوسية عريقة بالأدب والتدين في قرية بونيور كولام (Punniyur Kulam) من مقاطعة تروشور (Trichur) في ولاية كيرالا. وقضت الشاعرة طفولتها في كنف عائلتها المشهورة في مجال الأدب والثقافة، أما والدها في يم ناير (V.M Nair) فكان مدير التحرير لصحيفة ماتهرو بهومي اليومية (Mathrubhumi Daily) ووالدتها بالاماني أما (Balamani Amma) شاعرة شهيرة تجيد الشعر باللغة المليالمية. كانت الشاعرة ثريا قد اعتادت أن تكتب معظم شعرها بالإنجليزية تحت الاسم المستعار كملا داس (Kamala Das)، وتنشر قصصها القصيرة بالماليالم تحت الاسم المستعار مادهوي كوتي (Madhavi Kutty)، وعند إسلامها اتخذت اسم كملا ثريا. ولم تنحصر الأديبة كملا ثريا في دائرة الشعر فقط بل لها اليد الطولى في الرواية والقصة القصيرة والسيرة الذاتية، وقد أحسنت في المجالات الأدبية كلها إلا المسرح، لأن قلمها لم يأت به إلى القراء.

وبالرغم من ولادتها في أسرة تتمتع بالأدب والثقافة إلا أنها لم تتح لها الفرصة لكي تحصل على دراسة أكاديمية، ولكن القريحة الأدبية التي توقدت في عاطفتها واكتسبت من بيئتها التي نشأت فيها، جعلتها تتذوق الأدب والشعر. وفاقت الأديبة أقرانها حتى أصبحت أستاذة زائرة في كثير من الجامعات المشهورة في الدول الغربية مثل كندا (Canada) وأمريكا (America) وأستراليا (Australia) وألمانيا (Germany) وسينغافورة (Singapore) وغيرها من الجامعات الدولية. وتعتبر الشاعرة كملا ثريا لدى النقاد أشهر شاعرة وكاتبة قصة قصيرة في الهند، وعلى الرغم من أنها لم تكمل دراستها الجامعية إلا أنها منحت الدكتوراه الفخرية من جامعة

كاليكوت (Calicut University) ورشحت أعمالها الأدبية لجائزة نوبل للآداب عام 1984.

أعمال الشاعرة في اللغة الإنجليزية فهي[2]:

1. *The Sirens* (Asian Poetry Prize winner) 1964
2. *Summer in Calcutta* (poetry: Kent's Award winner) 1965
3. *The Descendants* (poetry) 1967
4. *The Old Playhouse and Other Poems* (poetry) 1973
5. *My Story* (autobiography) 1976
6. *Alphabet of Lust* (novel) 1977
7. *The Annamalai Poems* (poetry) 1985
8. *Padmavati the Harlot and Other Stories* (collection of short stories) 1992
9. *Only the Soul Knows How to Sing* (poetry) 1996
10. *Yaa Allah* (collection of poems) 2001
11. *Tonight, This Savage Rite* (with Pritish Nandy) 1979
12. *My Mother at Sixty-six* (Poem) 1999
13. *My Grand Mother's House* (Poem)1999.

أعمالها في اللغة المليالمية المحلية[3]:

1. رائحة الطائر (Pakshiyude Manam) قصص قصيرة، 1964م
2. عندما تطير الخفافيش (Naricheerukal Parakkumbol) قصص قصيرة 1964م
3. البرد القارس (Thanuppu) قصص قصيرة، 1966م
4. قصتي (Ente Katha) السيرة الذاتية 1982م.
5. ذكريات الطفولة (Balyakala Smaranakal) قصص 1987م.
6. قبل سنوات (Varshangalkku Mumbu) قصص 1989م.
7. الهجرة (Palayan) رواية 1990م.
8. شوربة الجبن (Neypayasam) قصص قصيرة 1991م.
9. المذكرات (Dayarikkurippukal) رواية 1992م.

10.فصل يزهر فيه الرمان (Neermathalam Pootha Kalam) رواية 1994م.

11.الطيور الرواجع (Chekkerunna Pakshikal) قصص قصيرة 1996م.

12.النغم المفقود (Nashtapetta Neelambari) قصص قصيرة 1998م.

13.أشجار الصندل (Chandana Marangal) رواية 2005م.

14.القصص الذاتية لماثوي كوتي (Madhavikkuttiyude Unmakkadhakal) 2005م.

15.ثيران العربة (Vandikkalakal) رواية 2005م.

إن مؤلفات كملا ثريا مترعة بالحب العذري الذي يكاد تخلو عنه كاتبات عصرها، وتعطي الأديبة نطاقا مميزا للمرأة ولعواطفها الأنثوية النسائية. ونراها بعض الأحيان تتشاجر مع المجتمع الرجالي لسيطرته على ميول المرأة وعواطفها كما هو أكثر وضوحا في سيرتها الذاتية في اللغة المليالمية "قصتي" (Ente Katha).

الجوائز التي منحت لها:[4]

رشحت في القائمة المختصرة لجائزة نوبيل الأدبية سنة 1984م.

جائزة قلم آسيا للقصص (Award of Asian PEN anthology) سنة 1964م.

جائزة المجمع الأدبي لكيرالا (Kerala Sahitya Academy Award) سنة 1969م.

جائزة المجمع الأدبي لكيرالا (Kerala Sahitya Academy Award) سنة 1985م.

جائزة آسيا للشعر (Asian Poetry Prize) سنة 1998م.

جائزة كينت للكتابة في اللغة الإنجليزية من البلدان الآسيوية (Kent Award for English Writing from Asian Countries) سنة 1999م.

جائزة ويالار (Vayalar Award) سنة 2001م.

دكتوراه فخرية من جامعة كاليكوت (Honorary D.Litt. by University of Calicut) سنة 2006م.

جائزة موتاثوفاركي (Muttathu Varkey Award) سنة 2006م.

جائزة أيزوتاتشان (Ezhuthachan Puraskaram) سنة 2009م.

مترجم القصيدة الدكتور شهاب غانم:

أما مترجم الديوان الدكتور شهاب غانم فهو شاعر إماراتي مشهور، وله 14 ديوانا باللغة العربية وديوانان باللغة الإنجليزية، ويبلغ عدد قصيدته المترجمة 21 قصيدة. وقد ترجم هذا الشاعر الإماراتي أربع قصائد من القصائد الهندية. الأولى: **قصائد من كيرالا** ـ قصائد مترجمة إلى العربية، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة 2005م، والثانية: **قصائد من الهند** ـ قصائد مترجمة إلى العربية، من 12 لغة هندية، أبوظبي للثقافة والتراث 2008. والثالثة: **رنين الثريا أو مجموعة يا الله** ـ لكملا ثريا لترجمة كليم أحمد كلمة، أبو ظبي للثقافة والتراث 2011م. والرابعة: **40 قصيدة هندية للإمارات، قصائد لجيتا شهابرا**، موتيفيت، دبي 2012م. والشاعر الدكتور شهاب غانم أول عربي حصل على **جائزة طاغور للسلام** ـ (Tagore Peace Prize) لدعمه للقيم الإنسانية في دواوينه العربية والإنجليزية، وقد حصل الشاعر الإماراتي على **جائزة العويس للابتكارات والتقدم العلمي** في نوع أفضل عمل مترجم لعام 2011م لترجمته هذه القصيدة رنين الثريا من اللغة الإنجليزية. وولد الشاعر شهاب غانم في أكتوبر 1940م في عدن، درس في عدن ثم في عدد من الجامعات في بريطانيا والهند، هاجر إلى دولة الإمارات العربية المتحدة، وحَمل جنسيتها منذ عام 1976م[5].

سياحة روحية في قصيدة رنين الثريا:

والشاعرة كما أشرت إليها من قبل، ولدت في بيت هندوسي تعتني بالأدب والثقافة، إلا أنها لم تتقيد بالتقاليد التي وضعت الديانة الهندوسية على عنقها بل

ظلت تبحث عن الحقيقة حتى استضاءت بنور الإسلام عام 1999م، وغيّرت اسمها إلى كملا ثريا(Kamala Surayya)، وكتبت مجموعة شعرية تحت العنوان (يا الله). وهذه المجموعة الشعرية هي عبارة عن تجربتها الروحية في الهجرة من الكفر إلى الإيمان ومن الحيرة إلى الهدى، ومن الضلال إلى الرشد، وختمت بها حياتها خاتمة طيبة.

وهي كعادتها في دواوينها التي كتبت في اللغة الماليالمية تحمل القراء معها عبر دروب أحلامها وأزقة عواطفها وخبايا أمانيها، ليركضوا معا خلف نجم الهدى تبدو بعيدا بعيدا، ثم يملأ أرواحهم الانتعاش الروحي. والديوان "رنين الثريا" يشتمل على ثمان وثلاثين قصيدة كلها تسبح في مجال روحي عاطفي، وتمتاز نصوص الشاعرة بالذوق الروحي العالي النابع من مشارب الإيمان والهدى، اللذَين مازالت الشاعرة تبحث عنهما منذ عقود، ومن خلال نماذج مختارة لأبيات بعض القصائد يبدو اتجاه الشاعرة الصوفي، وارتباطها العاطفي وسرورها الوجداني باعتناق هذا الدين القويم، ونرى الشاعرة تسلك كل المسلك الشعري من مناجاة الله عزوجل، ومخاطبة النبي ﷺ، والتعبير عن رحلتها الإيمانية وما تلاقيه من صعوبة في طريقها وفرحة الوصول إلى الخالق جل وعلا، وترى الشاعرة أن الدين الذي ولدت به مجرد أوهام لا يكاد يرضى به عقلها الشاعري.

انطلاقا من مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، وانسجاما مع النور الإلهي المضيء، فللشعر الإسلامي النصيبُ الأوفر، والحظ الأسمى في ديوانها "رنين الثريا" وهذا يدل على حسن إسلامها وشدة اعتزازها بمبادئ الدين الإسلامي الحنيف. وحينما نقرأ أشعار كملا ثريا ندرك للوهلة الأولى أننا أمام شخصية شاعرية فريدة تأخذنا برفق وتمهل إلى عوالم من سحرها الفني بكل طاقاتها الشعرية وإمكاناتها التعبيرية وندور معها في فضاءات مترامية الأطراف وتحلق بنا في سماوات متفاوتة ونغوص وراءها في بحار شعرية عميقة.

الحب الإلهي في القصيدة "رنين الثريا":

إن الإيمان المطلق بالله والاعتقاد الراسخ بالألوهية والوحدانية سمة يتسم بها معظم الشعراء المسلمين، والشعراء منذ فجر الإسلام قاموا بالدفاع عن هذه العقيدة الربانية، وتوضيحها وتصوير معالمها البارزة وترسيخها في قلوب الناس، فالشاعرة كملا ثريا اختمر قلبها وشعورها بالعقيدة الربانية، التي اعتنقتها ووصلت إلى ساحلها، تتفجر حينا بالنغمات الإيمانية وتناجي حبيبها الخالق جل وعلا. والقارئ يرى هذه الحقيقة لأن الديوان يحفل بعدة قصائد في المناجاة، تارة تعبر عن حب عميق، وإيمان كامل، وتارة عن شوق إلى اللقاء وتارة عن الاعتراف بالجميل لله الذي هداها لنور الإسلام.

وعنوان القصيدة هو الرامز الأول إلى نوعية المضمون التي اعتمدت الشاعرة عليها في هذا الديوان، لأن **رنين الثريا** أو **(يا الله** ـ هو العنوان في اللغة الأصلية الملیالمية**)** وهي تشير إلى أن الشاعرة إنما كتبت هذه القصيدة في المناجاة، تناجي ربها وتناديه حبا وعشقا، ومعظم قصائد الديوان يبدأ بقولها يا الله. ومن هذا النوع قولها في أول قصيدة من المجموعة، وهي قصيدة **يا من ليس له حدود**، وهي تناجي ربها:

يا أيها الذي ليس له حدود
يارب... يا الله... يا معبود
فلا قشور الدين أو أصدافه قيود
إذ أنت غاية الغايات في الوجود
وهكذا أسعى إلى ضيائك المديد
وظلك الظليل والممدود
كيما أنال السعد والصفاء
وأغمض العينين في المنام في هناء[6]

والسحر مرتع المحبين ومسرح العاشقين يناجي بعضهم بعضا، والشاعرة كملا ثريا تعبر هذه التجربة في قصيدتها، **خاتمة المطاف**، حيث تقول إن الله سبحانه وتعالى يطلب من الشاعرة أن تكون معه في منتصف الليل لتناجي ربها الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، وهنا نرى أن الشاعرة تتفطر عشقا وحبا مع خالقها جل وعلا، والشاعرة تقتبس شاعريتها وحروفها من النور الإلهي، كما تقتبس كلماتها وحروفها من المنبع الإيماني وهو نور القرآن، وهذا النور وضوؤه قد أنبت محبة المناجاة في ضمير الشاعرة وفيها تقول:

يا أللهـــــ
عندما أعلنت الساعة منتصف الليل
ألقى الله في خاطري:
إنك في حاجة للمنام يا ثريا،
فاملأي قلبك بذكري ونامي،
وانهضي من سريرك
عندما يصيح ديك السحر
وناديني....،
فستجدين أنني
لا تأخذني سنة ولا نوم....[7]

وظلت الشاعرة تناجي ربها بكلمات رائعة وعواطف رقيقة، وتصوغ من نفسها وروحها ضيفة تستضيف بحضرة الباري جل وعلا. وترى هذه النفس ملجأها وملاذها عند مولاها الحقيقي، وتبتهل الشاعرة إلى المولى عز وجل أن لا يتخلى عنها، وأن لا يتركها لمصائبها بعد أن تخلى عنها الخلق أجمعين، وتتذلل الشاعرة أمام ربها في خشوع عميق، وتصور مجيئها من الكفر إلى الإيمان كأنها ضيف تستضيف الضيافة عند الرحمن الرحيم، ولا تطلب العون والمودة إلا من غيره، وها هي الشاعرة تقول:

آه يا من ليس له شبيه،
يا مولاي الحقيقي
أمسك بقوة
هذه الروح المرتجفة
وهذا الجسد الهيّاب.
إنني أقف لاجئة
في حماك....
ضيفة خاصة...!
فكيف أحتاج إلى ضيافة أحد سواك...؟[8]

ونجد في القصيدة "**اعتذار**" تلك المعاني التي توجد في كلام المحبين العارفين، حينما يهيمون في حبهم وعشقهم، ولا يرون وزنا ولا قيمة لأشياء تحول بينهم وبين مولاهم جل وعلا. ونرى الشاعرة تهيم أيضا في عالمها المجنح، ولا ترى الشاعرة قيمة للحياة التي تحول بينها وبين اعتناق خالقها ومحبوبها، بل تستعجل الشاعرة الموت لكي تخلص من هذه الحياة المحددة، وها هي الشاعرة تهيم في عالمها:

إلى متى يا ربي
سيطول الانتظار
لهذه "الثريا" المسكينة
التي أدركت
عمق الحب
للوصول إليك
يا من ليس له مثيل؟[9]

والفطرة هبة من هبات الله، والشاعرة تتوقد إيمانا بعدما شعرت لأول وهلة أنها مؤمنة قبل اعتناقها لدين الإسلام، فهي تذكر تلك الأيام الماضية، حينما

تلامسها الفطرة الإلهية على قلبها، وهي تذكر أنها سمعت تلك النداءات من وراء المحبة، بل جرى كل ذلك قبل أن تستيقظ من سبات الطفولة، ولما استيقظت الشاعرة من طفولتها بدأت تشعر تلك الأنوار المقدسة كانت تلامسها في فطرتها، وتطرق بابها داعية إلى الله خالقها، وفي هذا تقول الشاعرة:

يا أللهُ!
في الأزمان الغابرة
هل طرقت بابي
في أحلامي؟
وكنت في طفولتي
وصباي
ترعاني؟
وعندما كنت أسير
في الطريق إلى المعبد
والأوراد في شفتي
ألم تضعف حماستي؟
وعندما ناداني أقربائي
من الخلف
ألم تحم مسمعي؟
ألم تبحر سفينتي على عجل
من مرفئها
إلى شواطئ جديدة؟
لم أتبلل بالأمطار الهاطلة،
ولكني تنقّعت
بالأمطار التي لم تهبط أبدا

لقد أعمتني
الدموع المتدفقة...[10]

وهكذا تعالج الشاعرة هذه القضية في ديوانها رنين الثريا، فهي لا تزال تناجي ربها بالخوف والبكاء وبالحب والرجاء، وترى الشاعرة الملجأ الوحيد والملاذ الفريد في ربها سبحانه. وقد كثرت أدوات النداء في هذا الديوان لأنها تناجي ربها وخالقها، وترى الأنس والإيناس في الله عزوجل. والقصيدة حافلة بالمعاني الإسلامية الرائعة التي اكتسبتها الشاعرة من العقيدة الإسلامية، ويمكن أن نقول أن الشاعرة تجيد هذا الجانب الشعري وهو رسم ذاتها الهائمة في العشق الإلهي، والقصيدة تشرح داخليتها وتعرض لنا وصفا شعريا، وكأنها مع محبوبها ومعبودها ومعشوقها الذي تلازمه طوال حياتها.

وحلّت الشاعرة محل الاهتمام في الدائرة الأدبية الإسلامية العالمية لكونها صاحبة قلم فياض، ولكونها اعتنقت الدين الإسلامي بعد دراسة طالت أكثر من عشرين سنة، وإلى هذه الحقيقة يشير نعي العلامة الدكتور يوسف القرضاوي رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين إلى الأمة الإسلامية الأديبة الهندية المسلمة "كملا ثريا"مثنيا على "صدق إيمانها، وشجاعتها، ويقول العلامة القرضاوي في رسالته: "فقدت الساحة الأدبية والثقافية الهندية الأديبة الكبيرة كملا ثريا، التي نالت أعلى الجوائز الهندية في الأدب، والتي رشحت لأكثر من مرة لنيل الجوائز الأدبية العالمية، وهي صاحبة عقل كبير، ونظر متعمق، وفكر متفتح، هداها إلى اعتناق الإسلام بعد دراسة مطولة استمرت سبعة وعشرين عاما، ثم أعلنت إسلامها في جمع من الأدباء المشهورين، ولم تعبأ بتهديدات المتطرفين لثنيها عما هداه إليه تفكيرها وبحثها عن الدين الحق، وهذا يدل على صدق إيمانها، وشجاعتها في إعلان ما تؤمن به"[11]

الحواشي

[1] تهريب الذات من النص، دراسة لمحمد عباس، صفحة 41، مجلة البيان الكويتية، العدد 445، يونيو 2008.

[2]Wikipedia http://en.wikipedia.org/wiki/Kamala_Surayya

[3]Wikipedia http://en.wikipedia.org/wiki/Kamala_Surayya

[4]Wikipedia http://en.wikipedia.org/wiki/Kamala_Surayya

[5]Wikipedia http://ar.wikipedia.org/wiki/شهاب/غانم

[6]قصيدة "يا من ليس له حدود" صفحة 25، رنين الثريا، ترجمة: د. شهاب غانم، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة)، أبوظبي، 1432هـ/2011م

[7]قصيدة "خاتمة المطاف" صفحة 62، رنين الثريا، ترجمة: د. شهاب غانم، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة)، أبوظبي، 1432هـ/2011م

[8]قصيدة "ضيافة" صفحة 93، رنين الثريا، ترجمة: د. شهاب غانم، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة)، أبوظبي، 1432هـ/2011م

[9]قصيدة "اعتذار" صفحة 76، رنين الثريا، ترجمة: د. شهاب غانم، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة)، أبوظبي، 1432هـ/2011م

[10]صفحة 89، ديوان "رنين الثريا"، ترجمة: د. شهاب غانم، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة)، أبوظبي، 1432هـ/2011م

[11]الموقع الرسمي لسماحة العلامة يوسف القرضاوي.
/http://www.qaradawi.net/new

المصادر والمراجع

في اللغة العربية

1. رنين الثريا، لكملا ثريا، ترجمه شهاب غانم، كلمة هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، 2001م.
2. موضوع الغلاف، ثريا حافة الحب العذرى الخالد، مجلة كاليكوت، مجلة ربع سنوية تصدر عن قسم اللغة العربية جامعة كاليكوت، العدد4، يونيو 2010م.

3. مجلة "البيان" الكويتية، مجلة أدبية ثقافية شهرية تصدر عن رابطة الأدباء في الكويت،العدد 445،يونيو 2008
4. شهاب غانم، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.http://ar.wikipedia.org/wiki
5. الموقع الرسمي لسماحة العلامة يوسف القرضاوي
/http://www.qaradawi.net/new
6. صحيفة الجريدة اليومية www.aljarida.com

في اللغة الإنجليزية والملیالمية.

1. *Cheated and Exploited: Women in Kamala Das's Short Stories*, In Mohan G Ramanan and P. Sailaja, *English and the Indian Short Story*, New Delhi: Orient Longman 2000, 117–123
2. *Ente Katha* (Autobiography)Madhavikutty, D.C Books Thrissur, 2010, First Published 1973.
3. Individuality in Kamala Das and in Her Poetry, *English Poetry in India: A Secular Viewpoint*, Eds. PCK Prem and D.C. Chambial. Jaipur: Aavishkar, 2011
4. Kamala Das, Indian writer and poet who inspired women struggling to be free of domestic oppression, Essay by Shahnaz Habib, *The Guardian*, 18 June 2009, London.
5. Kamala Das: Treatment of Love in Her Poetry, Manohar, D. Murali. Gulbarga JIWE, 1999.
6. Madhavikutty Book Show, Madhavi K Kutty Collections, www.indulekha.com
7. Man-Woman Relationship with Respect to the Treatment of Love in *Kamala Das' Poetry". Contemporary Literary Criticism* Vol. 191. Ed. Tom Burns and Jeffrey W. Hunter. Detroit: Thomson-Gale, 2004
8. *Meet the Writer: Kamala Das*, POETCRIT XVI: 1 (January 2003): 83–98
9. *Still a rebel writer*, by, SURESH KOHLI, Aug13, 2006, *Sunday Magazine*, The Hindu.
10. The Rediff Interview/ Kamala Suraiya. Rediff.com. 19 July 2000.
11. Untying and retying the text: an analysis of Kamala Das's My story, by Ikbala Kaura, 1990
12. Wikipedia http://en.wikipedia.org/wiki/Kamala_Surayya

طريقة ريشي الصوفية في كشمير

أ.د. زبير أحمد الفاروقي[**]
ترجمة: أ.د. محمد أيوب الندوي[***]

{ لم تزل كشمير في شمالي الهند من المراكز الرئيسة للتصوف منذ القرن الثالث عشر فصاعدًا، وذلك عندما اضطر عدد كبير من المتصوفة والعلماء للهجرة إلى كشمير نتيجة لتدهور الوضع الأمني في آسيا الوسطى وفي فارس. وإن أول الطرق الصوفية التي دخلت كشمير في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي هي الطريقة السهراوردية التي أسسها أصلا الشيخ ضياء الدين أبوالنجيب السهروردي (المتوفى1167م)، صاحب كتاب "آداب المريدين".[1]}

وأما دخول هذه الطريقة في أرض كشمير فكان على يد سيد شرف الدين الذي كان ينتمي في الأصل إلى تركستان[2]. ومن بين الطرق الصوفية التي دخلت في كشمير طريقة كبراوي التي اكتسبت شعبية عامة وانتشرت هناك انتشارا كبيرا، وأسسها أحمد بن عمر الخوارزمي الذي عرفه الناس باسم نجم الدين كبرى[3]. وقام تلاميذ الشيخ نجم الدين بنشر تعاليم الطريقة الكبراوية في أجزاء مختلفة من العالم الإسلامي. ولكن الشيخ سيد علي الهمذاني هو الذي قام بتعريف هذه الطريقة ونشرها في كشمير. وأما الطريقة النقشبندية فقد قام بتعريفها ونشرها في كشمير

[**] الأستاذ المتقاعد والرئيس الأسبق لقسم اللغة العربية بالجامعة الملية الإسلامية، نيودلهي.

[***] الأستاذ والرئيس الحالي لقسم اللغة العربية بالجامعة الملية الإسلامية، نيودلهي.

الشيخ سيد الهلالي، الذي دخل تلك البلاد في عهد السلطان إسكندر (1389م–1413م). ولكن البلاد التي جاء منها الشيخ الهلالي لم تزل مجهولة ولا يعرفها الناس. ويقال إنه كان تلميذا مباشرا للخواجه بهاء الدين محمد نقشبند[4]. وإنه استقر في قرية آشام في شمال كشمير حيث توفي هو في الرابع عشر من شهر ربيع الأول عام 861هـ الموافق لليوم التاسع من شهر فبراير عام 1457م[5].

وإن الطريقة القادرية، التي قام بتأسيسها أصلا الشيخ عبد القادر الجيلاني البغدادي (471–561 / 1078م–1165م)، دخلت في كشمير في حوالي النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي على يد الشيخ سيد نعمة الله شاه قادري الذي كان – حسب زعمه– من أسرة الشيخ عبد القادر الجيلاني[6].

وإن كشمير معروفة أيضًا لطريقتها المحلية الأصلية للمتصوفين والتي اسمها الطريقة الريشية. وقد تطورت هذه الطريقة في وادي كشمير في أوائل القرن الخامس عشر الميلادي نتيجة لتلاقح المعتقدات الصوفية مع المعتقدات التي عبرت عنها صاحبة المذهب الشيفي للا ديد أو لال ديد أو للا يوغيشوري أو لليشوري.[7] لقد كانت هي من أسرة برهمية وكانت ولدت في منتصف القرن الرابع عشر للميلاد. ولكنها بعد مرور مدة من الزمن على زواجها رفضت الحياة الأسرية وتحولت إلى متعبدة شيفية تتجول في الزي التقليدي للمتسولين.[8] وقد حاول أر. سي. تمبل[9] ومحب الحسن[10] إثبات تأثير الصوفية في شعر للا، ولكنه إثبات غير مقنع.

وكان مؤسس طريقة ريشي الصوفية في كشمير الشيخ نور الدين ريشي الذي ولد في العاشر من ذي الحجة عام 779هـ الموافق التاسع من أبريل 1378م. وكانت حياته محاطة بالخرافات والأساطير. وتقول إحدى هذه الأساطير إن الشيخ نور الدين ريشي تعلم في طفولته كيف يوفق بين كونه سارقا وبين كونه حائكا، ولكنه في كلا الحقلين لم يكن تلميذا شاطرا. وكذلك لم يستطع الحصول على التعليم الديني الرسمي. وتوفي الشيخ ريشي في 26 رمضان 842هـ الموافق 12 مارس 1439م في عهد السلطان زين العابدين[11]. ولكن بعض العلماء المسلمين في

العصور الوسطى سعوا إلى إثبات أن كلمة "ريشي" مشتقة من الكلمة الفارسية، "ريش" والتي تعني الريش أو أجنحة الطيور، بينما يزعم الآخرون أن كلمة "ريشي" مشتقة من التقاليد السنسكريتية والهندية[12].

وكما ذكرنا سابقا، فإن حياة الشيخ نور الدين ريشي، الذي كان اسمه الأصلي ناند فيما يبدو كانت مكتنفة بالخرافات والأساطير. ويقال إنه بعد ولادته لم يكن يمتص الحليب من ثدي أمه. وبعد ثلاثة أيام من ولادته زارته المتقشفة الشيفية المعروفة في كشمير للا ديد صدفة، وتحدثت معه قائلة قولته الشهيرة: "لم تكن خجلا حينما ولدت، فلماذا تخجل من امتصاص الحليب من ثديي أمك؟" فبدأ الطفل يشرب الحليب على الفور[13].

ويذكر أن الشيخ نور الدين قبل اختياره حياة قديس صوفي، كان قد أجبره شقيقاه للانضمام إلى مهنتهما من السرقة والسطو، والتي أشار إليها في الأبيات التالية:

"لقد فقد ينبوع الماء وجوده في النهر.
وقد فقد القديس نفسه بين اللصوص.
وقد فقد الرجل المثقف نفسه في بيت الحمقى.
وقد فقدت الإوزة نفسها بين الغربان."[14]

ومع ذلك، قد ثبت أنه فشل في هذه المهنة، وكذلك فشل في كونه حائكا[15].

وقد ذكر الكاتبان لسيرة حياته، بابا داؤد المشكاتي وعبد الوهاب، قصة قالا فيها إنه ذات مرة كان الشيخ وشقيقه يحاولان اقتحام منزل، إذ صادف أن مرت بهما للا، فصاحت بصوت لها جهوري ونادت نور الدين قائلة: "ماذا تجد في هذا المنزل؟ إذهب إلى منزل كبير (وهو ذات الله تعالى)، فستحصل على كل شيء هناك." وعند سماع ذلك، ترك نور الدين الذي كان في الثلاثين من عمره آنذاك، أخاه على الفور وحفر الأرض في مسقط رأسه وقريته كيموه وبنى له غارا، وتعبد ذات الله فيه

لسنوات عديدة وتاب إلى الله توبة نصوحا، وترك حياة الجرائم التي كان يتورط فيها ولم يرجع إليها أبدا[16].

لا نستطيع أن نقول بالضبط من هو الذي تأثر به الشيخ نور الدين. وفي هذا المجال يقول بعض العلماء إنه تلقى الوعي والإرشاد من الشيخ سيد حسين الذي كان ابن عم الشيخ سيد علي الهمذاني[17]. ولكن بعض العلماء الآخرين مثل شفيع أحمد القادري لم يقبل هذا الرأي في كتابه المعروف "التصوف الكشميري" على أساس أن هناك تناقضا واضحا في بيان المؤلفين لسيرته.[18]

ومع ذلك، فإن التشابه الكبير بين أقوال الشيخ نور الدين وتعاليمه وبين أقوال للا وتعاليمها يوحي بأن هناك علاقة قوية بين الإثنين وكانت الأخيرة مصدر إلهام للشيخ.

فتقول للّا داعية إلى العبادة الروحية ومعارضة للعبادة الرسمية:

"من هم الذين يجلبون أكاليل من الزهور ؟
وما هي الزهور التي يضعونها على الأقدام ؟
وما هو الذي يرمونه على الصورة ؟
وماذا يتحدث ذات شانكار"؟

ويشير نور الدين إلى هذا الأمر ويقول:

"لا تصبح ريشيا لمجرد سجودك،
ولا ترفع المدقة في طاحونة الأرز رأسها أبدا،
والعقل لا ينظف بمجرد استحمامك،
ولا يصعد السمك والقضاعة إلى الشاطئ أبدا"[19].

وتتحدث للا عن علامات المجتمع الفاسد فتقول:

"في هذه الأوقات الشريرة هل تخضع الطبيعة
للذين يمشون في الطرق غير المشروعة،
وقد نضجت الآن الثمار مثل الكمثرى والتفاح في فصل الخريف،

مع المشمش لأيام الصيف.
في الأيام القادمة من العار والغضب
الأم وابنتها، يدا بيد،
الغرباء الذين يدنون يتجولون هناك.
والرجال والنساء في فرقة الشر"[20].

ويتحدث الشيخ نور الدين أيضًا عن نفس الأمر، فيقول:

"يتحول الوقت إلى زمن شر بل وأكثر شرورا،
وتتغير الطبيعة البشرية بنفسها إلى أسوأ،
وإن الثمار مثل الكمثرى والتفاح التي يحين وقت نضوجها في أواخر الخريف
سوف تتغير وتنضج مع المشمش في نهاية موسم الأمطار،
الأم وابنتها يدا بيد، وسوف
تتمتعان بأيامهما مع الغرباء"[21].

وفي المقولة التالية، يصف الشيخ نور الدين للا بأنها صورة رمزية للإله، وذلك يدل دلالة واضحة بلا شك أنه كان قد تأثر بشخصيتها فيقول:

"إن للا التي كانت من سكان بدمان بور
التي كانت قد شربت الرحيق المختوم
وهي مرشدة روحية ومتعبدة للرب
يا الله، أضف علي نفس (القوة الروحانية) التي كانت لها.[22]"

ورغم أن الشيخ نور الدين، كما لاحظ عبد القدير رفيقي، كان متأثرا جدا بللا، ولكن تأثيرها لم يجعله هندوسيا في شكل ريشي مسلم. ومع كل ذلك، كان الشيخ نور الدين وأتباعه يفضلون أن يسموا أنفسهم ريشي بدلا من الصوفية[23]. ولم يتلق الشيخ نور الدين تعليما رسميا ولم يورث شيئا مكتوبا. وقد توارث الأجيال التالية من آثاره وتعاليمه ما تكلم به شفهيا، وجمعت تعاليمه في شكل كتاب بمائتي سنة بعد

وفاته، وفي وقت لاحق تم تحريرها في الكتابة الفارسية التي كتبها محمد أمين كامل تحت عنوان نور نامه. وفي عام 1920م نقل السير جورج غريرسون هذه المجموعة إلى اللغة الإنجليزية والتي تلتها ترجمة السير ريتشارد كارناك تمبل في عام 1924م. وإن الموضوع الرئيسي لأقواله وتعاليمه هو وحدانية الله. فيقول:

"إنه إله واحد،
ولكن، له مئة اسم.
ليس هناك شفرة واحدة من العشب،
أولا كنت على يقين أنه لا إله إلا الله،
ثم جعلت نفسي عارفا بالوحي الإلهي،
أولا نسيت نفسي واشتقت إلى الله،
ثم وصلت إلى لا مكان."[24]

وإن تعاليم الشيخ نور الدين مرتبطة أساسًا بالإنسان الذي يعتمد اعتمادا كاملا على ذات الله، ويحبه ويخلص له شديدا، وكذلك إنها مرتبطة بكفرانه لله وعدم مبالاته بعبادته. وكان الشيخ يعتقد اعتقادا جازما أن نفس الإنسان هي أكبر عقبة في طريقه إلى الله. وإن السيطرة على النفس هو موضوع آخر يغلب على قول الشيخ وأتباعه: قال الشيخ:

"إن النفس قد أزعجتني كثيرا،
وإن النفس أهلكتني تماما.
وإنها هي النفس التي تجعلنا ندمر الآخرين،
وإن النفس عبد للشيطان،
وإن خدمة النفس هي قذف الرماد
في عين نفسه،
فكيف يتوقع من الإنسان أنه يرى
وإن النفس مثل العجل المتمرد،

الذي كان من الواجب أن يقيد بالأغلال.
ويجب أن نهدد النفس بعصا الصيام.
"وإن الشهوة هي مثل خشب الغابة المعقود بالحزام،
فإنه لا يمكن أن يحول إلى الألواح والأعمدة أو المهود
وإن الذي يقطع الخشب ويجمعه
سوف يحرقه في النار ليكون رمادا."[25]

لا تقتصر تعاليم الشيخ نور الدين على المواضيع المذكورة أعلاه، ولكنه يؤكد في نفس الوقت على الحاجة إلى وجود مجتمع قائم على المبادئ الأخلاقية والوئام التام بين جميع الأديان. فيقول الشيخ:

"نحن ننتمي إلى نفس الوالدين،
ثم لماذا هذا الاختلاف؟
وينبغي للهندوس والمسلمين جميعًا
أن يعبدوا الله وحده.
ولقد جئنا إلى هذا العالم مثل شركاء،
علينا أن نتقاسم أفراحنا
وأحزاننا معا."[26]

وإن الشيخ نور الدين يدين الصفات الأكثر شيوعا في طبيعة الإنسان وهي الغضب والكبرياء والبخل، إدانة كبيرة بأشد العبارات. وإنه يعتبر الملا (رجال الدين المتزمتين) من المنافقين من زمانه الذين يبيعون صلواتهم وصيامهم مقابل طعامهم. فيقول:

"يا ملا إن مسبحتك هي مثل الأفعى،
أنت تبدأ في عد حباتها عندما يدنو منك أتباعك.
أنت تأكل ست وجبات واحدة تلو الأخرى،
إن كنت أنت ملا فمن هم اللصوص إذا؟"[27]

ومن أبرز أتباع الشيخ نور الدين الشيخ بهاؤ الدين والشيخ زين الدين والشيخ لطيف الدين والشيخ نصر الدين والشيخ قيام الدين وهم بدورهم لهم أتباع آخرون أيضًا.

وإن طريقة ريشي الصوفية تختلف تماما من الطرق الصوفية الأخرى من حيث فلسفتها وطريقة حياتها، وقد أشاد بذكره العديد من الكتاب بمن فيهم أبو الفضل الذي كتب في حياة وآثار الكشميريين من الصوفية من هذه الفترة. ويكتب أبو الفضل:

"إن طبقة الناس التي تجدر بالاحترام أكثر من غيرها في هذه البلاد (كشمير) هي طبقة ريشي، فإنهم وإن لم يتخلوا عن الأشكال التقليدية والعرفية للعبادة (التقليد)، صادقون في عبادتهم. وإنهم لا يدينون الناس الذين ينتمون إلى ديانات مختلفة. وإنهم لا يملكون لسان الرغبة ولا يسعون للحصول على الأشياء الدنيوية. وإنهم يزرعون الأشجار المثمرة لكي يستفيد منها الناس ويمتنعون عن أكل اللحوم ولا يتزوجون."

كان متصوفو طريقة ريشي يبتعدون على وجه العموم عن الزواج ويبقون عزابا إذ أنهم كانوا يعتقدون أن العائلة عائق كبير في سبيل تحقيقهم مكانة القديسين. وقد اعترف الشيخ نور الدين بأن أكل اللحوم رغم كونه مسموحا به في شريعة الإسلام قساوة على الحيوان.

وهكذا يكتب الإمبراطور جهانكير:

"رغم أنهم (متصوفو ريشي) لم يحصلوا على الكثير من العلم والمعرفة ولكنهم عاشوا حياة بسيطة وغير متباهية، ولم ينتقدوا أحدا ولم يطلبوا شيئًا من أحد. وإنهم ما كانوا يأكلون اللحم ولا يتزوجون. وإنهم كانوا دائما يزرعون الأشجار المثمرة في المناطق غير المأهولة، لكي يستفيد الناس من أعمالهم. ولكنهم أنفسهم لم يأملوا أبدا أن يجنوا الثمار من هذه الأشجار."[28]

ويبدو أن المتصوفين المسلمين من الطريقة الريشية من كشمير، والذين جمعوا بين التقاليد الصوفية الهندوسية والإسلامية، كانوا متشابهين تشابها قويا بنظرائهم الهندوس والبوذيين واليانيين. ويصف بابا داود الخاكي صفة ريشي بأنه زاهد يعيش حياة منضبطة تختلف تماما عن غيره من القديسين. وهو مطلق غير مقيد من كل الملذات الدنيوية. ويعتبرهم بابا نصيب كرماء صالحين، ويذكر أنهم رجال ذوو قلوب نقية صافية. وإن وجودهم في أراضي كشمير قد جعلتها جنة حسب قوله. ولأجل إبعادهم أنفسهم من جميع العلاقات الدنيوية، تجدهم لا يتزوجون ولا تهمهم علاقتهم مع الحياة الأسرية. وإن التقوى هي لباسهم الخاص (khirqa)؛ ويكرسون لياليهم للعبادة وأثناء النهار يعبدون ربهم متواصلين وباستمرار. وبما أنهم تخلوا عن رغباتهم الدنيوية، فقد نجحوا في التغلب على شهواتهم الجسدية.

وبما أن متصوفي الطريقة الريشية من كشمير كانوا صادقين في التزامهم للنمو الروحي وفلسفة وحدة الوجود، قاموا بعملية خلق الوئام التام والانسجام بين أتباع الديانات المختلفة. فعلى سبيل المثال كان رد فعل الشيخ نور الدين على التوتر بين الهندوس والمسلمين في عهد السلطان إسكندر على النحو التالي:

"نحن ننتمي إلى نفس الوالدين،
ثم لماذا هذا الاختلاف؟
وينبغي للهندوس والمسلمين جميعًا
أن يعبدوا الله وحده.
ولقد جئنا إلى هذا العالم مثل شركاء،
علينا أن نتقاسم أفراحنا
وأحزاننا معا."[29]

ومما يميز أسلوب الشيخ نور الدين والمتصوفة الآخرين من الطريقة الريشية أن رسالتهم ليست محدودة للمسلمين فقط بل إنها موجهة إلى الناس جميعا ولا تقتصر على ديانة دون أخرى. وبما أنهم يخاطبون جميع الناس العاديين فقد أعربوا

عن أفكارهم بلغة بسيطة جدا يفهمه الجميع. وإن النقطة المركزية في رسائلهم هي الوحدة الإلهية.

وفي الحقيقة لم يكن تطور الطريقة الريشية قد حدث في فراغ. بل كان قد تم إعداد الأرضية لها عن طريق المتصوفة من الطرق السابقة الذين جاءوا من آسيا الوسطى ونشروا رسالة الوئام الطائفي، كما نلاحظ في الأبيات التالية للصرفي الذي كان من المتصوفين من الطريقة الكبراوية.

"يا صرفي ماذا تستفيد من ذهابك للحج،
إذا لم تكن الكعبة، والمعبد والحانة تطابق شئونكم.
ويا صرفي ! وكما أن شعاعا في كل الجوانب
قد نزل من وجهه ليضيئ الليل،
من المستحيل لك أن تقول إن (معبد) سومناث ليس فيه
ضوء من الكعبة.
وأرى أن الوجه الوسيم يظهر في
كل ما لاحظت،
ولو أنني أنظر في مائة ألف
مرآة لايظهر فيها إلا وجه واحد.[30]"

وقد ذهب بعض الصوفية من الطريقة الكبراوية في حماسهم لتحقيق الوئام الديني إلى حد أنهم عبروا عن حبهم للأصنام والآلهة. فعلى سبيل المثال، يسمي الشيخ يعقوب نفسه كافر الحب الإلهي ويرغب في إحراق نفسه في النار، ويؤكد أن إيمانه هو حب الأصنام.

وتجدر الإشارة إلى أن الصوفية في كشمير كان لهم نفوذ مهيمن على المجتمع، وهذا هو السبب الذي جعل المجتمع الكشميري المسلم مختلفا عن المجتمع المسلم في أي جزء آخر في الهند. وهذا ما جعله يسخر من رجال الدين التقليديين وينقدهم نقدا لاذعا ويعتبرهم منافقين. ويتحدث الشيخ نور الدين عنهم ويصفهم على

النحو التالي: "إنهم يرتدون العمائم الكبيرة والملابس الطويلة وإنهم يحملون العصي في أيديهم، ويذهبون من مكان إلى آخر ويبيعون صلواتهم وصيامهم مقابل الغذاء والطعام". وكان الصوفية من الطريقة الريشية يبغضونهم ويكرهونهم.

"ويبدو كأن المرشد الروحي هو وعاء مليئ بالرحيق،
الذي قد يتقاطر في شكل قطرات.
ووجود كومة من الكتب بجانبه،
وربما كان هو في حيرة وتذبذب بعد قراءتها.
وبعد ما جربناه بدقة وجدناه فارغا لا عقل له.
وربما هو يعظ الآخرين وينسى نفسه ".
"يا ملا إن مسبحتك هي مثل الأفعى،
أنت تبدأ في عد حباتها عندما يدنو منك أتباعك.
أنت تأكل ست وجبات واحدة تلو الأخرى،
إن كنت أنت ملا فمن هم اللصوص إذا؟"
و"يوجد رجال كالي يوكا في كل بيت
ويدعون أنهم قديسون،
وكما تفعل العاهرة عندما ترقص.
إنهم يدعون أنهم أبرياء ولطفاء للغاية،
وإنهم لا يزرعون الخضار ولا بذور القطن والحبوب.
وسوف يتفوقون لصوصا في حياتهم بوسائل غير مشروعة.
ولكي يخفوا أنفسهم سوف يذهبون إلى غابة.[31]"

ويبدو أن الصوفية من الطريقة الريشية قاموا بالاحتفاظ ببعض تقاليد اليوغا الهندوسية مع بعض التغيير أو إضافات. وهي تشمل تقنيات تأملية معينة، مثل برانایاما. وأضاف الصوفية تكرار كلمة "الله هو" إلى طريقتهم التأملية.

وتذكر الكتب التاريخية أنه يمكن أن ترجع أسباب انتشار الإسلام في كشمير إلى الحركة الدعوية المستدامة التي استمرت لمدة طويلة على يد المتصوفين من الأولياء والمرشدين والدراويش والعلماء في الإقليم الذي كان– في تعبير و. ر. لورانس في كتابه ("وادي كشمير")– بلد السكارى والمقامرين.

ويرى الدكتور م. أ. شتاين في مقدمة ترجمته الإنجليزية لكتاب "راج ترانجيني" أن الإسلام جاء إلى وادي كشمير عن طريق دخول الناس تدريجيا في الإسلام الذي سهله تدفق الدعاة المغامرين الأجانب من جنوب ووسط آسيا مثل بلبل شاه وغيرهم. وقد قام الشيخ شرف الدين سيد عبد الرحمن التركستاني، وهو الصوفي الذي كان يعرف باسم بلبل شاه، بدور كبير في نشر الإسلام في كشمير. وإنه هو الذي كان له الفضل في إدخال رانتشان شاه في الإسلام الذي أصبح أول حاكم مسلم في كشمير ولقب بالسلطان صدر الدين.

وقد أشاد المؤرخان فرشته وأبو الفضل أيضًا بالمتصوفين من الطريقة الريشية وطريقتهم في الحياة التي تميزت بالامتناع عن الترف، وكانوا يعيشون على الثمار البرية في الجبال، حيث كانوا يقضون حياتهم في العزلة والتأمل. ولا يزال الكثير من المزارات أو الأضرحة، التي كانوا قد شيدوها باقية مع تقاليد مؤسسيها.

ويعتبر الشيخ نور الدين القديس الوطني في كشمير، إذ أن أبويه كانا ينتميان إلى عائلة الملوك من منطقة كيشتوار واللذان دخلا بعدئذ في الإسلام. وكما تحدثنا سابقا أنه كان ولد في قرية تدعى كيموه، عام 1379م. وإنه تخلى عن الحياة الدنيوية في وقت مبكر من حياته، ولجأ إلى الكهوف للتأمل والتدبر. ويقال إنه قضى إثني عشر عاما من حياته عائشا على أكل العشب مع كوب من الحليب يوميا، وأخيرا على الماء فقط لمدة عامين ونصف قبل أن توفي في سنه الثلاث والستين في عهد السلطان زين العابدين عام 1442م. ويزور يوميا آلاف من الناس ضريحه في تشارار شريف، الذي يبعد 15 كيلومترا عن مدينة سريناغار (العاصمة).

السيد إيه. آر، نازكي، مدير إقليمي، مكتب إقليمي للمجلس الهندي للعلاقات الثقافية، سري نغر، والسيد C. راجا سيكهار، المدير العام للمجلس الهندي للعلاقات الثقافية، وصاحب السمو حاكم ولاية جامو وكاشميرالسيد إين. إين. فوهرا، والبروفيسور خورشيد أندرابي، شيخ الجامعة، جامعة كاشمير ، والبروفيسور جي. إين. خاكي، مدير مركز دراسات أسيا الوسطى، جامعة كاشمير، بمناسبة الجلسة الافتتاحية للمؤتمر حول ***" طريقة ريشي _الصوفية في كاشمير"*** المنعقد في سري نغر ، جامو وكاشمير ما بين الفترة 27-25 أكتوبر 2015م.

السيد C. راجا سيكهار، المدير العام للمجلس الهندي للعلاقات الثقافية، نيو دلهي، مع الفنانين بمناسبة المؤتمر حول " طريقة ريشي _ الصوفية في كاشمير" المنعقد في سري نغر ، جامو وكاشمير ما بين الفترة 27-25 أكتوبر 2015م.

يؤدي الفنانون الموسيقى بمناسبة أمسية الموسيقى"صوفيانه" التي نظمتها أكاديمية كاشمير للفن والثقافة واللغات بمناسبة المؤتمر حول " طريقة ريشي _ الصوفية في كاشمير" المنعقد في سري نغر ، جامو وكاشمير ما بين الفترة 27-25 أكتوبر 2015م.

السيد فاروق عبدالله، كبير الوزراء الأسبق لولاية جامو وكاشمير، مع السيد C . راجاسيكهار، المديرالعام للمجلس الهندي للعلاقات الثقافية، ومع الفنانين.

صاحب السمو حاكم ولاية جامو وكاشمير السيد إين. إين. فوهرا، وكبيرالوزراء الأسبق لولاية جامو وكاشمير السيد فاروق عبدالله، والمديرالعام للمجلس الهندي للعلاقات الثقافية السيد C.راجاسيكهار، وكبار الشخصيات الآخرى يتمتعون بالأمسية الثقافيةبمناسبة المؤتمر حول " طريقة ريشي _ الصوفية في كاشمير" المنعقد في سري نغر ، جامو وكاشمير ما بين الفترة 27-25 أكتوبر 2015م.

واعتنق الإسلام عدد كبير من الناس بعدما أعجبوا ببساطته في حياته ووضوح تعاليمه ومواعظه.

****

ملحوظة:

بالتعاون مع جامعة كاشمير وجامو وأكاديمية كاشمير للفن والثقافة واللغات، نظم المجلس الهندي للعلاقات الثقافية مؤتمرا دوليا حول موضوع "طريقة ريشي- الصوفية في كاشمير" بسري نغر، جامو وكاشمير، ما بين الفترة 25-27 أكتوبر 2015م.

قام بافتتاح هذا المؤتمر صاحب السمو حاكم ولاية جامو وكاشمير السيد N.N. Vohra في 25 أكتوبر 2015م. وشارك في هذا المؤتمر الأكاديميون والباحثون من الهند والولايات المتحدة والمملكة المتحدة وإيران وبنغلاديش وأفغانستان، وقدموا مقالات وبحوثا حول طريقة ريشي- الصوفية التي تمتد جذورها إلى العهد القديم والتي كانت سائدة في الوادي قبل قرون، كما أبرزوا أهميتها في الوقت الحاضر الذي يتسم بأيدولوجيات الراديكالية والكراهية المتنامية بين الناس.

وقام بإلقاء الخطاب الاختتامي معالي الوزير للتعليم والتربية، حكومة جامو وكاشمير، السيد نعيم أختر في 27 أكتوبر 2015م. (تلقت إدارة التحرير لمجلة "ثقافة الهند" هذه المعلومات عن المؤتمر من المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، نيودلهي، الهند)

المراجع

1. (Abdur Rahman Jami, Nafhat-ul-Uns, p. 209, Abdul Qaiyum Rafiqi, Sufism in Kashmir, Delhi, p. 16)
2. (Dawud Mishkati, Asrarul Abrar, f.44a, Muhiu`d Din Miskin, Tarikh-i-Kabir, p. 6, Sufism in Kashkir, p. 17)
3. "Kubra" is an abbreviation of his title given by his fellow students due to his victories in debates. Qazi Nurullah Shustri, Mjalisul Muminin, p. 286.)

4. Muhammad Azam, Tarikh-i-Azmi, p. 54, Futuhat-i-Kubravia, f. 76a; p. 29, Sufism in Kashmir, p. 125.
5. (Tarikh-i-Azmi, p. 54, Tarikh-i-Hasan, III, p. 40, Sufism in Kashir, p. 126).
6. (Muhammad Husain Qadiri, f. 206a; Futuhat-e-Qadiri, Tarikh-i-Hasan, III, p. 62, Tarikh-i-Kabir, p. 51.
7. S.A.A. Rizvi, A History of Sufism in India, Munshi Ram Manoharlal, Delhi, 1978, p.p. 349-50.
8. Ibid, p. 349.
9. R.C. Temple, The words of Lalla, Cambridege, 1924, pp. 1-5.
10. Muhibbul Hasan, Kashmir under the Sultans, Calcutta, 1959, pp. 238-39.
11. S.A.A. Rizvi, A History of Sufism in India, Munshi Ram Manoharlal, Delhi, 1978, p.350.
12. Sufism in Kashmir, Abddul Qaiyum Rafiqi, Delhi, p.134.
13. Ibid, p. 137.
14. Nur Nama, ed. Muhammad Amin Kamil, p. 172, Sufism in Kashmir, Abdul Qaiyum Rafiqi, Delhi, p. 138.
15. Ibid, p. 139.
16. Ibid, p. 141.
17. Ibid, p. 142.
18. Shafi Ahmad Qadri, Kashmiri Sufism, p. 228, Srinagar, 2002.
19. Temple, The Word of Lalla, p. 1889. Ibid, p. 219.
20. Nur Nama, p. 53, Sufism in Kashmir, Abdul Qaiyum Rafiqi, Delhi, p. 147.
21. Nur Nama, p. 53, Sufism in Kashmir, Abdul Qayum Rafiqi, Delhi, p. 147.
22. S.A.A. Rizvi, A History of Sufism in India, V.I, p.351.

23. Nur Nama, pp. 39, 154 A.Q. Rafiqi, Sufism in Kashmir, Delhi, p. 152.
24. A. Q. Rafiqi, Sufism in Kashmir, Delhi, pp. 15-56.
25. Ibid, p. 158.
26. Dawud Mishkati, Asraru`l Abrar, ff. 236a-b., S.A.A. Rizvi, A History of Sufism in India, v.I, p. 350.
27. Qadri, pp. 235-36.
28. Sultan Shahin, J & K Insights, www.jammu-kashmir.com.
29. Ibid.
30. Ibid.
31. Qadri, pp. 235-36.

إيه بي جيه عبد الكلام في خدمة الوطن

أ.د. مجيب الرحمن[**]

[مع كثرة الحديث عن إيه بي جيه عبد الكلام وإسهاماته المتنوعة في بناء الوطن بُعيد رحيله عن الدنيا قبل شهور، يدرك المتأمل في سيرته أن هذا الكثير قليل جدا نظرا إلى خدماته الاستثنائية للوطن وأهله ومدى إخلاصه وتفانيه في هذا المجال، سوف يسعى هذا البحث الوجيز إلى عرض موجز لإسهامه في مجال تطوير مقدرات الهند الدفاعية والتسليح النووي وأبحاث الفضاء وقيادته الفكرية الملهمة للشعب الهندي كعالمٍ فريدٍ وباحثٍ جليل وإداري تكنولوجي فذٍّ وكاتبٍ ملهمٍ وحالمٍ طَموحٍ بمستقبل زاهرٍ للوطن ورئيسٍ للشعب الذي ترك وراءه قدوة نيرة لرجال السياسة]

ميلاده ونشأته ومشواره المهني

ولد عبد الكلام عام 1931 بقرية (جزيرة) راميشوارام بولاية تاميلنادو في جنوب الهند في أسرة فقيرة، كان أبوه زين العابدين إماما في مسجد راميشوارام الذي ربى ابنه فأحسن تربيته، وأثر تأثيرا عظيما في حياته، يقول عبد الكلام عن ذلك "لقد حاولت طول حياتي لأن أقتدي والدي في عالمي الخاص بالعلوم والتكنولوجيا، سعيت لأن أفهم الحقائق الأساسية التي كشفها والدي عليّ ووصلت إلى قناعة تامة وإيمان كامل بوجود قوة إلهية تستطيع أن تنتشل المرء من الالتباس والتعاسة والكرب والفشل وتقوده إلى مكانه الحقيقي، وحالما يقوم المرء بقطع أواصره العاطفية والمادية

[**] الأستاذ والرئيس، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي.

فإنه يسير على طريق الحرية والسعادة وراحة البال" [1] كان إيه بي جيه عبد الكلام أصغر خمسة أولاد أبويه، لم تكن الأوضاع الاقتصادية للأسرة جيدة فاضطر الولد الصغير عبد الكلام إلى بيع الصحف لدعم دخل أسرته التي كانت تعاني من الفقر. ولكن فقره لم يستطع أن يحول دون تحقيق حلمه، بعد إكمال الثانوية في مدرسة شوارز العالية بـ راماناثوبورام التحق بكلية سانت جوزيف في تيروتشرابالي وحصل على شهادة البكالوريوس في الفيزياء، ثم أدرك أن مجال عمله وشغفه ليس الفيزياء بل الطيران فاتجه إلى مدراس والتحق بقسم هندسة الطيران في معهد مدراس للتكنولوجيا في عام 1960، ثم شرع على رحلة علمية حفلت بإنجازات مدهشة وجعلته أحد كبار علماء الهند في القرن العشرين.

باشر عبد الكلام حياته المهنية في عام 1960 بالعمل مع مؤسسة تطوير الطيران (ADE) الواقعة في بنجالور والتابعة للمنظمة الهندية لأبحاث وتطوير الدفاع (DRDO) وعين هناك رئيسا لمشروع تطوير طائرة هيليكوبتر ونجح بالفعل في تطوير طائرة هيليكوبتر وسماها "ناندي" [2] وكان رفيقه في الرحلة التجريبية الأولى وزير الدفاع آنذاك السيد كريشنا مينون، ورغم نجاح المشروع لم يتقدم إلى الأمام بسبب تغير الوزير الذي لم يبد رغبة في المضي قدما بالمشروع مما أصابه بخيبة أمل شديدة[3] ثم شاءت الأقدار أن يعمل تحت إشراف أبي برنامج الفضاء الهندي الأسطوري الدكتور فيكرام سارابهائي في اللجنة الهندية لأبحاث الفضاء (INCOSPAR) وهي سابقة للمنظمة الهندية لأبحاث الفضاء (ISRO) بصفته مهندسا صاروخيا، وتم ابتعاثه إلى منظمة "ناسا" NASA الأمريكية ليتدرب على فن وهندسة الصاروخ لمدة ستة شهور أفادته كثيرا في مشواره كعالم صاروخي بعد عودته إلى الهند، وقد ذكر في سيرته الذاتية أنه رأى لوحة معروضة بشكل بارز في صالة الاستقبال بمركز والوبس للطيران بجزيرة والوبس في الساحل الشرقي بفرجينيا وعرضت اللوحة مشهدا لمعركة تطاير في خلفيتها عدد من الصواريخ، وأدرك أن المشهد يصور معركة الملك تيبو سلطان مع البريطانيين، فسعد جدا أن اللوحة

صورت حقيقة تناساها أهل الهند ولكن "ناسا" قامت بتمجيد شخصية هندية كبطل لصناعة الصواريخ الحربية.[4] بعد عودته من أمريكا عمل عبد الكلام على إطلاق أول صاروخ في الهند "نايك أباشي" أمريكية الصنع من محطة إطلاق ثومبا قرب تريفاندرام في 1963، وعكف عبد الكلام على تطوير أنظمة الصاروخ والأقمار الاصطناعية الهندية بالتكنولوجيا المحلية تحت قيادة الأستاذ فيكرام سارابهائي "الذي اتخذ سلسلة من القرارات التي أصبحت هدف ومهمة حياة الكثير من العلماء والمهندسين. "كنا نقوم بتطوير صواريخنا، وعربات إطلاق الأقمار الاصطناعية الخاصة بنا، والأقمار الاصطناعية الخاصة بنا، وتم كل ذلك معاً وفي وقت واحد بطريقة متعددة الأبعاد"[5]. واستطاع عبد الكلام تحت قيادة فيكرام سارابهائي والعمل مع مجموعة من العلماء والمهندسين تطوير أول صاروخ محلي الصنع "روهيني–75" وجرى إطلاقه في 20 نوفمبر 1967، ثم كلفه الأستاذ سارابهائي بمشروع تطوير نظام الإقلاع بمساعدة الصاروخ (ROTA) للطائرات العسكرية التي من شأنها أن تساعد الطائرات الحربية على الإقلاع من المدارج القصيرة في جبال الهملايا. وبعد مدة من العمل مع مجموعة من المهندسين والعلماء نجح عبد الكلام في تطوير محركات ROTA للطائرات الحربية الهندية وتم اختبارها بنجاح في 8 أكتوبر 1972 في محطة بريلي للقوات الجوية الواقعة في أوترا براديش.

وفي عام 1968 قرر الأستاذ فيكرام سارابهائي تطوير عربات هندية لإطلاق الأقمار الاصطناعية التي كان لها فوائد اقتصادية كثيرة في رأي عبد الكلام، واختار إيه بي جيه عبد الكلام ليقود مشروع تطوير عربة إطلاق الأقمار الصطناعية–3 (SLV-III) الذي وضع القمر الاصطناعي "روهيني" على المدار بنجاح في عام 1980 وانضمت الهند بذلك مصاف الدول النخبة في العالم التي تمتلك مقدرة إطلاق الأقمار الاصطناعية، وتقدمت الهند بخطى حديثة في مجال إطلاق الأقمار الاصطناعية لتتنوع إلى مختلف أنواع عربات قطبية لإطلاق الأقمار الاصطناعية (PSLV) وغيرها.

وفي عام 1982 قررت الحكومة الهندية أن تنقل عبد الكلام إلى المنظمة الهندية لأبحاث وتطوير الدفاع (DRDO) من المنظمة الهندية لأبحاث الفضاء (ISRO) التي عمل فيها 18 عاما على مختلف المشاريع ليعمل على برنامج متكامل لتطوير الصواريخ الموجّهة (IGMDP) وتم تعيينه مديرا لمختبر أبحاث وتطوير الدفاع (DRDL) في حيدر آباد الذي يعتبر من أهم مؤسسات DRDO وكلفته الحكومة بتطوير نظام هندي متطور ومتكامل وموجه للصواريخ، كانت المهمة صعبة ولكنها مثلت فرصة رائعة له للابتكار واستغلال أمثل للمقدرات العلمية والتكنولوجية للعلماء والمهندسين الهنود، واعتمدت الحكومة الهندية مبلغ 388 "كرور" روبية (38.8 مليون) في عام 1983 لهذا البرنامج مما ملأ عبد الكلام ورفقاؤه حماسة وحيوية، واقتضى تضافر ومشاركة موارد وجهود عدد هائل من المؤسسات العلمية والتكنولوجية في الهند البالغ عددها 78 مؤسسة التي شاركت في تنفيذ البرنامج والتي شملت 36 من مراكز التكنولوجيا و41 من مراكز الإنتاج من القطاع الحكومي ومصانع الأسلحة والصناعات الخاصة والجمعيات المحترفة تعمل وتتعاون في تحقيق أهداف البرنامج، وذلك كله تحت قيادة وإشراف الدكتور إيه بي جيه عبد الكلام، وتمخض عن نتائج مرضية جعلت البلاد تحرز الاكتفاء الذاتي في أسلحة الدفاع الحديث إذ بدأت DRDO بالإطلاق التجريبي للصواريخ الهندية محلية الصنع مئة في المئة بدأ من صاروخ "بيرتهيوي" (PRITHVI) (صاروخ أرضي – أرضي) و "تريشول" (TRISHUL) (صاروخ أرضي – جوي لاستخدام القوات البحرية)و "آكاش" (AKASH) (صاروخ أرضي – جوي) و "ناغ" (NAG) (صواريخ مضادة للدبابات)، و"أغني" (AGNI) (صواريخ متوسطة وطويلة المدى القادرة على ضرب الأهداف على بعد 7000–8000 كيلومتر، ودخلت أنظمة الصواريخ المذكورة الخدمة الدفاعية في القوات البرية والبحرية والجوية الهندية وأعلنت DRDO في عام 2008 أن برنامج IGMDP قد حقق أهدافه بنجاح إذا تم إدخال معظم الصواريخ في القوات المسلحة الهندية.[6]

المهم أن عبد الكلام استطاع أن يحول منظمة DRDL التي لم يوجد لديها أي إنجاز مهم يُذكر رغم احتضانها عدداً لا بأس به من المهندسين والعلماء الشباب من ذوي الكفاءات والمواهب الفائقة حسب رأي عبد الكلام، ولكنه استطاع أن يدرك خطورة المسؤولية الملقاة على كاهله وقام بنفخ روح جديدة في المنظمة وقام بإدارة بارعة للموارد فحدد المواهب ووزع الأدوار وتواصل مع المنظمات والمؤسسات وهكذا قام بتكوين شبكة مترابطة ومتماسكة يقوم كل جزء منها بدور معين واستطاع أن يحقق نتائج باهرة في هذا المشروع العملاق، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على براعته الاستثنائية في الإدارة الهندسية، وفي الحقيقة يتمثل عبد الكلام أمامنا ليس كعالم وباحث ومخترع فريد من نوعه بل أيضا كمدير ناجح جدا وقائد جليل للمشاريع التكنولوجية الضخمة [7]التي تعلمها حسب رأيه من أساتذته ومربيه وزملائه الأستاذ فيكرام سارابهائي، والأستاذ ساتيش دهاوان، والأستاذ براهما براكاش.

وعلى رغم انشغاله بتطوير أنظمة الصواريخ في DRDO بقي عبد الكلام مهتما ومرتبطا بمشاريع الفضاء المختلفة التي كانت ISRO تعمل عليها بعد انضمامه إلى الأولى، وفي الحقيقة ظل عبد الكلام القوة الملهمة في المشاريع اللاحقة مثل "شاندريان-1" (مشروع اكتشاف القمر" و "مشروع اكتشاف المريخ" [8]اللذين حققهتما المنظمة بنجاح باهر وتكلفة زهيدة.

وبنجاح أنظمة الصوارخ الهندية التي جعلت الهند دولة ذات الاكتفاء الذاتي في أنظمة الدفاع الحديثة بدأت شهرته تطبق في الآفاق، عينته الحكومة الهندية المستشار العلمي الرئيسي لرئيس الوزراء الهندي وسكرتير DRDO في عام 1992، وقام بدوره السياسي والتكنولوجي المهم في إطلاق التجارب النووية "بوخران-2" في سنة 1998 كما قام بدور مهم بصفته منسقا للمشروع مع العالم النووي والفيزيائي المشهور شيدامبارام خلال مرحلة الاختبار[9] وجعلته التغطيةُ الإعلامية الواسعة لنجاح التجارب النووية من أشهر العلماء النوويين في الهند.

إيه. بي. جيه. عبد الكلام شارحا نتائج عربة إطلاق القمر الاصطناعي PSLV-3 إلى رئيسة وزراء الهند إنديرا غاندي برفقة البروفيسور ساتيش دهافان.

إيه بي جيه عبد الكلام يستلم جائزة "بهارات راتنا" أعلى الأوسمة المدنية في الهند من رئيس جمهورية الهند كيه آر نارايانان في عام 1997.

عبد الكلام الشاب يقوم بتجميع أحد الصواريخ في محطة الإطلاق "ثومبا" في ستينيات القرن الماضي.

يستعد رئيس جمهورية الهند إيه بي جيه عبد الكلام ليتشارك في قيادة الطائرة الحربية الروسية الصنع من طراز SUKHOI 30 MKI في بونة في 8 يونيو 2006.

إيه بي جيه عبد الكلام في الزي العسكري خلال الاختبارات الصاروخية النووية.

يتلقى الرئيس عبد الكلام الأزهار من مجموعة من الأطفال الأيتام في مجمع معبد داكشينيسوار راما كريشنا آديابيثا الذي يقع على بعد حوالي 20 كيلو ميتر من كولكاتا في عام 2004، بعد أن قام بافتتاح مجمع سكني لـ 1000 طفل يتيم داخل مجمع المعبد.

أحد الإنجازات المهمة لـ إيه بي جيه عبد الكلام التي ربما لا يعرفها كثير من الناس أنه قام باختراع دعامة الشرايين التاجية بتصنيعها من مكونات الصاروخ والذي أدى إلى انخفاض سعر الدعامات القلبية من 55000 إلى 10000 روبية في منتصف التسعينات.

إيه. بي. جيه عبدالكلام مع رئيس الوزراء الهندي السيد أتال بيهاري فاجباي.

يحمله الجمهور على أكتافه بعد إعلان نجاح إطلاق القمر الاصطناعي "أغني".

رئيس جمهورية الهند الأسبق إيه. بي. جيه. عبد الكلام مع رئيس الوزراء الهندي الحالي السيد نريندرا مودي.

الجدير بالذكر أن إيه بي جيه عبد الكلام قام أيضا باختراع تكنولوجي مهم في مجال الطب، فقد نجح في تطوير دعامة تاجية خفيضة الكلفة بالاشتراك مع طبيب القلب الشهير سوما راجو في عام 1998 سميت بـ دعامة راجو –عبد الكلام، وقد أفاد أكثر من 30000 ألف شخص من هذه الدعامة التي تكلف معشار ما تكلفه الدعائم المستوردة.

وفي عام 2012 اشترك عبد الكلام والدكتور سوما راجو في تطوير كمبيوتر صغير الحجم خفيض الكلفة للرعاية الصحية في المناطق الريفية في الهند وسمي بـ "راجو –كلام تابلت".[10]

عبد الكلام الحالم وصاحب الرؤى

ستخلد ذكرى عبد الكلام كعالم متبصر وحالم صاحب الرؤى في مجال التقدم التكنولوجي للهند، فقد وضع عبد الكلام بالاشتراك مع زميله العالم السيد واي أس راجان "الهند –2020 – رؤية تكنولوجية" بمركز تكنولوجيا المعلومات والتنبؤ والتقييم (TIFAC) وفي إطار هذا المشروع تم إعداد سلسلة من التقارير كخارطة للطريق للتنمية التكنولوجية في مختلف القطاعات كالطاقة والغذاء والمواد المتقدمة والمجالات الإستراتيجية الأخرى على أساس المدخلات من المؤسسات الأكاديمية وكذلك خبراء الصناعة، وكانت الفكرة وراءها وضع الهند على مسار لتصبح دولة متقدمة بحلول عام 2020. ومما لا شك فيه أن هذه كانت ممارسة مفصلة في رسم خرائط التكنولوجيا والتنبؤ بها، لا تزال هذه التقارير مصدرا مهما للمعلومات والمناقشة حتى اليوم[11].

وفي نواح كثيرة كان عبد الكلام عالما مستقبليا وصاحب بصيرة تكنولوجية. فعندما كان يعمل في DRDO اقترح تطوير طائرة تستطيع الطيران أسرع من الصوت، ولما كانت ISRO تستعد لإطلاق "شاندرايان–1" اقترح على علماء ISRO بوضع مسبار على سطح القمر.

صاحب قيادة ملهمة بالعمل والتأليف

حفلت حياة عبد الكلام كلها بالكفاح والعمل والمثابرة والجهد الجهيد، فبدل أن يستريح بعد تقاعده من العمل، اضطلع بالدور السياسي وأحسن فيه أيما إحسان وأجاد أيما إجادة جعلته "رئيس الشعب" وأحد أكثر الرؤساء الهنود شعبية وقبولا في الهند، لقد لُقِّب بـ "رئيس الشعب"، لأنه كان حقاً رئيس شعبه الذي أحبّه حبّاً جمّاً . فتح أبواب قصر الرئاسة لجميع طبقات الشعب، ولاسيّما للفقراء والمهمّشين .وبذلك فاق أبو فاخر عبد الكلام الرؤساء السابقين في الشعبية، ولكنّه هو الآخر، لم تكن تهمّه شعبيّته، بقدر ما كانت تهمّه عمليات مكافحة الفقر والجهل في الهند، والدفع بمسيرة تقدّم البلاد في مجالات العلم والتكنولوجيا والصناعة.[12]

كان عبد الكلام أولاً، وآخراً، رجل علم، ولم يكن أبداً رجل سياسة. فللسياسة مقتضياتها التي لا تتماشى، في أحايين كثيرة، واهتمامات رجل العلم. لم يكن يرغب أبداً في أن يقتحم ميدان السياسة. لكن الظروف، والشعبية الواسعة التي كان يتمتّع بها، دفعته إلى مضمار السياسة، ولكنّه أضاف إلى مهمّته السياسية بُعداً جديداً: أزال الحواجز، وألغى المسافات التي كانت تحول دون وصول الشعب إلى رئيسه. وسعى من خلال منصبه إلى أن يُلهم الشعب نحو تحقيق ما كان يصبو إليه؛ وهو أن تتحوّل الهند إلى دولة متطوّرة، وبأسرع ما يمكن، لأنها تمتلك كلّ المؤهلات لذلك؛ واستطراداً لانضمامها آلياً إلى نادي الكبار في هذا العالم. كان يتحدّث إلى شعبه، لا كرئيس دولة، وإنما كمعلّم أصبح رئيساً للدولة، يُلقّنهم دروس الحياة ومسؤولياتها وأعباءها. كان يتعامل مع الموظّفين وعامة الناس كأنه "قطعة" منهم. لم يمارس البتّة أسلوب الكبرياء والتغطرس. وكان كريماً وشفوقاً وعطوفاً مع الصغار. وقد شهد له زملاؤه ومرؤوسوه بمعاملته الإنسانية الاستثنائية. قضى خمس سنوات في قصر الرئاسة، خلّف خلالها مثالاً يُحتذى للحياة العامة، في السياسة كما في الاجتماع. يتُداول كثيراً قوله: "دخلت *قصر الرئاسة مع هذه الحقيبة التي تحمل*

ملابسي، وسأخرج منها مع هذه الحقيبة .'' فعلاً ترك أبو الفاخر عبد الكلام الرئاسة مع الحقيبة التي دخل بها قصر الرئاسة. ولكن حقيبته هذه المرّة، كانت مملوءةً بحبّ شعبه الذي لقّبه بـ ''رئيس الشعب ''، وهو ما لم يظفر به أيٌّ من الرؤساء السابقين للهند، على الرغم من شهرتهم وعظمتهم[13].

"كيف استطاع هذا العالِم الصاروخي أن ينال هذا القدر من الشعبية لدى طبقات وشرائح الشعب الهندي، علماً أن العلماء قلما يُعرفون خارج نطاق عالمهم الضيق، وكيف استطاع أن يرسم نفسه في مخيلة الشعب الهندي؟ إذا صدّقنا الإعلام الهندي الذي يقول إن عبد الكلام فاق جميع رؤساء الهند في الشعبية فعلينا أن نبحث عن سبب ذلك، والذي يكمن في قدرة إيه بي جيه عبد الكلام على إلهام الجيل الجديد من الهنود الذين سيلعبون دورهم في تحول الهند إلى قوة عظمى بحلول عام 2020 في تصوره لمستقبل الهند في القريب العاجل. وقد أكّد بقوة أن الجيل الجديد من الهنود يملك مؤهلات من شأنها أن تجعل الهند قوة عظمى في العلوم والتكنولوجيا والتقدم الاقتصادي"[14].

لقد خلف عبد الكلام عددا من الكتب المهمة التي تباع نسخها بالملايين وتلهم ملايين الهنود على الجهد والعمل من أجل خدمة المجتمع، وأهمها:"**أجنحة من النار**" (سيرة ذاتية مُتَرجَمة أيضاً إلى العربية) و**"العقول الملهَمة " و" الهند بحلول العام 2020"** الذي وضع فيه مخطّطه لتقدّم الهند العلمي والتكنولوجي، وتحوّلها إلى قوّة عظمى في المعرفة، ودولة متقدّمة بحلول العام 2020، و **"هدف ثلاثة مليارات و"الأفكار المهمة""**، و"**الروح التي لا تُقهر**"،و "**رحلتي: تحويل الأحلام إلى الأعمال**" وغيرها وقد بلغ عدد المؤلّفات التي وضعها، بالاشتراك مع مؤلّفين آخرين، 17 مؤلفاً، حظيت كلّها بشعبية واسعة.

ثناء العلماء عليه

أقيمت فور وفاته حفلة تأبين في المنظمة الهندية لأبحاث الفضاء حضرها عدد كبير من العلماء والمهندسين المشتغلين في ISRO و DRDO وعبروا عن

انطباعاتهم وآرائهم عن هذا العالم العبقري الذي نذر نفسه لخدمة الوطن " كان عبد الكلام مثالا حيا لما يستطيع كل منا أن يحققه وينجزه في حياته، إذا وُجد في نفوسنا الحلم وقوة العمل والجهد فليس هناك شيء يستطيع أن يحول دون بلوغ هدفنا" (السيد إيه أس كريشنا كومار، المدير السابق لـ ISAC و SDSC وزميل لعبد الكلام)

وقال السيد واي أس راجان، السكرتير العلمي السابق لـ ISRO وشريك عبد الكلام في تأليف "رؤية الهند–2020": " تشابكت علاقاتي ورابطي مع الدكتور عبد الكلام عبر مدة تجاوزت 50 سنة مع الحياة الشخصية معه ومع عائلته– بحيث أصبت بصدمة كبيرة– وسوف أقتبس من شاعرة سوفيتية " كل مشاعري وعواطفي عاجزة عن التعبير، فلا تسألوني شيئا ولاتضغطوا علي إذا أردت أن لا أتحدث"

وقال السيد دي نارايانيا مورثي:" صاحب الرؤى، والمخطط، والمنفذ، شخصية حركتها المهمة الاجتماعية، إخصائي في إدارة المهمات، شخص تربطه علاقات قوية مع الشعب، شخص مفعم بالحماسة، ذلك هو عبد الكلام".

" لقد ترك عبد الكلام بصمة لا تمحى في البلد، إنسان رائع قبل كل شيء" (البروفيسور يو أر راؤ، رئيس اللجنة الحاكمة لـ PRL بأحمد آباد والرئيس السابق لـ ISRO)

" كان عنده تعطش هائل وتوق شديد إلى العلم لم أر قط في أي شخص آخر في هذا البلد ولا في بلد آخر، كان حقا إنسانا استثنائيا".

"إن شخصيته عبارة عن الحماسة الشديدة للتدريس، والتعليم، والمعرفة، والبحث الدائم عن الأفكار الجديدة والمبتكرات الحديثة" (الدكتور كيه كاستوريرانغان، الرئيس السابق لـ ISRO)

وأخيرا أود أن اختم هذا البحث الوجيز بنقل ما قاله **الدكتور رادها كريشنان،** الرئيس السابق لـ ISRO:

" إن ارتباطه مع الشعب هو الذي جعله عظيما، أولا في ISRO ثم في البلد كله، ولعله يلي المهاتما غاندي مباشرة في حكمهما قلب كل هندي"[15]

الحواشي

[1]Wings of Fire p.7

[2] المصدر السابق ص 29

[3] المصدر السابق ص 30

[4] المصدر السابق ص 38

[5] المصدر السابق ص 44

[6]https://en.wikipedia.org/wiki/Integrated_Guided_Missile_Development_Program

[7]http://www.businesstoday.in/latest/trends/apj-abdul-kalam-leader-for-india-in-technology-isro/story/222194.html

[8]http://www.isro.gov.in/remembering-dr-kalam

[9] https://en.wikipedia.org/wiki/A._P._J._Abdul_Kalam

[10]http://www.businesstoday.in/latest/trends/apj-abdul-kalam-leader-for-india-in-technology-isro/story/222194.html

[11]http://www.businesstoday.in/latest/trends/apj-abdul-kalam-leader-for-india-in-technology-isro/story/222194.html

http://www.businesstoday.in/latest/trends/apj-abdul-kalam-leader-for-india-in-technology-isro/story/222194.html

[12]http://ofoq.arabthought.org/?p=2142

[13]http://ofoq.arabthought.org/?p=2142

[14]http://www.alhayat.com/Articles/10284359/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%84%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%B0%D9%8A-%D8%A3%D9%84%D9%87%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B9%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%86%D8%AF%D9%8A-%D8%A8%D8%A3%D9%83%D9%85%D9%84%D9%87

[15]http://www.isro.gov.in/remembering-dr-kalam

المراجع والمصادر:

1. APJ Abdul Kalam & Arun Tiwari*: Wings of* Fire, 47th imprint 2015
2. APJ Abdul Kalam: My Journey, Transforming Dreams into Actions, Rupa, 2013.
3. APJ Abdul Kalam & Y S Rajan: *India 2020: A vision for the New Millennium*, New York, 1998.
4. APJ Abdul Kalam: *Ignited Minds: The unleashing power within*, Viking, 2002.

5. A P J Abdul Kalam and Srijan Pal Singh; *Advantage India: From Challenge to Opportunity* by Harper Collins Publishers, 15 Oct 2015.
6. S. Chandra: *Eternal Quest*: *Life and Times of Dr. Kalam,* Pentagon Publishers, 2002.
7. Several Internet Sites as mentioned in the Footnotes.
8. Several Newspapers and Magazines.

الملك شير شاه السوري
مؤسس الإدارة المدنية في الهند

د. أختر عالم**

{كان الملك شير شاه السوري من أعدل ملوك الهند، وأكبرهم صيتا وسمعة، إذ قدر على منح الهند وأهلها رغم قصر مدة حكومته مالم يمنحه غيره مع كون حكمه لمدة أطول بكثير، فقد حكمها خمسة أعوام فقط. وقد قدر له حظ وافر من المواهب والقدرات القيادية والسيادية التي مكنته من الاستيلاء على الهند والحكم عليها وكان أسس قواعد السلطنة بعد علاء الدين الخلجي، ومهدها لمن بعده من الملوك، ووضع قوانين متعددة للإدارة المدنية والإدارة العسكرية وإدارة العائدات من الأراضي، وللتجارة حتى أمكنه الحكم على الهند وفقا للقوانين والأنظمة، وكان فضل نظام عملة بثلاثة معادن يعود إليه، العملة التي صارت عملة قومية لعديد من البلاد حتى الآن، وكانت التجارة والصناعة قد راجت في زمن حكومته بسبب إبطال المكوس الكثيرة، وتوسيع شبكة الشوارع، وسيادة الأمن والسلام في كل مكان حتى يقال لو أن امرأة عجوزا مرت بالصحراء حاملة على رأسها سلة من الذهب لم يمد سارق أو قاطع طريق يده إليها، فاستطاع الملك أن يهيّئ في الهند جوا ملائما عاش فيه المسلمون والهندوس فرحين ومسرورين متكاتفين متعاونين.}

** محاضر ضيف، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي.

المبحث الأول: نبذة عن حياة شير شاه السوري

إن "سور"[1] اسم قبيلة من قبائل أفغانستان، ويطلق على من ينتمي إلى هذه القبيلة "سوري" نسبة إليها، وأتى إبراهيم خان السوري جد السلطان شير شاه السوري مهاجرا من أفغانستان إلى الهند في زمن السطان بهلول اللودي، واستقر بها، و قدم جمال خان مدير جونفور أباه حسن خان السوري بإقطاعي ساسارام وخواص فور في بيهار في زمن السطان سكندر اللودي بن السطان بهلول اللودي،[2] ومن هنا بدأ تاريخ الأسرة السورية في الهند وقد منحت الهند تطورات هائلة في مدة قصيرة. وبعد أن غربت شمس هذه الأسرة، تضاءل نور السلالة الحاكمة السورية وتم القضاء عليها سنة 1556م.

وكان اسمه الأصلي فريد خان بن حسن خان بن إبراهيم خان السوري. قد اختلف المؤرخون في تاريخ ولادة شير شاه السوري، ورجح المؤرخ الشهير "كالكا رنجن"[3] في كتابه "Sher Shah and His Times" بعد بحث طويل أنه ولد سنة 1486م، كما جرى الخلاف في مكان ولادته فقيل إنه ولد في بِجْواره وقيل حصارفيروز، ولكن "كالكا رنجن" يقول إنه ولد في "تارنول"[4] وقد جاء ذكر أماكن أخرى كموضع لولادته في مقالات متعددة، منشورة في المواقع الإلكترونية، مثلا، هريانه[5](Haryana)، وساسارام في بيهار[6]. فنشأ في بيت أبيه، ولكن من سوء حظه أنه عانى من إساءات شديدة قامت بها زوجة أبيه حتى اضطر إلى ترك بيت أبيه واللجوء إلى جمال خان مدير جونفور في الثاني والعشرين من عمره.

وفي أثناء إقامته في جونفور أكب على العلوم والفنون حتى قرأ عديدا من الكتب الفارسية والعربية من غلستان وبوستان وسكندر نامه وكافية ابن الحاجب مع حواشيها، وأتقن كلتا اللغتين العربية والفارسية وحصل على علم التاريخ[7]، وقد اعترف المؤرخ كالكا رنجن بعلو كعبه في اللغتين العربية والفارسية مع أنه انتقد المؤرخين الذين جعلوه من عداد كبار علماء الهند، ويقول إن بعض المؤرخين جعلوا فريدا

الملك شيرشاه السوري.

مقبرة الملك شير شاه السوري في ساسارام، الهند.

باب "موتي" لشير شاه السوري.

(شيرشاه) عالما ونموذجا لحضارة جونفور العالية، ولكن ماذكر عن تعليمه لايخلو من شبه، وغاية الحقيقة أنه أتقن الأدب العربي والفارسي وطالع سير الأنبياء والتواريخ، ولانبالغ إن قلنا إنه كان ماهرا في علوم النحو والصرف للعربية والفارسية، فإن التمهر في قواعد اللغة العربية والفارسية ليس لعبة الصبيان يحتاج الإنسان إلى عقل وذهن قويين لفهم قواعد اللغتين وإتقانهما.[8]

تزوج فريد خان سنة 1508م في جونفور، وولد له أربعة أولاد، بنت وثلاثة بنين، أكبرهم عادل خان(1511م) وأوسطهم جلال خان (1515م) وأصغرهم قطب خان عبد الرشيد (1517م)، ولم أعثر على اسم ابنته إلا ما ذكر المؤرخ كالك ارنجن أنها ولدت في1513م، ومن الملاحظ، أن كالكا رنجن ذكر كلا من التواريخ، تواريخ ولادة أولاده وتاريخ زواجه، بالتخمين، لأنه لم يعثر على أي مصدر موثوق به.[9]

لقب شير خان:

يحكى أن فريد خان قتل أسدا بيده خلال حملة صيد مع السطان محمد شاه النوهاني سلطان بيهار، فلقبه السطان بـ"شير خان" فرحا بشجاعته وبسالته كما أنه عينه معلما لابنه الأصغر جلال خان[10]، هذا وقد أنكر المؤرخ كالكا رنجن هذه الحكاية وجعلها من الحكايات التي لاأصل لها [11]

المبحث الثاني: شير شاه السوري: الملك شير شاه من مدير إقطاع أبيه إلى ملك الهند:

قد منح لشير شاه السوري الذهن الثاقب والقريحة الوقادة، فسرعان ما تجلت مواهبه البارزة وقدراته الفائقة، ففرحا بجدارته وقدراته الإدارية، أو قصدا للحفاظ على إقطاعه، عينه أبوه للإشراف عليه، والقيام بإدارته عام 1518م، فأحسن وأجاد في القيام بالإدارة، ونجح في النهوض به بقدراته الفائقة ومواهبه البارزة، وقام بإصلاحات في جميع النواحي، في الزراعة والعسكرة والقيام بالأمن والسلام، والمنع من الظلم والجور، حتى صار أهلها صغارا وكبارا، رجالا ونساء، كراما ولئاما يعيشون فرحين

مسرورين راغدين هانئين وساد المجتمع الأمن والسلام وانتهى الظلم والاعتداء، وقام بتوسيع إقطاع أبيه حتى تضاعفت حدوده ضعفين، ولما عاد أبوه وسمع جنوده يثنون على شيرشاه على جدارته وقابليته، ورأى بنفسه ما شاع في المجتمع من الأمن والسلام والرخاء والثراء تملكه الفرح والسرور وتقوت بينه وبين ابنه أواصر المحبة والمودة وصلة الأب والابن حتى قال في فرط المحبة إنه سوف يشرف على الإقطاع مادام حيا ولكن لم يدم هذا الجو زمنا طويلا حيث اشتعلت نيران الحقد والحسد في قلب زوجة أبيه وأصرت على أن ينقل حسن خان الإقطاع إلى ولدها إسماعيل ففتن بحبها وأراد ما أراد ولماشعر شير شاه بإرادة أبيه قدم الاستقالة، وذهب إلى آغره 1522م،[12] ودخل في خدمة دولت خان، أحد الأمراء في محكمة القضاء للسلطان إبراهيم اللودي[13]، وأعطاه السلطان إبراهيم اللودي إقطاع أبيه بعد ما توفي سنة 1525م، ولم يتمكن سليمان من المقاومة فاستولى شير شاه السوري على إقطاع والده مرة ثانية وتصالح مع السلطان محمد صاحب بيهار وتقرب إليه وانغرس الود والإخلاص في قلوبهما ثم حل الخريف ودارت الحرب بينه وبين محمد، وانهزم شيرشاه وحرم من إقطاع أبيه مرة ثانية وتقرب إلى جنيد برلاس الذي كان واليا على مدينة كڑه (Kara)[14] وما والاها من البلاد من قبل بابر شاه التيموري، وهو الذي عرضه على بابر شاه التيموري فدخل في خواصه ولازمه مدة ثم عاد إلى بيهار والتحق بالسلطان محمد ولبث معه إلى وفاته ولما تولى ابنه جلال خان صار صاحب الأمر في مهمات الدولة حتى استولى على تلك الدولة ودفع جلال خان، وبعد أن اتفق الناس على ولاية محمود شاه بن سكندر شاه اللودي على بيهار، اضطر شير شاه إلى الخضوع له، في هذه الأثناء انهزم محمود شاه فاستولى شير شاه على ولاية بيهار مرة ثانية واستولى على بنغال فعاد همايون شاه إلى بنغال، واستولى عليها وأقام بها ثلاثة أشهر وترك جهانغير قلي أحد أمراء العساكر متوليا عليها وغادر إلى آغره لدفع أخيه هندال مرزا، فلما وصل إلى شوسه لقيه شيرخان ودار بينهما القتال الشديد وانهزم همايون خان، ثم ذهب إلى بنغال ودفع جهانغير

قلي ولقب نفسه شير شاه ثم اتجه إلى آغره وهزم همايون خان مرة ثانية في ناحية قنوج ففر إلى لاهور طارده شيرشاه حتى أخرجه إلى منطقة السند ثم إلى أفغانستان واستولى شير شاه على الهند.[15]

المبحث الثالث: لمحات في حكومة شير شاه السوري

كان الملك شير شاه السوري يتمتع بحظ وافر من أساليب القيادة والسيادة والقيام بمهام الدولة وكانت لديه معرفة تامة وقابلية لإرضاء الرعايا وتيسير الأمور لهم والفوز بمودتهم وحبهم وإخلاصهم له ثم الحكم عليهم بما حصل على تجربة وافرة في السنوات التي قضاها عند السلاطين والأمراء والملوك، وبما واجهه في أيامه البدائية من الصعوبات والمشاق مما جعل له عظام الأمور تصغر وشدادها تسهل، وها أنا أذكر بعض ما أبدع الملك شير شاه السوري خلال سلطته في الهند من الأنظمة والقوانين والإدارة على أسلوب جديد، وهي مهدت الطرق للملوك الذين جاؤوا بعده لتدبير نظام الحكومة وساعدتهم على القيام بمهام الدولة.

الإدارة المدنية:

قسم الملك الأرض المحروسة على أيالات، والأيالة على متصرفيات والمتصرفيات على عمالات، فقسم ماكانت تحت سيطرته من الآراضي على ستة عشر ومئة عمالة، وولى واحدا من الأمراء لينوب عنه في جميع الأمور في كل عمالة ، والعامل الذي سماه "شقدار"، والخازن الذي سماه "فوطه دار"، وكاتبين أحدهما العارف باللغة الهندية والآخر باللغة الفارسية كما عين أمينا لفصل القضاء بين الناس أو بين الملك ورعاياه في حدود الأرض وسماه "المنصف"، وولى في كل متصرفية أميرا من أمرائه ينوب عن السطان في تلك المتصرفية وسماه "فوجدار" وواحدا من الأمراء يرفع إليه أمر العمال وسماه "صدر شقدار" وأميرا يرفع إليه أمر المنصفين وسماه "صدر المنصف"، وولى على كل أيالة واحدا من كبار الأمراء ينوب عن السلطان ويرفع إليه أمرهم جميعا، ويرفع إليه أمر العساكر في تلك الولاية. وحذرا من الظلم على الرعية أو خوفا من خيانة الموظفين كان ينقل

الموظفين والأمراء والعمال في كل سنة أوكل سنتين كما قام بإقامة نظام التجسس الفعال حتى يعرف كل ما يحدث في بلاده.

الإدارة العسكرية:

قد نجح شير شاه في تنظيم جيش عظيم، وكان يوظف الجنود بنفسه ويعين رواتبهم حسب مواهبهم وقدراتهم ويعطيهم الرواتب بشكل النقود، وقد وضع عدة قوانين في هذا المجال نذكرها بالإيجاز فيما يلي:

- قانون الكي(سماه بـ"داغ") والتصحيحة: "وهو أن يعرض الأمراء عساكرهم على عرض الممالك فيحمى الحديد في النار ثم يكوي بها الأفراس"[16].
- قانون الحلية: وهو تحرير أسماء الفرسان وأوطانهم وحليتهم وطول قامتهم وأعمارهم وما يختص بهم من الخطوط والسمات في دفتر خاص لها.
- أمر بتوزيع العساكر في بلاد وعين لها المعسكر في مقامات عديدة.
- ألزم على العساكر أن يبنوا القلاع من الطين في كل منزل إذا أرادوا الخروج إلى القتال أو انتقلوا من معسكر إلى معسكر آخر.
- أمر العساكر بعدم استئصال الزروع في حال النقل والحركة، وقرر التعزير الشديد في ذلك.
- وأمر بإدراك نقصان الزروع إن وقع القتال فيها والمعاوضة به.
- أمر بعدم أسر أحد من الرعية في القتال.

إدارة عائدات الأراضي:

إن عملية ضبط إدارة العائدات الحكومية بدأها الملك شير شاه، فأمر أول ما أمر بمسح الأراضي ومقياسها وقام بتحديد الضرائب على الإنتاجات الزراعية، وكان يأخذ ثلث ما تنبت الأراضي المزروعة، وكانت هذه الضرائب تدفع على شكل النقود أو الغلات.

التجارة:

أبطل الملك شير شاه المكوس الكثيرة لترويج التجارة وتشجيع التجار وقد خلقت هذه المكوس عراقيل في سبيل ازدهار التجارة، فسهل الأمر ولم يكتف بذلك فحسب بل إنه بنى الشوارع ذات الأشجار المثمرة على جنبيها لكي يستظل بها التجار ويسهل لهم الذهاب والإياب ونقل البضائع التجارية، ووفرت للمارين بها تسهيلات الطعام والشراب والسكن وفيما يتعلق بتوفير التسهيلات فلم يفرق بين المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى، فراجت التجارة، وشاع الثراء والترف في أنحاء الهند.

تعريف بنظام نقدي فعال:

الملك شيرشاه "هو أول من أصلح نظام النقود"[17] وعرف بنظام عملة بثلاثة معادن (tri-metal coinage system) التي عرفت فيما بعد بنظام العملة المغولية (Mughal Coinage System) وسك عملة من الفضة أيضا سميت بروبية وتم استخدام هذا الاسم للعملات القومية في باكستان والهند ونيبال وسري لانكا وإندونيشيا وموريشوس ومالديب وغيرها من البلاد.[18]

بناء الطرق وتوسيعها:

قام شير شاه بتوسيع شبكة الشوارع لربط مملكته بالأماكن المهمة حتى يسهل الذهاب والإياب للعساكر والتجار والمسافرين الآخرين، وأطول هذه الشوارع يسمى بالشارع الأعظم (سرك أعظم) أو الشارع الملكي (بادشاهي سرك) ثم استبدل اسمه بشارع "جراند ترنك رود" في زمن الإنكليز.[19] وهذا الشارع أطول شوارع آسيا الذي يمتد حوالي 1500 كيلو متر من بنغال الشرقية إلى أفغانستان. ومن أهم بعض الشواع الطويلة عداه ما يلي:

1. شارع من آغره إلى برهان فور في الدكن.
2. شارع بين آغره وجودفور (Jodhpur) وتشتور (Chittor) في راجفوتانا (Rajputana)

3. شارع بين لاهور وملتان .

إنشاء و تطوير أول نظام بريدي:

المباني التي تم تأسيسها على جوانب الشوارع كانت تستخدم كمكاتب البريد، وأسس شيرشاه نظام البريد المحمول أو نظام البريد الخاص الحصاني (Mounted Post or Horse Courier System)، ومن الجدير بالذكر أن خدمة البريد لم تكن خاصة لصالح الحكومة بل في صالح التجار أيضا، وهي أول مرة توفرت خدمة البريد لعامة الناس وتستخدم للاتصالات التجارية والأعمالية، وقام برباط على كل ميلين وعين في كل رباط فرسين للبريد.[20]

التسامح الديني:

قدم شير شاه نموذجا مثاليا للتسامح الديني، فعامل كلا من الهندوس والمسلمين معاملة سوية، بحيث أن أعطي الهندوس فرص العمل في الوظائف الحكومية، وتولى الهندوس المناصب العليا في العساكر مع المسلمين، وكان في عساكره الجنود المشاة وحاملو البنادق الهندوس، وكان من أعظم قواد الجيوش بريم جيت غور،[21] وقد ذكر المؤرخون أنه كان في عساكره كتيبة كاملة من راجبوت وهم الهندوس، كما كانت تقام مائدة خاصة للهندوس في دور المسافرين، وفر الملك شير شاه حرية كاملة للأديان المختلفة وأعطى فرصا سواسية جميع أهالي الهند بصرف النظر عن الأديان والطبقات.[22]

العدل :

كان الملك شير شاه عادلا كريما، رحيما منصفا، كان يعامل معاملة سواسية مع أهله وأقاربه وغيرهم، وبهذا الشأن ذكرت واقعة في كتاب "سير المتأخرين" وهي أن ابنه الأكبر عادل خان مر راكبا على الفيل بشارع آغره، إذ وقع نظره على امرأة تاجر كانت تغتسل عارية في بيت منخفض السور، ورمى إليها شيأ كان يمضغه، وكانت المرأة عفيفة صالحة، وأرادت أن تهلك نفسها بسبب الخجل لما رآها غيرها عارية، فمنعها زوجها ورفع الأمر إلى الملك فأمر الملك بأن يحضر

الفيل وأن يركب زوجها عليه ثم يفعل مع زوجة ابنه مايفعل هو، وكان الملك مصرا على أمره وقضائه ولم يقبل طلب العفو الذي قدمه الأمراء والوزراء، وقال عندي أهلي وغيره سواء على عتبة القضاء حتى رضي التاجر وامتنع عن أخذ الثأر.[23]

وفي الختام يجب علينا أن نعترف أن فضل تأسيس الإدارة المدنية في الهند يرجع إلى الملك شير شاه السوري وحتى اليوم نستفيد من بصيرة إداراته المدنية وتدابيره العسكرية وإصلاحاته التجارية وضوابطه الآراضية وكذلك له فضل كبير في الشؤون الأخرى من أمثال التسامح الديني وبناء الطرق وتوسيعها وسك العملات وإنشاء خدمة البريد وغرس الأشجار المثمرة والأشجارة المورقة الأخرى لكي يستظل بها المارون ويتمتعوا بثمراتها المتنوعة في أثناء السفر. في الواقع إنه قدم في ذلك العصر رؤية جديدة وبصيرة متقدمة في نظام الحكومة للأجيال القادمة في القارة الهندية.

الحواشي:

[1] – الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، عبد الحي الحسني، دارابن حزم، ص 4/353

[2] – سير المتأخرين، مولوي جراغ دين محمود، ايم فرمان على ايند سنز بكسيلرز، موهن لال رود، لاهور،ص 33– 32

[3]– البروفيسور كالكا رنجن قانون جو مؤرخ هندي شهير ولد في 1895م في قرية قانون جو بارا (Kanungopara Boalkhali, Upazila) في مديرية فيتاجونج في أسرة إقطاعية، حصل على البكالوريوس 1915م من كلية راج شاهي والماجستير 1917م من جامعة كولكاتا وحصل على شهادة الحقوق 1918م والدكتوراه على شير شاه سوري وعصره (Sher Shah and His Times) وتوفي في عام 1972 في مدينة لكناؤ.

[4]– شيرشاه اور اس كا عهد، كالكا رنجن، مترجم: رام شري شرما، ترقي اردو بيورو، نيودلهي، 1981م ص 66–72

[5] -http://india-historyofournation.blogspot.in/2012/03/lion-king-of-india-sher-shah-suri.html

[6] -http://www.britannica.com/EBchecked/topic/539997/Sher-Shah-of-Sur

[7]- الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، عبد الحي الحسني، دارابن حزم، 4/353

[8] – شيرشاه اور اس كا عهد ص 7

[9] – شير شاه اور اس كا عهد ص87

[10] –سير المتأخرين، ص 33

[11] – شيرشاه اور اس كا عهد ص135-136

[12] – شيرشاه اور اس كا عهد ص 95-126

[13]أخر ملوك الهند المسلمين من أسرة لودهي تولى الحكم 1510 م في آجرا وظل في الحكم 16 سنة.

[14]- The Cambridge History of India, Volume 3, p,47

(مدينة كڑه الآن هي قرية صغيرة حوالي 8 كم في شمال جراند ترنك رود، 66 كم في شمال غرب اله آباد)

[15]- الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، 4/353، وسير المتأخرين 32-36

[16]- الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، 4/354

[17] – الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، ص 355 ج 4

[18] – http://india-historyofournation.blogspot.in/2012/03/lion-king-of-india-sher-shah-suri.html

[19]- الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، ص 355 ج 4

[20]- الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام 4/354-355

[21] – هندوستان كي عهد ماضي مين مسلمان حكمرانون كي مذهبي رواداري، صباح الدين عبد الرحمن، جامعة أعظم كره، 1983م ص 2/8

[22] – المصدر السابق، ص2/8-12

[23] – سير المتأخرين ص 38–37

المصادر والمراجع:

- الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام/ العلامة عبد الحي الحسني/ دارابن حزم، بيروت، لبنان/ الطبعة الأولى 1999م
- سير المتأخرين/ المولوي فراغ دين محمود الجهوي/ ايم فرمان علي ايند سنز بكسيلرز، موهن لال رود، لاهور
- شيرشاه اور اس كا عهد/ كالكا رنجن قانون غو/ ترجمة: رام آشري شرما، ترقي اردو بيورو، نيو دلهي/الطبعة الأولى 1982م
- الهند في العهد الإسلامي / العلامة عبد الحي الحسني/ دار عرفات (الهند) / 2001م
- هندوستان كي عهد ماضي مين مسلمان حكمرانون كي مذهبي رواداري/ صباح الدين عبد الرحمن/ جامعة أعظم كره/ الطبعة الأولى 1983م
- مختصر تاريخ هند / سيد أبو ظفر الندوي/ دار المصنفين شبلي اكيدمي أعظم جراه
- *India Old and New*/Sir Valentine Chiral /Macmillan and Co., Limited, ST. Martin's Street London/1921
- *History of India*/ CF DE LA Fosse, M.A., Oxon/ Macmillan and Co., Limited, ST. Martin's Street London/1918 Top of Form Bottom of Form
- *The Cambridge History of India*, Volume 3 Edited by Sir Wolseley Haig, Cambridge University Press 1928,

المواقع الإلكترونية:

- http://anjanadesigns.blogspot.com/2014/07/sher-shah-suri-lion-king-of-india.html
- http://www.britannica.com/EBchecked/topic/539997/Sher-Shah-of-Sur

- http://www.facts-about-india.com/sher-shah-suri-facts.php
- http://india-historyofournation.blogspot.in/2012/03/lion-king-of-india-sher-shah-suri.html

إطلالة على حياة الشيخ محمد يوسف كوكن ودوره في تطوير الأدب العربي في الهند

د. محمود حافظ عبدالرب مرزا**

{ ومن خلال هذا المقال، سنلقي الضوء على حياة الشيخ محمد يوسف كوكن وإسهاماته في تطوير الأدب العربي في الهند، حتى يتسنى للقارئ الإلمام بمدى براعة الشيخ في مجال التصنيف والتأليف والتعليم والتدريس وتطوير الأدب العربي ومدى استفادته من ارتباطه بمجمع دار المصنفين، المعروف حالياً بـ "أكاديمية شبلي". وبالرغم من الفترة القليلة التي قضاها الشيخ كوكن في رحاب هذا المجمع إلا أنه كان لذلك فضل كبير ودور فعال في بزوغ نجمه وتلألئه في سماء تاريخ الأدب العربي الحديث حتى أصبح علماً من الأعلام البارزين ليس في الهند فحسب بل في العالم العربي أيضاً }.

أبدى الشيخ شبلي النعماني (1857– 1914م) – رحمه الله – رغبة جادة في تأسيس مؤسسة علمية لأجل تصنيف الكتب وإجراء الأبحاث العلمية في مدينة أعظم غراه في السنوات الأخيرة من حياته. رغم أنه كان يرغب في بداية الأمر أن يتم إنشاء هذه المؤسسة في حرم دار العلوم ندوة العلماء، إلا أن المشيئة الإلهية لم تكن تقضي بذلك، فمرت ظروف وأحوال جعلته يستقر في مسقط رأسه ويخطط لأجل

** الأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية، جامعة الله آباد، الله آباد، الهند.

إنشائها في عقر داره. ولأجل هذا الغرض النبيل، خصص رحمه الله جزء كبيراً من أراضيه والتمس من بعض أحبائه وأقربائه التبرع بأجزاء من أراضيهم لإنشاء هذا المجمع العلمي المقترح، ولكن القضاء والقدر حال دون تحقيقه ذلك في حياته حيث وافته المنية رحمه الله في 18 نوفمبر عام 1914م، قبل أن يرى المجمع النور. ولكن من خلف وراءه طلاباً وتلامذة نجباء أمثال الشيخ سيد سليمان الندوي (1884-1953م)، والمعلم عبد الحميد الفراهي (1863- 1930م)، رحمهما الله وغيرهما، فكيف لا يمكنه من عدم تحقيق طموحاته وأحلامه حتى بعد وفاته!

وبعد وفاة الشيخ شبلي النعماني - رحمه الله- قام أعضاء جمعية "إخوان الصفا"، التي تم إنشاؤها لأجل النظر في كيفية إتمام كافة مشاريع الشيخ غير المكتملة، وعلى رأسهم الشيخ سيد سليمان الندوي بتأسيس مجمع دار المصنفين، المعروف حالياً بـ "أكاديمية شبلي" عام 1915م. ولأجل تحقيق أحلام أستاذه الفاضل، قدم الشيخ الندوي إلى مدينة أعظم غراه تاركاً وراءه طموحاته وأحلامه، وقدم معه الشيخ مسعود علي الندوي، والشيخ عبد السلام الندوي، و شرعوا في تأليف الكتب وإجراء الأبحاث العلمية في رحاب هذا المجمع. وبعد مرور سنة بالكاد، أصدر المجمع مجلة "معارف" عام 1916م باللغة الأردوية لتكون الناطقة باسم هذا المجمع، وملتقى للأبحاث العلمية والأدبية والدينية وصوتاً لكل من يرغب في التقرب إلى الله من خلال تقديم أعمال قيّمة تظل مرجعاً رئيسياً للعديد من الأبحاث والدراسات العلمية والدينية. ولا تزال هذه المجلة تصدر حتى يومنا هذا، ولله الحمد.

ولأجل مواصلة مسيرة هذه الأكاديمية العلمية بدأ يلتحق بها عدد من الشبان المهرة من حين لآخر، حيث انضم إليها عدد لا بأس به من الكتاب والعلماء والأدباء الذين يشهد لهم بنبوغهم وعبقريتهم الفذة في مجالاتهم العلمية حتى يومنا هذا، أمثال الشيخ سيد رياست علي الندوي، والشيخ شاه معين الدين الندوي، والشيخ سعيد الأنصاري، والشيخ عزيز إيم إيه، والشيخ محمد يوسف كوكن، والشيخ سيد صباح الدين عبد الرحمن والشيخ ضياء الدين الإصلاحي رحمهم الله إلخ. وبفضل الله

ورعايته لا يزال هذا المجمع قائماً إلى الآن ويؤدي رسالته السامية على أكمل وجه رغم ما يعتريه من بعض المشاكل المالية والادارية من حين لآخر.

ومن خلال هذا المقال، سنلقي الضوء على حياة الشيخ محمد يوسف كوكن وإسهاماته في تطوير الأدب العربي في الهند، حتى يتسنى للقارئ الإلمام بمدى براعة الشيخ في مجال التصنيف والتأليف والتعليم والتدريس وتطوير الأدب العربي ومدى استفادته من ارتباطه بهذا المجمع العلمي. وبالرغم من الفترة القليلة التي قضاها الشيخ كوكن في رحاب هذا المجمع إلا أنه كان لذلك فضل كبير ودور فعال في بزوغ نجمه وتلألئه في سماء تاريخ الأدب العربي الحديث حتى أصبح علماً من الأعلام البارزين ليس في الهند فحسب بل في العالم العربي أيضاً.

ومن الأهمية بمكان، أن نذكر هنا أنه ليس من الواجب أن يحيط الجميع علماً بالشيخ محمد يوسف كوكن. ولكن من المؤسف، أن لا تعرف الأوساط العلمية والأدبية في الهند، ناهيك عن العالم العربي والإسلامي، أستاذاً عظيماً، ومحققاً كبيراً، ومتقناً للعلوم القديمة والحديثة، وصاحب مؤلفات علمية جمة، حق المعرفة. ولا مراء في أن يستغرب كل من له دراية بمدى براعة هذا الأستاذ الفاضل الذي جمع بين العلوم الدينية والعلوم العصرية الحديثة وكان خير مثال لمجمع البحرين لأننا لا زلنا نطالب مدارسنا وأساتذتنا بتخريج دفعة من جيل يجمع بين العلوم الدينية والعصرية، من تجاهل الأوساط العلمية والأدبية لهذه الشخصية العظيمة وعدم معرفتها لمآثره العلمية الخالدة. علماً بأنه من خلال الإلمام بإسهاماته المتعددة سيتسنى لنا معرفة النمط الذي اتبعه رحمه الله في سبيل الوصول إلى القمة، فيكون لنا خير عون في تربية أجيالنا والوعي بكيفية تحقيق الآمال المرجوة في بناء وتشييد دعائم البلاد وقيادتها قيادة رشيدة بإذن الله.

يُعد الشيخ محمد يوسف كوكن من الأعلام الأفذاذ في القرن العشرين بجنوب الهند بلا منازع، وشخصية فريدة ذات جوانب متعددة، تحيط بمختلف العلوم والفنون، فقد استطاع بفضل الله ومنه أن يثبت جدارته في مختلف مجالات الحياة.

وقضى جُل حياته في تأليف الكتب وإلقاء المحاضرات والمشاركة في الندوات العلمية الوطنية والدولية والإشراف على عدد من المؤسسات العلمية. كما استطاع رحمه الله بفضل كثرة أسفاره الاطلاع على عدد كثير من المشاهدات العلمية والخبرات الدنيوية فاتسعت بها أفكاره ونظرياته. كما أنه ساهم في ترويج اللغة العربية وآدابها ودراساتها بجهوده المخلصة ومساعيه المشكورة، حتى افتخرت المكتبات الهندية والأجنبية بمؤلفاته القيمة. وبدون شك امتازت شخصيته بين معاصريه بإسهاماته الجليلة في مجال الدراسات العربية وآدابها.

مولده ومنشأه:

اسمه، محمد يوسف، ولقبه كوكن. اسم والده، محمد إبراهيم كوكن، واسم والدته، فاطمة بيقوم. ولد في 4 نوفمبر 1914م في قرية مينمبور الواقعة على بعد 55 كيلومتراً من مدينة مدراس (المعروفة بشيناي حالياً) بجنوب الهند[1]. هاجر جده الأكبر، زين العابدين كوكن الآركاتي مدينة البصرة في القرن الثالث عشر الهجري متجهاً إلى الهند، واستوطنت عائلته منطقتي بيجابور وكونكن، وفي عام 1713م، هاجرت قبيلة نوائط من تلك الأماكن واستوطنت منطقتي آركات وشنجي. وبسبب هجوم المراهتة على هاتين المنطقتين، انتقلت الأسرة إلى قرية مينمبور واستقرت فيها[2]. كان جده غلام حسين كوكن أمياً لا يعرف القراءة والكتابة، ولكن يبدو بأن والده قد تعلم قليلاً.

دراسته وتعليمه:

لم يبلغ الشيخ كوكن، الثالثة من عمره حتى بدأ يلح على مرافقة شقيقه إلى المدرسة، وبذلك بدأ أهله بإرساله إليها برفقة شقيقه، ونظراً لصغر سنه، لم يتم تسجيل اسمه فيها، إلا أن عبقريته وفطانته وشغفه الشديد بالعلم دفع أساتذته إلى تسجيل اسمه[3]. ومن هنا، ساهم شغفه بالدراسة إلى الالتحاق بجامعة دار السلام

بمنطقة عمر آباد فيما بعد، وتعلم اللغة العربية والفارسية والفنون الإسلامية وغيرها، وأتم دراسته هناك[4].

وبعد تخرجه، التحق رحمه الله، بمجمع دار المصنفين، امتثالاً لرغبة الحاج ساهوكار كاكا محمد اسماعيل، الذي كان له فضل كبير في دراسته وكان له صلة وثيقة بأهله، حيث أجرى الأخير اتصالات مع الشيخ سيد سليمان الندوي عن طريق الرسائل لأجل إلحاقه به، وبناءً على ذلك اتجه الشيخ كوكن إلى مدينة أعظم غراه في 22 سبتمبر عام 1934م[5] والتحق بهذه الأكاديمية لينهل من مناهلها العذبة.

التحاقه بأكاديمية شبلي:

عندما وصل الشيخ كوكن إلى مجمع دار المصنفين لم يكن يناهز الثامنة عشرة من عمره. وكان آنذاك، الشيخ سيد رياست علي الندوي، والشيخ شاه معين الدين الندوي، والشيخ سعيد الأنصاري وغيرهم منخرطين في إعداد عدد من الكتب مثل: "أسوة الصحابة" و"تاريخ الإسلام" و"تاريخ تركيا" و"تاريخ القبرص"، في حين كان الشيخ سيد سليمان الندوي يقوم باستكمال كتاب "سيرة النبي" الذي ألف الجزأين الأولين منه أستاذه الشيخ شبلي النعماني. علماً بأن هذا الكتاب بأجزاءه السبعة، يعتبر من أفضل الكتب التي تم تأليفها في السيرة النبوية العطرة باللغة الأردوية بلا منازع، ولا يزال هذا المجمع يفتخر به حتى يومنا هذا.

بدأ الشيخ سيد سليمان الندوي يدرسه كتاب"بداية الحكمة" وترجمة القرآن الكريم، وأمره بمراجعة كافة ملفات مجلة "المعارف" حتى يلم بأسلوب كتابة وسرد المقالات القيمة ويتعرف على كيفية إجراء الأبحاث العلمية، ويزيد من معلوماته عن العلوم الإسلامية، وهنا توسعت آفاق ذهنه وفكره وأخذت تظهر علامات كفاءته وملكاته القوية، حيث استفاد من تربية أستاذه وإشرافه وتوجيهاته السديدة.

كان الشيخ سيد سليمان الندوي يفتي في عدد من القضايا التي كانت تصل إليه آنذاك من حين لآخر، ولكنه أحال هذا الأمر إلى الشيخ كوكن بعد فترة وجيزة،

فبدأ الشيخ يطالع كتب الفقه والأحاديث النبوية بشكل مستمر وبالتالي تدرب على طريقة إصدار الفتاوي[6].

وطلب الشيخ الندوي منه إجراء بحث علمي حول موضوع "الإمام ابن تيمية رحمه الله"، إلا أن الشيخ كوكن ظل متردداً في اختيار هذا الموضوع لأنه كان قد تطرق إليه قبله الشيخ شبلي النعماني، ومولانا أبو الكلام آزاد. ومع ذلك، ظل منهمكاً في الموضوع واستطاع أن يجمع العديد من المواد العلمية لتحقيق هذا البحث. ولكنه لم يتمكن من طبع هذا الكتاب ونشره إلا عام 1959م. وفي غضون ذلك، قام بسرد عدد من المقالات التي نشرت على صفحات مجلة "معارف" ومن أهمها: "حافظ ابن القيم" و"الإمام الذهبي" و"نهاية الأريب للنويري" وغيرها باللغة الأردوية[7].

ويجدر بالذكر هنا أنه لم تستمر صلة الشيخ كوكن بالأكاديمية بصفته باحثاً فيها لمدة طويلة، إلا أنها زرعت فيه حب الاطلاع والمعرفة وغرست فيه سبل إجراء الأبحاث العلمية وأشعلت فيه شعلة الإلمام باللغة العربية والعلوم الإسلامية تدريجياً. ومن الملاحظ أنه لم ينقطع عنها تماماً بل عين فيما بعد عضواً في المجلس الإداري للأكاديمية[8].

ولا ريب أن للعلامة سيد سليمان الندوي ولمجمع دار المصنفين، دوراً هاماً في تكوين شخصية الأستاذ/ كوكن، كاتباً مؤلفاً ومصنفاً محققاً وعالماً كبيراً، حيث كان التحاقه بدار المصنفين بمثابة نقطة تحول في حياته، حيث أن عمله بهذه الأكاديمية تحت إشراف العلامة الندوي، أثر في حياته تأثيراً عميقاً، حيث جعله كاتباً شهيراً ومؤلفاً معروفاً ومصنفاً كبيراً وأستاذاً محققاً بين الأوساط العلمية والأدبية في الهند وخارجها، وتألق اسمه في الأجواء العلمية والأدبية، وعُد من كبار الكتاب في العصر الحديث بالقرن العشرين[9].

كان لأحلام الشيخ كوكن التي كانت تراوده في إتقان اللغة الإنجليزية سبباً وراء انقطاع ارتباطه بالأكاديمية، حيث استطاع الحصول على شهادة الثانوية من كلية تابعة لجامعة الله آباد عام 1940م، وفي يوليو عام 1941م، التحق بكلية

محمدن مدراس الحكومية، في السنة الأولى من شهادة البكالوريوس، وبعد تخرجه منها، بدأ يتطلع إلى الحصول على الوظائف فشغل في بداية الأمر مترجماً مساعداً في مكتب الترجمة الحكومية بمدينة مدراس عام 1943م. وبعدها التحق بعدد من الوظائف حتى عين عام 1949م محاضراً في جامعة مدراس[10]. وفي غضون ذلك حصل على شهادة الماجستير من تلك الجامعة.

وهكذا ظل رحمه الله في حياته المهنية يواظب على التدريس وإلقاء المحاضرات بمختلف اللغات العربية والأردوية والإنجليزية في الأدب العربي والأردوي وغيرهما. وساهمت مشاركاته في الندوات العلمية في تحسين مستواه العلمي. وقام بتأليف عدد من الكتب في مختلف اللغات، علماً بأنه وقف نفسه لأجل تربية الجيل الناشئ وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

كما اتجه الشيخ كوكن إلى مصر عام 1957م والتحق بجامعة القاهرة، وكان من بين الأساتذة الذين كان يستمع إلى محاضراتهم آنذاك، الدكتور/ طه حسين، والدكتور/ حسين نصار، والدكتور/ يحيى الخشاب، والدكتورة/ سهير قلماوي، والدكتور/ شوقي ضيف. وبدأ يتعمق في معرفة الأدب العربي الحديث. وبعد شهرين بدأ في تحضير رسالة تحت إشراف الدكتور/ شوقي ضيف، حول موضوع "الفرزدق" ولسوء الحظ لم يستطع أن يكمل هذا البحث بسبب عدم قيام الحكومة الهندية بتمديد فترة ابتعاثه[11].

مؤلفاته:

إن من خلال إلقاء نظرة خاطفة على مؤلفات الشيخ كوكن العديدة فإنه بإمكاننا أن ندرك مدى جديته في اختيارها وأدائه حقها، حيث استطاع أن يؤلف في حياته العديد من المؤلفات في مختلف اللغات الأردوية والعربية والإنجليزية ومن أهم هذه الكتب على سبيل المثال لا الحصر:

1) الإمام ابن تيمية، 2) مختصر تاريخ هند، 3) مولانا أبو الكلام آزاد، 4) دكن میں عربی ادب، 5) عورت اور مسئله امامت، 6) العربية والفارسية في

كرناتک، 7) العرب وأدبهم (جزأين)، 8) القرآءة العربية (الجزء الأول)، 9) القراءة المفيدة، 10) الأبيات المقدسة، 11) أعلام النثر والشعر فى العصر الحديث (3 أجزاء)، 12) التجارة وما يتعلق بها، 14) دولة المغول فى الهند، وغيرها.

وفاته رحمه الله:

لم يرزق الله الشيخ كوكن أي مولود، ولكن الله أعانه على تأليف عدد من الكتب التي ستظل تتلألأ في سماء العالم ما دامت السماوات والأرض بإذن الله، لتكون خير خليفة له بعد وفاته، حيث توفي رحمه الله في 16 أكتوبر عام 1990م[12]. فكان حقاً من بين الموتى التي تحيى القلوب بذكرهم، ومصداقاً لما قالته العرب: "موت التقيّ حياة لا نفاد لها".

وفيما يلي نلقي الضوء على بعض مؤلفاته العربية التي تعتبر مرجعاً رئيسياً للأدب العربي في الهند، ومن أهمها:

العرب وأدبهم:

ألف رحمه الله كتاب "العرب وأدبهم" في جزأين، لأجل سد الفراغ المتواجد في الجامعات الهندية والكليات العربية والمدارس الإسلامية وخاصة في مدراس وكيرالا، حيث استطاع من خلال اطلاعه الواسع أن يدرك الحقيقة الكامنة في عدم معرفة الطلاب وخاصة في جنوب الهند عن تاريخ العرب وآدابهم لعدم وجود كتاب حول الموضوع في متناول اليد. فشمر عن ساعديه وبدأ بإعداد هذا الكتاب، حول تاريخ العرب من العصر الجاهلي وحتى العصر الأموي، الذي اشتمل على أحوالهم وغزواتهم وفتوحاتهم وآدابهم وما إلى ذلك.

وهكذا، فإن هذا الكتاب يعتبر حقاً بمثابة كتاب يحتوي على معلومات قيمة ويجمع بين دفتيه كل ما يحتاج إليه الطالب والباحث من معلومات حول العرب وأدبهم بشكل عام، وبالتالي يلبي احتياجاتهم على أحسن وجه.

دولة المغول في الهند:

اتضح للشيخ كوكن عدم إلمام طلاب العربية بتاريخهم العريق في الهند لعدم وجود كتاب بالعربية حول هذا الموضوع، وأنهم يقتصرون على معرفة تاريخ الإسلام في اللغة العربية من العصر الجاهلي وحتى سقوط بغداد على يد هلاكو عام 656هـ، فسعى من خلال هذا الكتاب، تزويد الطلاب بحضارات الهند وثقافاتها وحكوماتها وبلدانها ومدنها، وسعى لتعريف الأدباء والشعراء والكتاب والتحدث عن جهودهم المضنية ومساعيهم المشكورة وخدماتهم الجليلة وآثارهم الخالدة ومؤلفاتهم العديدة ومساهماتهم القيمة في تنمية العلم والأدب، لذا قام بإعداد كتاب "دولة المغول في الهند" باللغة العربية ليلقي من خلاله الضوء على تاريخ المسلمين العريق في الهند.

أعلام النثر والشعر في العصر الحديث:

إن من خلال دراسة كتاب "أعلام النثر والشعر في العصر الحديث" الذي ألفه الشيخ كوكن في ثلاثة أجزاء ضخمة يتضح مدى شغفه بالقراءة وحب الاستطلاع والمعرفة، حيث أنه جمع فيه تراجم لعدد من الشخصيات الأدبية العربية المشهورة، والذي كان أمراً صعباً للغاية آنذاك ولا يزال حتى في يومنا هذا، لأنه يتطلب جهداً كبيرا وعناء مضاعفاً وعملاً متواصلا ومتابعة دقيقة. وبدون شك فإن المكتبات العربية تذخر بعدد من كتب تراجم الأدباء إلا أن جمعها بين دفتي كتاب واحد يستحق كل التقدير والثناء. وبكل صراحة، فإن الشيخ كوكن قام من خلال إعداده لهذه التراجم بجمع مواد علمية واسعة لكل من تستهويه الكتب العربية والأدبية، حيث قام بذكر المصادر القيمة لها حتى يتسنى للقارئ الرجوع إليها إبان الضرورة لإشباع شغفه وإرواء ظمأه العلمي.

واشتمل هذا الكتاب على ثلاثة مجلدات ضخمة، يشمل الجزء الأول تراجم لعدد من الأدباء ابتداءً من محمد علي والشيخ رفاعة الطهطاوي وحتى الأمير شكيب أرسلان ليشمل بذلك 33 أديباً وشاعراً بين صفحاته. ويشمل الجزء الثاني 52 أديباً

وشاعراً من أدباء وشعراء المهجر، والجزء الثالث والأخير يشتمل على تراجم لعدد من الأدباء اعتباراً من الأستاذ/ أحمد لطفي وحتى الدكتور/ شوقي ضيف، ليشمل بين صفحاته 46 أديباً. وهكذا فإن هذا الكتاب يعتبر أجود الكتب وأدقها في الأدب العربي الحديث، ومرجعا رئيسيا لكل عشاقه.

كما أوضح الشيخ كوكن أنه من الصعب إحصاء جميع أدباء الأدب العربي الحديث في هذا الكتاب، نظراً لقلة المعلومات المتوفرة عنهم في الهند، ولصعوبة الإحاطة بجميع المعلومات الذاتية عنهم أيضاً، إلا أنه فضّل الامتثال للمقولة العربية "مالا يدرك كله لا يترك جله".

ومن خلال دراسة مؤلفاته العربية يتضح لنا أن أسلوبه كان يمتاز ببساطة التعبير وسهولة المعنى وجزالة اللفظ واستقامته وغزارة المادة، لكي يسهل لكل من يريد قراءة كتبه فهم واستيعاب محتوياتها بكل يسر وسهولة. وكان يركز جل تركيزه على أن يستفيد منها كل من يرغب الاستفادة على أحسن وجه، كما كان يكثر من إدراج الحواشي لتذليل الصعاب والجمل المستعصية.

ومن بين خصائص مؤلفات الشيخ محمد يوسف كوكن، تنوع مصادرها وقدرته الفائقة على أسس التحقيق والنقد، واتباعه للأسلوب الرصين، وكان يرى الشيخ أن أسلوب تأليفه يجب أن يتبع بعض القواعد والأسس اللازمة للبحث مثل مراجعة المصادر الرئيسية ونقدها جيداً، حيث لم يكن يقبل أي رأي أو وجهة نظر إلا بعد إجراء تحقيق عادل حول ذلك. فقد كان شيخنا تلميذ الشيخ سيد سليمان الندوي رحمه الله، لذا فإنه لم يكن يعتمد على العبارات المنقولة حتى ولو كانت من قبل كبار المحققين والباحثين ما لم يتم التأكد من صحتها من مصادرها الرئيسية.

وهكذا اتبع أسلوب الشيخ الندوي في إجراء الأبحاث العلمية والدراسات، وسعى إلى تنويعها بسبب خبراته التي اكتسبها في مجالي التدريس والتأليف، فحقاً أدّى الواجب وترك أثاراً خالدة لا يسع لأحد أن يتغاضى عنها إطلاقاً.

خلاصة القول:

لقد ترك الشيخ محمد يوسف كوكن للأجيال ذخائر لا يستغنى عنها لأجل ترويج اللغة العربية وآدابها في بقاع الهند والعالم أيضاً، ولذلك تم تسطير اسمه بأحرف من الذهب في تاريخ الأدب العربي الحديث في الهند، ومن الصعب التغاضي عنه إبان الحديث عن مساهمة الهنود في إثراء الأدب العربي في الهند، وبالعكس فإنه سيكون في طليعة الأسماء التي تظهر في قائمة الأدباء الهنود. ومما لا شك فيه فإن مؤلفاته الكثيرة لا تزال بمثابة مرجع رئيسي يستفيد منها جيل بعد جيل إلى يومنا هذا. يقول الشاعر:

يلوح الخط في القرطاس دهراً وكاتبـــــــه رميم في التراب

وعليه فإنه من الصعب التحدث عن الشخصيات التي مثلت دوراً بارزاً في تطوير اللغة العربية في الهند بدون التطرق إلى هذه الشخصية الفذة التي بذلت الغالي والنفيس في سبيل تدريس وتطوير اللغة العربية في الهند، وتشجيع الطلاب على تعلمها وإتقانها والتحدث بها بطلاقة.

ومن هذا المنطلق، فإنه يجب علينا أن نتذكر هؤلاء الأساتذة العباقرة من حين لآخر، وندعو الله العلي القدير أن يغفر لهم ويرضى عنهم ويدخلهم فسيح جناته، لأن الذكرى تنفع المؤمنين وهي العامل الوحيد الذي يبعث في القلب شعلة العمل ويجدد في النفس المثابرة وبذل الجهد لأجل مواصلة مهامهم والسير وفق ما كانوا يسيرون عليه، فهم بالفعل أعطوا مثالاً يحتذى به في القيم والأخلاق والإخلاص في العمل. ومهما قلنا وحاولنا أن نعرب عن تقديرنا وجهودنا لهم بشتى الكلمات والجمل فإن الألفاظ البليغة والعبارات القوية ستقف أمام أعمالهم ومساهماتهم عاجزة عن التعبير والوصف. ونكتفي بما قاله الشاعر:

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

الحواشي:

[1]دار المصنفين کے سو سال، (مئة عام على دارالمصنفين) كليم صفات إصلاحى، ص 134.

[2]يادگار يوسف كوكن، حافظة يوسف كوكن، حافظه هاؤس، مدراس، عام 1993م، ص 14-15.

[3]يادگار يوسف كوكن، ص 18.

[4]دار المصنفين کے سو سال، كليم صفات، ص 134.

[5]مجلة "معارف"، نوفمبر 1990م، ص 386.

[6]يادگار يوسف كوكن، ص 38.

[7]مجلة "معارف"، نوفمبر 1990م، ص 386.

[8]دار المصنفين کے سو سال، كليم صفات، ص 135.

[9]مجلة البعث الإسلامي، المجلد 57، سبتمبر 2011م، ص 79.

[10]يادگار يوسف كوكن، ص 59.

[11]أعلام النثر والشعر في العصر العربي الحديث، محمد يوسف كوكن، كلمة المؤلف.

[12]يادگار يوسف كوكن، ص 180.

المصادر والمراجع

1. واقع اللغة العربية في الجامعات الهندية، د. إرشاد أحمد، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، آزاد بهوان، نيودلهي، الطبعة الأولى، 2005م.
2. محمد يوسف كوكن العبقري الكبير في جنوب الهند، د. محمد بشير، مطبعة ك. إم، للطباعة والنشر، كاليكوت، الطبعة الأولى، 1998م.
3. أعلام النثر والشعر في العصر العربي الحديث، محمد يوسف كوكن، ، دار حافظة للطباعة والنشر، مدراس، الطبعة الأولى، 1980م.
4. الشيخ شبلي النعماني ... حياته وأفكاره، د. محمود حافظ عبد الرب مرزا، عرشيه ببليكيشن، دهلي، الطبعة الأولى، 2015م.

5. یادگار یوسف کوکن، حافظه یوسف کوکن، حافظه هاؤس، مدراس، الطبعة الأولى، 1993م.
6. دار المصنفین کے سو سال، کلیم صفات إصلاحي، دار المصنفین، أکادیمیة شبلي، مطبعة معارف، الطبعة الأولى،2014م.
7. مجلة البعث الإسلامي، مؤسسة الصحافة و النشر، لکناؤ. المجلد 57، سبتمبر 2011م.–0مقال بقلم: الدکتور/ عز الدین الندوي.
8. مجلة "معارف" الأردویة، أکادیمیة شبلي، أعظم غراه، نوفمبر 1990م، (شذرات).
9. مجلة "الدراسات العربیة والفارسیة"، المجلد الأول، العدد الأول، قسم اللغة العربیة والفارسیة، جامعة الله آباد، الله آباد، ینایر 2015م.

عبقرية مولانا أبو الكلام آزاد وإسهاماته في إثراء اللغة والترجمة العربية في الهند

سيد محمد عمر فاروق**

{ يعد مولانا أبوالكلام آزاد من طليعة الأدباء والزعماء السياسيين والروحانيين في شبة القارة الهندية. وهو من أبرز قادة الثورة الهندية ضد الاحتلال الإنجليزي، وأبلى بلاءحسناً في الحركة الوطنية، وشارك في الكفاح ضد الإنجليز،حتى نالت الهند استقلالها. وكان له علاقة وثيقة باللغة العربية والعالم العربي. إنه شد الرحال إلى الوطن العربي، واجتمع برجال الفكر والدعوة، وبكبار الأدباء والشعراء كما أنه كان متضلعاً في اللغة العربية ودرس الكتب اللغوية والأدبية حتى أعرب عودها وأسبر غورها }.

ولادته وأسرته:

ولد أبو الكلام آزادبمكة المكرمة في شهر ذي الحجة سنة 1305 المطابق 9/ أغسطس سنة 1888م، وكان اسمه الكامل "محي الدين أحمد بن خير الدين". وهو ينحدر من أسرة أفغانية هاجرت إلى الهند في زمن الإمبراطور"بابر"مؤسس الدولة المغولية سنة 923هـ-1526م. وكانت أسرته مشهورة بجهاد الإنجليز، وقد ساهم أبوه في ثورة الهند الكبرى عام 1273- 1857م، ولكن بعد ما باءت بالفشل هذه الثورة، فشد الرحال إلى الحجاز، وألقى عصا الترحال هناك، وتزوج من سيدة

** الباحث في الدكتوراه، جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية، حيدرآباد، الهند.

عربية، فهي ابنة أحد كبار علماء مكة الشيخ "محمد طاهر الوطري" التي أنجبت له الشيخ مولانا أبو الكلام آزاد[1].

لقد نشأ مولانا آزاد نشأة عربية بين أرجاء مكة المكرمة، وتعلم في الحرم المكي، وتربى تربية عربية خالصة. وقد تركت هذه البيئة والتربية أثرها في حياته، ولعبت دوراً هاماً في تكوينه الفكري والعلمي والأدبي، وإتقانه في اللغة العربية وآدابها والمباحث اللغوية، وقد انعكس ذلك على حياته العلمية بعد ذلك حتى أطلق عليه صاحب الإمامتين: الإمامة في الدين والإمامة في السياسة.

لقد كانت شخصية مولانا أبي الكلام آزاد ثرية متعددة الجوانب، فهو سياسي محنك، ومجاهد باسل في سبيل استقلال الهند، وعالم جيد، ومفكر إسلامي وفيلسوف عظيم، ماهر في علوم الحديث ومفسر للقرآن الكريم، ومؤرخ في تاريخ العرب والعجم، وهو خطيب مفوه وأديب أريب وصاحب أسلوب مميز في العربية والأردية. وساهم في استقلال الهند عام 1947م، وظل وزيراً للمعارف والثقافة واحتل هذا المنصب حتى وفاته عام 1957م.

تربيته العربية في مكة المكرمة:

لقد رأى مولانا آزاد النور في مكة ونشأ بها، وترعرع في بيئة عربية دينية، وقضى طفولته الأولي بين ربوعها، وقد اختلف المؤرخون حول سنوات طفولته في مكة ولعل أصح الروايات تلك التي صدرت على لسانه، فقد تعلم مولانا آزاد العربية مع دخائلها وأسرارها في طفولته، وكان يذهب إلى الحرم المكي، وتلقى الدروس في اللغة والبلاغة، وهو يقول:"كان الشيخ يبدأ يومه بقوله يا فتاح ثلاث مرات، ويستفتح بقوله"رب يسر ولا تعسر" ثم يبدأ في قراءة ألف باء، وتعليمنا الحروف الأبجدية وأنا أتذكر هذه الأحداث جيداً"[2]

وقد تلقى مولانا آزاد مبادئ العلوم والفنون من العلماء الكبار في مكة، ولما رجعت أسرته إلى الهند في مدينة كلكتا في الهند، فبدأ والده الشيخ خير الدين يعلمه بنفسه ولم يرسله إلى المدارس بل كان يستدعى له المدرسين والأساتذة إلى منزله.

وكانت تبدو عليه علامات الذكاء والنبوغ منذ نعومة أظفاره وهو في السادسة عشرة من عمره. وبدأ يطلع على ثقافة عصره، واتسعت مداركه، ومنذ ذلك بدأ مولانا آزاد يهتم باليقظة الفكرية لمسلمي الهند ويتجه إلى الأصول الصحيحة للدين الإسلامي بعيداً عن العصبية والمذهبية، وحاول إلى الوحدة القومية بين المسلمين والهندوس، وأبلى بلاء حسناً في الحركة الوطنية وشارك في الكفاح ضد الإنجليز حتى نالت الهند استقلالها.

رحلاته إلى العالم العربي:

قام مولانا أبو الكلام آزاد بالرحلة إلى العالم العربي لكي يتعرف على أحوالها وأفكارها، وكان العالم الإسلامي في تلك الفترة قد بدأ في التفاعل للأفكار الثورية للشيخ جمال الدين الأفغاني، والدعوة الإصلاحية للإمام محمد عبده، وتلميذه النجيب العلامة محمد رشيد رضا صاحب مجلة "المنار". في الفترة ما بين1912-1908م زار مولانا أبو الكلام آزاد مختلف بلاد الشرق الأوسطية والعربية والإسلامية، والتي كانت تسمى بالولايات العثمانية في ذاك الوقت. ففي العراقاجتمع ببعض رجالاتها الدينية وزعماءها السياسيين، ومن بينهم: القاضي علي علاء الدين الألوسي (المتوفى1340هـ1921م) الذي كان سلفي المنهج وموحداً بين المذاهب الإسلامية، وصاحب المؤلفات الدينية واللغوية العديدة، وكان واعظاً وفقيهاً وقاضياً من القضاة المعروفين بالنزاهة والأمانة. تولى القضاء في نواحي متعددة من العراق وخارجها في الأستانة وفلسطين ولبنان وغيرها، وبعد الاحتلال الإنجليزي تولى القضاء في بغداد[3]. وفي بغداد التقى أبو الكلام آزاد بعلماء الاستشراق، منهم: المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون(1883- 1962م)، وهو من أكبر مستشرقي فرنسا وأشهرهم، وقد شغل عدة مناصب مهمة كمستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال أفريقا، وكذلك الراعي الروحي للجمعيات التبشيرية الفرنسية في بلاد العرب. تعلم اللغة العربية والتركية وغيرها من اللغات، وعني بالآثار القديمة، وشارك في التنقيب عنها

في العراق عام1907–1908م[4]. وقد اندهش هذا المستشرق بمواهب مولانا آزاد العلمية والفكرية بعد ما جرى الحوار بينهما حول موضوعات دينية وسياسية، ومولانا آزاد أيضاً تأثر به. ثم انتقل إلى مصر ولقي بالثوار وبمن يتبع مصطفى كمال باشا أتاتورك. ثم جاء إلى مصر– القاهرة والتقى ببعض الأتراك الذين أسسوا هناك مركزاً، ويصدرون منه جريدة أسبوعية تعنى بالقضايا الإسلامية العالمية، وتنتقد الحكومة التركية العثمانية. وفي القاهرة اتصل بالشيخ العلامة محمد رشيد رضا صاحب مجلة"المنار"، وبعلماء جامعالأزهر ومشايخها، واطلع على مناهج التدريس في هذا الصرح الديني العريق، ومقرراته الدراسية، ولكنها لم تجذبه إليها، بل انتقدها في مذكراته قائلاً: "في سنة 1908م حينما شددت الرحال إلى القاهرة، فكان النظام السائد في الأزهر ناقصاً غير واف، فلم يكن يثقف العقول أو يساعد على تحصيل معلومات وافرة عن العلوم الإسلامية والفلسفة الكلاسيكية القديمة والحديثة، وقد شمر الشيخ محمد عبده ذيله لإصلاح هذه النظام السائد، لكن العلماء المحافظين أحبطوا جميع جهوده ومساعيه، وعندما قنط الشيخ محمد عبده من إصلاح الأزهر أسس كلية جديدة باسم"دار العلوم"، وهي باقية إلى يومنا هذا..."[5]

ثم زار تركيا أو دار الخلافة الإسلامية العثمانية، داعياً الى إحياء روح الدين، وتنبيهاً لما يدور حول المسلمين، ويتربص بهم في دينهم وأوطانهم، ويكونون على هذا المستوى من الانهيار والتهافت في كل شيء. ثم ذهب إلى فرنسا، وبينما قصد إلى بريطانيا وصل إليه النبأ الحزين أن والده مصاب بالمرض الشديد. عاد مولانا أبو الكلام آزاد الى الهند. ولم يجد مولانا آزاد سوا منبر الإعلام الجدي وسيلة أو طريقاً للإصلاح الديني والدنيوي وإبطال الشبهات الواردة على الإسلام والمسلمين. فقد أنشأ عدة مجلات منها: مجلة "الهلال" و"البلاغ" في اللغة الأردية، ومجلة "الجامعة" ومجلة "ثقافة الهند" في العربية هدفاً إلى تعريف مسلمي شبه القارة الهندية بالبلدان العربية والإسلامية، ومساندةً بعضهم بعضاً على قاعدة النهوض والتقدم وانتزاع الحرية من المستبدين[6].

فلما تم استقلال الهند من براثن الإنجليز، عُين مولانا أبو الكلام آزاد وزيراً للمعارف، وزار بلاد الشرق الأوسط لمدة شهرين في 18 مايو 1951م، وكانت هذه الزيارة تهدف إلى توطيد العلاقات الثقافية بين الهند والعالم العربي. وشارك في الحفلات والمؤتمرات العديدة في العالم العربي بكل عناية وإخلاص. وترك بصمات في التاريخ التي لا تكاد أن تمحى.

أثر البيئة العربية على مولانا آزاد وعنايته باللغة العربية

كان لمولانا آزاد علاقة وثيقة باللغة العربية لما أنه ولد في مكة المكرمة، وكانت والدته عربية من أعرق عائلات مكة، فأول ما نطق به لسانه هي اللغة العربية، لأن أسرته كانت تتحدث باللغة العربية، و والدتها تركت تأثيراً بالغاً في تكوين الملكة اللغوية والفكرية في شخصية مولانا أبي الكلام آزاد، فصار خطيباً مفوهاً وكاتباً بارعاً، وقد تميز أسلوبه عن غيره من أدباء عصره، بحكم تأثيره بالأساليب العربية في الخطابة والكتابة، وعني مولانا آزاد بالكلمات والمعاني والصور والأخيلة العربية التي دأب على استعمالها مراراً في كتابته بالأردية حتى أصبحت جزء من تكوين اللغة الأردية ومن نسيجها الصرفي والبلاغي.

أما أسلوبه باللغة العربية لا يبدو فيه أثر العجمة ولا تأثير البيئة الهندية والسبك الهندي، فجاءت كتاباته سلسة رصينة وهذا ما نراه في الخطابات أو الرسائل التي أرسلها للشيخ محمد رشيد رضا المصري صاحب مجلة "المنار"، وفي الافتتاحيات لبعض أعداد المجلات التي أصدرها وهي:"الهلال" و"البلاغ" و"الجامعة" والتي كانت بالعربية، وفي تفسيره لمعاني القرآن الكريم المسمى بـ"ترجمان القرآن" الذي يعد دليلا ساطعا على تضلعه في اللغة العربية، واطلاعه على كتب التفاسير العربية المختلفة حتى صارت ترجمته من أفضل الترجمات الأردية للقرآن الكريم في شبه القارة الهندية.

وكذا يتجلى أثر التربية العربية عليه من خلال مؤلفاته العلمية التي تأثر فيها بالبيئة العربية، في مكة المكرمة من حيث الشكل أي استعمال أسماء عربية لمؤلفاته الأدرية، مثل: تذكرة، ترجمان القرآن، حزب الله، هجرو وصال، أم الكتاب، الدين والسياسة، حقيقة الحج وحقيقة الصيام وغيرها.وقد انعكست هذه التربية العربية على مولانا آزاد من حيث المضمون من خلال استخدامه لصيغ وتراكيب عربية جديدة في كتاباته، يفتتح رسائله بـ"الصديق المكرم" إلى جانب استخدامه للآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأشعار والأقوال المأثورة والأمثال والحكم باللغة العربية.

حينما نطالع كتابه الشهير"غبار خاطر" يمكن لنا أن نلاحظ فيه هذا الأثر العربي. وقد اهتم فيه مولانا أبو الكلام آزاد باستخدام الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، واستعمال الأقوال والمأثورة والأشعار العربية بقدر يصعب علينا حصرها في هذا البحث، وهي تحتاج إلى كتاب مستقل. وأنا أذكر هنا بعض الأقوال المأثورة والأشعار العربية كنموذج وهي فيما يلي:

الأقوال المأثورة:

لقد ذكر مولانا آزاد في كتابه الأقوال المأثورة باللغة العربية منها: وضع الشئ في غير محله، (ص:33) على سبيل التوالي والتعاقب (ص:35) وتأسى على ما فات(ص:55) لوكشف الغطاء لم أزد يقيناً (ص:123) ومن لم يذق لم يدر(ص:142) ولقد أحسن من قال (ص:143) وأخي يوسف صبيح وأنا أملح منه (ص:167) وغيرها.

والأشعار العربية:

عنى مولانا آزاد عناية تامة بالشعر العربي في مؤلفاته، وهذا يدل على إلمامه بالعربية وذوقه السليم في الأدب العربي، كما أنه ذكر بعض الأبيات العربية حسب مقتضى الموقع، وحسب ما يحتاج إليه السياق والسباق، نموذج منها: إنه ذكر شعر الثعالبي (ص:9)

تزول جبـال الـراسيات وقلبهم عن الحب لا يخلو ولا يتزلزل

وعند الحديث عن ذكرياته في مكة وكيف أنها ملكت على عقله وقلبه وتملكت منه ولم تدع مجالاً آخر لمؤثرات أخرى يقول متمثلاً قول الشاعر:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفاء أنيس ولم يسمر بمكة سامر (عمر الخزاعي ص:96)

أكثر مولانا أبو الكلام آزاد بأبيات عربية بكثرة في غبار خاطر، منها:

وجبال لبنان كيف يقطعها وهي الشتاء وصيفهن شتاء(المتنبي ص:184)

فقلت لها ما أذنبت قالت مجيبة وجودك ذنب لا يقاس به ذنب (أوس بن حجر، ص:189)

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل عفاف وأقدام وحزم ونائل(المعرى ص:195)

وبالإضافة إلى أنه اهتم بذكر الأشعار لفحول شعراء العرب؛ أمثال: أبو فراس، الحمداني، ابن سنا، عالية بن مهدي، أبو العلاء المعري، البحتري، والصاحب بن عباد .

وكذا استخدم مولانا آزاد عدداً كبيراً من المصارع أو الشطارمن الشعر العربي ليبين فكره ويشرح قصده، نموذج منها:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه (فكل قرين بالمقارن يقتدي – المصرع الأول، الصاحب بن عبّاد ص:109)

وللأرض من كأس الكرام نصيب (شربنا وأهرقنا على الأرض فضله– المصرع الثاني ، للإمام محمد الغزالي، ص:198)

والأذن تعشق قبل العين أحياناً (يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة– المصرع الثانيلبشار بن برد، ص:268)

هذه هي بعض الملاحظات التي تدل على أن مولانا آزاد ساهم مساهمة فعالة في إثراء اللغة العربية، من خلال كتاباته ومقالاته ورسائله.

مساهمته في إثراء اللغة والترجمة العربية في الهند

لا تنكر الحقيقة أن مولانا أبا الكلام آزاد كان من العلماء والأدباء الذين بذلوا قصارى جهودهم في تطوير اللغة العربية في شبه القارة الهندية، إنه أنشأ جرائد ومجلات عربية لنشر اللغة العربية في الهند، وهذا من أهم إسهاماته في إثراء اللغة العربية في شبه القارة الهندية. كما أنه كتب مقالات أو افتتاحيات عديدةفي اللغة العربية ونشرها في المجلات والجرائد الأردية والعربية. وكذا أنه شمر ذيله في مجال الترجمة، وقام بترجمة بعض الكتب الهامة إلى اللغة الأردية، وأجاد فيها. الآن أنا سألقي الضوء على إسهاماته في الصحافة العربية وفي مجال الترجمة نشراً وتطويراً، وهو فيما يلي:

1- مساهمته في الصحافة العربية:

وكان مولانا أبو الكلام آزاد شخصية بارزة ظهرت في آفاق الصحافة الإسلامية في بداية القرن العشرين، وهو من أولئك الصحفيين الذين أعطوا الصحافة هدفاً سامياً ونمطاً حديثاً مؤثراً في الأسلوب والتوجه، وأصبحت صحافته نموذجاً يحتذي به في أوساط الناس ويضرب به المثال، قضى معظم حياته في خدمة الصحافة، أصدر عدة دوريات، واشترك في هيئات التحرير لصحف كثيرة، ولم تنحصر خدماته في الصحافة الأردية فحسب بل توسعت إلى الصحافة العربية أيضاً. إنه أصدرمجلتينباللغةالعربيةهما: المجلة "الجامعة " والمجلة "ثقافة الهند".

المجلة "الجامعة":

أصدر مولانا آزاد المجلة "الجامعة" باللغة العربية في كولكاتا في أول إبريل 1923م، كانت نصف شهرية، وكان مولانا آزاد يشرف بنفسه عليها، وفوض إدارة تحريرها إلى الشيخ عبد الرزاق مليح آبادي، فكان مولانا آزاد يهدف من إصدارها أن يقوم بتعريف العالم العربي بما لأبناءالهند من المساهمة في الكفاح في سبيل الحرية والاستقلال، وطلبا لتأييد من ملوك العرب، ومن الخلافة الإسلامية، وكتب مولانا آزاد على غلاف المجلة:

"إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون "الجامعة " مجلة أدبية اجتماعية تصدر مرتين في الشهر تدعو إلى الجامعة الإسلامية والشرقية تحت رعاية الأستاذ الشيخ أحمد المكني بأبي الكلام، إدارة المجلة مطبعة البلاغ – 25رين لين كولكاتا الهند، المحرر والمدير المسؤل: عبد الرزاق اللكهنوي"[7]

ومن أهداف هذه المجلة نشر اللغة العربية وتطويرها في أرجاء الهند، لأنها لغة مقدسة لدى المسلمين في كل بقعة من بقاع الأرض، كما أن حياتهم الاجتماعية والأخلاقية والدينية مرتبطة بهذه اللغة، وقامت هذه المجلة بدور كبير في إحياء العلوم الإسلامية وذلك عن طريق نشر المقالات الدينية والعلمية لعلماء ذلك العهد، كما قامت بدور مؤثر في إيقاظ المسلمين وتعريفهم بأمور دينهم، وأدت واجبها في إثارة حمية المسلمين نحو مسؤليتهم، وواجباتهم السياسية بالرغم من أن عمرها لم يطل ولم يمتد الزمان بها كثيرا إذ توقفت في مارس عام 1924م بسبب سوء أوضاعها الاقتصادية وسقوط حكومة الشريف حسين بن علي في الحجاز الذي كان السبب الأول في تأسيس هذه المجلة. وتعتبر هذه المجلة نقطة مضيئة في تاريخ الصحافة العربية في الهند، ومصدراً مهماً للمعلومات المتعلقة بالأوضاع السياسية خلال عامي 1923– 1924م في كل من الهند الحجاز وتركيا.[8]

المجلة "ثقافة الهند":

أما المجلة "ثقافة الهند" التي ما زالت تصدر حتى الآن بانتظام وبصفة الاستمرار، أنشأها مولانا آزاد في مارس عام 1950م[9] وكان الشيخ مليح آبادي أول مدير لها، وهي تعتبر من أشهر المجلات الثقافية التي تصدر باللغة العربية من المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، بنيودلهي، الهند، وهي تستهدف تعزيز العلاقات الثقافية والحضارية بين الهند والعرب، وتلعب دوراً بارزاً في نشر اللغة العربية في الهند. وعندما صدرت مجلة " ثقافة الهند" قال مولانا آزاد:

مولانا أبوالكلام آزاد.

"وأرى أن المجلس (المجلس الهندي للعلاقات الثقافية) ينبغي له أن ينشئ لنفسه دارا للكتب، ويفتح قاعة للمطالعة ويستعد لإصدار مجلات ونشر مطبوعات مؤقتة أخرى"[10]

ومن أهم الأهداف السامية لهذه المجلة هي تطوير العلاقات الثقافية وتوطيدها، والتفاهم المتبادل بين الهند والبلدان العربية. وهي تعنى بحضارة الهند قديمة كانت أو حديثة لذا يجدر بنا أن نقول إن هذه المجلة لها دور كبير في تثقيف الشعوب العربية والبلدان الأخرى بآثار الهند وفلسفتها ولغاتها وآدابها المتعددة. وتبذل المجلة جهدها في بيان الثقافة الهندية ونشر رسالتها وتقريب صورتها إلى قراءها العربية آملة بذلك تنمية العلاقات الحية وتوثيق الصلات الودية بين الشعب الهندي وشعوب أسيا الغربية ومصر وتركيا.

نالت مجلة ثقافة الهند إعجاباً كبيراً وقبولاً واسعاً بين العرب والعالم العربي، أرسلت رسائل عديدة إلى المجلس الهندي للعلاقات الثقافية تقديراً بها، وممثلو الدول الشرقية الشقيقة يرحبون بـ"ثقافة الهند" وكتب إسماعيل كامل بك من المملكة المصرية رسالة قال فيها:

"ثقافة الهند ستخدم من يقرأها باهتمام لا في الشرق الأوسط فحسب، بل في البلاد الأخرى التي يتكلم جزء من سكانها باللغة العربية كبعض إندونيسيين كالأقلية العربية في إندونيسيا"[11]

الافتتاحيات:

وكانت كتابات أبي الكلام آزاد في افتتاحيات"الهلال" و"البلاغ" باللغة العربية قطعة رائعة ونموذجا للأسلوب العربي، كما يتجلى ذلك في هذه الافتتاحية المذكورة فيما أدناه يخاطب أبو الكلام آزاد جمهورا من المسلمين في هذه الافتتاحية لـ "الهلال"، ويقول:

"رب أدخلني مدخل صدق، وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا" الإسراء: 80". وبعد: فقد رأيت رؤيا بعين اليقظة النابهة سنة 1906م ومكثت

سنين متتالية أبحث عن التعبير العملي لهذه الرؤيا، وكنت في غاية الاشتياق لتحقيق هذه البغية، وما زلت بين الآمال والعزائم: ولطالما هاجمني القنوط مهاجمة عنيفة، للتغلب على عزائمي، والنيل من إرادتي، لكني تشبثت بعزيمتي المستحكمة معتمدا على عون الله، واثقا من تأييده إلى أن حان يوم أقول فيه "هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا" ولا يخفى على عالم السرائر، وعارف الخفايا، ما يحيط بي من المشاكل المضنية، وما يهددني من الآمال والأحزان، مما يكاد يذهب معه وعيي، ويحرمني طمأنينة البال، بيد أننا لا نجد مبررا لترك حياتنا تسير معطلة، وتضيع سدى. وما لنا نشتغل – كعادتنا– بالحديث عن الفشل والخيبة وشكوى الدهر؟ ليت شعري... ما دعا الناس إلى الإيمان بأن الحياة لا بد أن تكون مقرونة بالطمأنينة والهدوء؟ وما يمنعنا أن نقوم في وجه النوائب والآلام؟ ألا ترون الغواصين يسبحون البحر إلى شاطئ السلام، بينما يرتعد الخائفون وجلا وهم راكبون في السفن، أو واقفون على الشواطي؟ ألا إن الحياة مقرونة بالشدائد، لا فكاك لها قبل الموت، فهلا روض الشاكون أنفسهم على احتمال المشاق ومكابدة الشدائد فعبروا الأبحر دون خوف أو خشية؟[12]

ويقول أبو الكلام آزاد في افتتاحية أخرى لمجلة " الهلال":

"يا صاحبي السجن أ أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار، ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباءكم ما أنزل الله بها من سلطان، إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون" (سورة يوسف:39–40). يا قوم اعلموا وأدركوا بأنه ما قدر أن يكون لا بد أن سيكون ، وما من أحد يحول دون حدوثه، وسيأتي اليوم الذي تكون فيه الهند قد اجتازت آخر مراحل التطور السياسي، وسيسجل التاريخ تقدم البلاد وخطواتها في سبيل النهضة، أفلا فكرتم فيما سيسجله التأريخ عنكم.." [13]

ونموذج آخر مما سطر قلمه الرصين في العدد الأول من مجلة " البلاغ" باللغة العربية بعنوان " المسلمون بين الاجتهاد والتقليد" يقول:

"الحمد الله الذي رضي لنا الإسلام دينا ونصب لنا الدلالة على صحته برهانا مبينا وأمرنا أن نستهدي به صراطه المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد خاتم أنبيائه ورسله وصفوته من خلقه وحجته على عباده، وأمينه على وحيه الذي بعثه بتوحيد الألوهية ليحرر الخلق من رق العبودية، للعوالم السماوية والأرضية وبتوحيد الربوبية ليعتقهم من رق التقاليد الدينية... [14]

يدل هذه المقالات أو الافتتاحيات على قدرته الفائقة باللغة العربية الفصحى وملكة الاستشهاد بالآيات والأحاديث في المواضيع المناسبة تماما، ولكن المشكلة الكبرى هنا أن المقالات المنشورة في مجلة "الجامعة" العربية فهي تحتاج إلى التمحيص والتدقيق أن أية مقالة دبجها قلم مولانا آزاد، وأية مقالة عربها مولانا عبد الرزاق مليح آبادي، ولم يشعر مولانا آزاد بضرورة الكتابة في العربية لأنها كانت خارج نطاق عمله.

وبالجملة؛ أن مولانا أبا الكلام آزاد رحمه الله كان رجلا عملاقا، نادرة من نوادر الزمان، ونابغة من نوابغ العصر، قلما يجود بمثله الزمان، كان قويا، قويا في الإيمان، قويا في الهمة، قويا في الإرادة، قويا في العلم والأدب، قويا في السياسة، وكل شيئ عرفت عنه الدنيا شرقا وغربا شمالا وجنوبا فهو عن طريق الصحافة التي استخدمها طول حياته بكل قوة، وجعلها وسيلة لنشر وإبلاغ ما لديه من الأفكار والتوجيهات والتوصيات تجاه الشعب الهندي، والأمة المسلمة في العالم كله بالخطابة المجلجلة والكتابة البليغة الأدبية الرائعة باللغتين العربية والأردية، و بلغت الصحافة العربية والأردية في الهند في عهده قمة الثقافة والتقدير.

2. مساهمته في مجال الترجمة:

الشيخ مولانا أبو الكلام آزاد لم يكن كاتباً وأديباً فحسب بل كان مترجماً قديراً أيضاً، وهذا الفضل يرجع إلى أساتذته النابغين الذين بذلوا قصارى جهودهم في تصقيل مواهبه العلمية وتكوين شخصيته الأدبية، من أهمهم: المولوي حبيب الرحمن

رحمه الله الذي كان مدرساً في المدرسة العالية، وله علاقة وثيقة بوالده، وهو الذي كان مشرفا على ما كتب مولانا آزاد في مبكر حياته. فأول كتاب عربي قام بترجمته مولانا آزاد هو "نور اللمعة في فضائل الجمعة" للعلامة جلال الدين السيوطي (849-911) ثم قام بترجمة كتاب "أنيس اللبيب في خصائص الحبيب" للسيوطي باسم"خصائص محمديه"، ولما عرض هذين الكتابين على أستاذه الشيخ حبيب الرحمن فأعجب بهما أيما إعجاب. ثم توجه إلى كتب الإمام الغزالي وقام بترجمة كتابه الشهير"منهاج العابدين" على نمط المولوي عبد الواحد خان، ثم استكشف كتبه الأخرى. فلما رأى تعليقات السير سيد أحمد خان على كتاب "إلجام العوام عن علم الكلام" و"تهافت الفلاسفة" للإمام الغزالي، لقد تاقت نفسه إلى أن ينقل هذين الكتابين إلى اللغة الأردية، ولم يدخر وسعاً في الترجمة الصحيحة مراعاة بالمصطلحات العلمية والتراكيب الفلسفية[15]. و كانت هي أول ترجمة اطمئن بها قلب مولانا آزاد. وبما أن مولانا آزاد في صباه كان متأثراً جداً باللغة العربية، وكانت لغته الأردية ضعيفة، وبهذا الصدد يقول:

" في هذه الفترة من الزمن لم تكن لغتي الأردية قوية، يغلبها أثر اللغة العربية، وفي كلكتا لم أجد فرص الاحتكاك مع أهالي اللغة الأردية ما عدا الوالد، إلا أن شغفي بالشعر سد هذا النقص في مدة يسيرة، ولكن لتحسين المهارة في الكتابة والإنشاء لم أجد شيئاً مفيدا أكثر من المطالعة..." [16]

وكذا ازداد شوقه عندما قرأ الاستعراض الذي كتبه السير سيد أحمد خان على كتاب"المضمون به على غير أهله" للإمام الغزالي، وترجم هذا الكتاب إلى اللغة الأردية. ولما كتب الأستاذ قاسم أمين كتابين باسم "تحرير المرأة" و"المرأة الجديدة" ظهر في مصر جدل واسع في الأوساط الفكرية والعلمية بكلامه عن المرأة، وانتشرت الأفكار الرامية إلى نبذ الحجاب وإلى المدانة بحقوق المرأة، فانبرى مولانا أبو الكلام آزاد، وقام بترجمة كتاب "المرأة المسلمة" لفريد وجدي رداً عليه، ونشره في أعداد مجلة "الندوة". ثم نشره في كتاب مستقل باسم"مسلمان عورت"[17].

والجدير بالذكر أن مولانا آزاد قد استفاد من الجرائد والمجلات العربية التي كانت تصدر من بلاد العرب، وكان يقوم بترجمة بعض المقالات العربية الهامة إلى اللغة الأردية التي كانت تلقي أضواءً حول ما كان يجري في العالم العربي والإسلامي. كما أنه قام بالاستعراض والترجمة لبعض أجزاء مجموعة مقالات عن الحرية الشخصية في مجلة الهلال في المجلد:16، العدد:9 السنة 1927م، وترجمة بعض آجزاء كتاب الدكتور أحمد بك كمال عن الآثار المصرية، وترجمة كتاب الدكتور أحمد شاهين المصري، وهذه كلها نشرت في جريدة الهلال في أعداد مختلفة.

ومن المعلوم أن مولانا آزاد كان معروفاً في الدول العربية، وعندما توفي نشر نبأ وفاته في بعض الجرائد والمجلات الصادرة في الدول العربية ومنها:جريدة الأهرام، وكتب عنه بعض كبار كتاب العرب منهم: أنور الجندي في "تراجم الأعلام المعاصرين" الزركلي في "الأعلام"، ورضا كحالة في "معجم المؤلفين"، وما إلى ذلك...

خاتمة البحث:

كان مولانا آزاد شخصية ثرية متعدد الجوانب، إنه زار الدول العربية منها: مصر، والشام، وفلسطين، وليبيا، والعراق، والسعودية، وأيد قضاياهم، وأثرت الثقافة واللغة العربية في فكر مولانا آزاد، وأسلوبه. وكان آزاد أديباً فذا بالعربية وصاحب أسلوب بها، وكل من يقرأ مؤلفاته وخاصة غبار خاطر، وكاروان خيال، يجد آزاد قد أكثر من استعمال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والأبيات والأمثال العربية، وكذا كتب عدة افتتاحيات بالعربية في مجلة "الهلال" و"البلاغ"، وكتب الرسائل أو الخطابات باللغة العربية إلى الشيخ رشيد رضا. لقد ملك آزاد ناصية اللغة العربية في الكتابة والخطابة على حد سواء، واعترف به الجميع في العرب والعجم، وكانت ترجمته الفورية لخطبة الشيخ رشيد رضا المصري إلى اللغة الأردية في ندوة العلماء في 6 إبريل 1912م دليلاً على تمكنه من اللغة العربية. وكذلك أنشأ مولانا آزاد

المجلس الهندي للعلاقات الثقافية في نيودلهي، لتوثيق العلاقات بين الهند والعرب، وتخليداً لذكرى آزاد المعطرة أقيم في مصر مركز ثقافي هندي باسم"مركز مولانا أبو الكلام آزاد للثقافة الهندية" ليكون حلقة وصل بين مصر والهند.

الهوامش والحواشي:

1. مولانا أبو الكلام آزاد شخصيت اور کارنامے، خليق أنجم، ط: 7 ، سن 2007م، اردو اكاديمى دهلي، ص:36-37
2. آزاد كي كهاني خود آزاد كي زباني، مولانا عبد الرزاق مليح آبادي، سن طباعت: 2008م، اعتقاد پبلشنگ هاؤس دهلي، ص:51-52
3. تاريخ الأدب العربي في العراق، عباس العزاوي، سنة 1962م، مطبعة المجمع العلمي العراقي ببغداد، ص:52
4. الأعلام، خير الدين الزركلي، الطبعة: الخامسة عشر2002م، دار العلم للملايين بيروت، ج:5، ص:212
5. آزادئ هند، اردو ترجمة India Wins Freedom مولانا آزاد، اعتقاد پبلشنگ هاؤس دهلي ص:20
6. مولانا آزاد فكروفن، ڈاكٹر ملك زاده منظور أحمد، طبع: 2007م، اتر پرديش اردو اكاديمي لكهناؤ، ص:49-50
7. مولانا أبو الكلام آزاد ومساهمته في الصحافة العربية في الهند، د- صهيب عالم، 2006م ، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية بدلهي الجديدة، ص:70-71
8. نفس المصدر، ص:75-80
9. ثقافة الهند، المجلد:55، العدد:1، 2004م، مقال: د- جلال الحفناوي، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية بدلهي الجديدة ص:35
10. أبو الكلام آزاد، عبدالقوي الدسنوي، سنةالطباعة1987م، ساهتيه أكاديمي نيو دهلي، ص: 84
11. المجلة "ثقافة الهند" المجلد:1، العدد:4، سنة 1950م المجلس الهندي للعلاقات الثقافية بدلهي الجديدة، ص:2

12. أبو الكلام آزاد المصلح الديني في الهند، د- عبد المنعم النمر، الهيئة المصرية العامة، ص:50
13. نفس المصدر، ص: 61-62
14. مولانا أبو الكلام آزاد ومساهمته في الصحافة العربية في الهند، ص: 73
15. مجلة ثقافة الهند، عدد خاص عن مولانا أبو الكلام آزاد، سنة 2013م، ص: 183
16. منقول عن مجلة ثقافة الهند، عدد خاص عن مولانا أبو الكلام آزاد، سنة 2013م، مقال: الدكتور نعمان خان، ص:184
17. نفس المصدر، ص:188-189

الثقافة الهندية كما صورها البيروني في "كتاب الهند"

د. أشفاق ظفر*

{ تربط الهند والعالم العربي علاقات ثقافية و تجارية و علمية منذ العصور القديمة. لو درسنا تاريخ العلاقات بين شبه القارة الهندية و جزيرة العرب لوجدنا أن الهند كانت تسد منذ ذلك الوقت معظم احتياجات الناس في الجزيرة العربية مثل المواد الغذائية والمنسوجات و مواد الرخاء والمعيشة النعيمة كالحرير والمجوهرات. وكانت تعد الهند من البلدان المتقدمة و تعرف لعلومها و فنونها و خبرة أهلها في علم النجوم. و يقال " في عهد الإمبراطور شاه جاهان شكل الحجاج الهنود أكبر حركة مرورية للناس عن طريق البحر١". و قد أشار كثير من الكتاب والمؤرخين إلى نبوغ الهنود في العلوم والحساب و الفلك. كما نجد أبا عثمان الجاحظ يعترف كمال الهنود في العلوم قائلا في كتابه "البيان والتبيين":اشتهرت الهند بالحساب، وعلم النجوم وأسرار الطب و النجر و التصاوير و الصناعات الكثيرة العجيبة".٢}

إن العرب قاموا بترجمة كتب العلوم والفلسفة من اليونان وبلاد فارس والهند. وجاء عدد كبير من علماء الهند والفلاسفة إلى بغداد في عهد العباسيين، وشاركوا في حركة ترجمة كتب العلوم والفنون والفلسفة والحكمة والطب من اللغة السنسكريتية إلى اللغة العربية، كما توجه بعض العلماء العرب إلى الهند لتعلم الرياضيات وعلوم الفلك والفلسفة. ومن بين هولاء العلماء العرب الفذة الذين سافروا إلى بلاد الهند

---

* كاتب حر، نيودلهي، الهند

لدراسة العلوم والثقافة الهندية ومشاهدة التطور الفني والعقلي في حدودها، أبو ريحان محمد بن أحمد البيروني.

وهذه المقالة تركز على هذا العالم الجليل الذي قضى سنوات طويلة في الهند وشاهد ثقافتها وتقاليدها. وعرف الهند خارج حدودها عبر كتابه "كتاب الهند". وهذا الكتاب يعد سجلا محكما لجميع نواحي الحياة في الهند آنذاك.

مولد البيروني ونشأته: ولد "محمد بن أحمد الخوارزمي"، المعروف بأبي الريحان البيروني في ٣ من ذي الحجة ٣٦٣هـ =٤ من سبتمبر٩٧٣م في قرية من ضواحي مدينة "كاث" عاصمة دولة "خوارزم وهى الآن تابعة لجمهورية أوزبكستان في آسيا الوسطى وقد سميت هذه المدينة باسم "البيروني" تخليدًا لذكراه. وقد تلقى "البيروني" تعليمه في بلدته، حيث حفظ القرآن، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب، وشيئًا من الفقه والحديث مثل غيره من الطلاب الذين يبدؤون حياتهم العلمية. ثم اتجه "البيروني" إلى دراسة العلوم الطبيعية والرياضيات، بعد أن وجد في نفسه ميلاً إلى ذلك، فتلمذ على يد "أبى نصر منصور بن على بن عراق"، وكان عالمًا مشهوًرا في الرياضيات والفلك، وعمل تحت إشرافه في مرصده الفلكي. ظل البيروني في موطنه حتى تجاوز العشرين من عمره، ثم رحل عنها، واتجه إلى مدينة "الري" سنة (٣٨٤ هـ)، القريبة من "طهران"، وفى أثناء إقامته بالرى التقى بالعالم الفلكي "الخوجندى" المتوفى سنة (٣٩٠هـ)، وأجرى معه بعض البحوث الفلكية على أحد الجبال الموجودة في "الري. ثم انتقل إلى "جرجان" وحظى برعاية ملكها "قابوس بن وشمكير"، وكان أديبًا كثير الحفاوة بالعلماء، وفى أثناء إقامته التقى بأكبر أساتذته الطبيب الفلكي "أبى سهل عيسى بن يحيى" المتوفى سنة (٣٨٩هـ)، وشاركه في بحوثه و تعلم منه أسرار العلوم والفنون.٣

في بلاط السلطان محمود الغزنوي:

ثم أجاءه القدر إلى "غزنة"، وهي الآن "كابل" عاصمة "أفغانستان" وعاش في بلاط السلطان "محمود الغزنوى" مشتغلاً بالتحقيق في الفلك والفيزياء والتعدين

وغيرها من العلوم والفنون وقد رافق البيروني في معظم فتوحاته العسكرية في بلاد "الهند" التي بلغت سبع عشرة مرة، وقد اغتنم "البيروني" فرصة وجوده في "الهند" باحثا عن كنوزها العلمية وثقافتها المتنوعة بكل الدقة والتركيز، وتعلم اللغات الهندية خاصة اللغة السنسكريتية، ودرس النواحي الدينية والفلسفة الشعبية، فنقل إلينا كثيرًا منها، في كتبه ومؤلفاته، وخاصة في كتابه الذي أفرده للحديث عن "الهند" باسم "كتاب الهند في تحقيق ما للهند". وبعد وفاة السلطان "محمود الغزنوي" سنة (٤٢١هـ) خلفه ابنه "مسعود"، وكان محبًّا للعلوم والثقافة، يشجع العلماء ويوفر لهم كل ما يحتاجون إليه، ووجد "البيروني" في بلاطه كل تقدير وثناء، فأكب على التأليف وظل "البيروني" محل التقدير والتصنيف، وأهداه أكبر كتبه في الفلك و الرياضيات الذي أطلق عليه "القانون المسعودي". وكان البيروني مجيدا للغة العربية، إلى جانب لهجته الأم الخوارزمية ولغته الأولى الفارسية ثم اضاف إلى ذالك فيما بعد، اللغات السنسكريتية واليونانية والسريانية والعبرية. ونبغ في الرياضيات وعلم الفلك. ويتم إعتباره عالما ولغويا ومؤرخا ورياضيا وجغرافيا وطبيبا وصيدليا وفيلسوفا. وعلى حد تعبير "سميث" في كتابه "تاريخ الرياضيات"، كان البيروني من ألمع علماء زمانه في الرياضيات، وأهل الغرب مدينون له بمعلوماتهم عن الهند.٤

وبحوثه العلمية: مؤلفات البيروني

قام البيروني بتأليف عدة كتب وبلغت مؤلفات البيروني أكثر من مأة وأربعين كتابًا بين صغير وكبير في مختلف فروع المعرفة. ومن اشهرها:

١- "**الآثار الباقية عن القرون الخالية**"، وهو يبحث في التقاويم الفلكية والأعياد عند الشعوب والأديان المختلفة في ذلك الوقت، كاليونان والرومان والفرس والقبط، والنصارى واليهود وعرب الجاهلية.

٢ – "**الجماهر في معرفة الجواهر**"، وهو كتاب يبحث في الفلزات والمعادن وبخاصة الأحجار الكريمة.

٣- "**القانون المسعودى في الهيئة والنجوم**"، وهو يتألف من (١٢) فصلاً يقدم فيها "البيروني" إسهاماته في علم الفلك كله، مع حساب التوقيت وحساب المثلثات والرياضيات والجغرافيا.

٤- "**التفهيم لأوائل صناعة التنجيم**"، وهو موسوعة تعرض لمصطلحات الهندسة والحساب والفلك والجغرافيا والأوقات، وتصف الأجهزة الفلكية، و طبع الكتاب مع ترجمة إنجليزية له في" لندن" سنة (١٩٣٤م).

٥- **تحديد نهاية الأماكن لتصحيح مسافات المساكن**"، وهو كتاب في الجغرافيا حيث يقوم بتحديد العروض الجغرافية والاختلافات في تحديد أطوال المواضع، و طبع الكتاب في "تركيا".٥

بالهند: إهتمامه

يوصف البيروني بأنه مؤسس علم الهنديات وكان أول عالم مسلم قام بزيارة الهند لدراسة تقاليدها وعقائدها ومشاهدة أعيادها وأعرافها. وهذا العالم الجليل يوصف أيضا "بالأنثر وبولوجي الأول للنظام البرهمني و الشبكة العقائدية التي كانت تشمل كل شيىء رائج في حدود البلاد. إن التحقيق الرائع الذي قدمه الينا البيروني هو كتابه "**كتاب الهند في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرزولة**" الذي صنفه بعد أسفاره البعيدة وتجاربه العميقة في الإجتماع الهندي وثقافتها القديمة الشامخة. قد سجل البيروني في هذا الكتاب كل شيء يهم في أي ثقافة وحضارة. وقد قسم هذا الكتاب إلى ثمانين بابا.

إن الباب الأول يشتمل على المشاكل التمهيدية التي واجهها الكاتب في فهم المجتمع الهندي وإدراك الحقائق الموجودة في نسيجه، ونهجه الخاص نحو تعلم جوهرة الهند.

ومن الباب الأول إلى الباب الثامن، قد أحاط بالفلسفة الهندية والدين الهندوسي بالتفصيل.

ومن الباب التاسع إلى الباب الحادي عشر، قد بحث في نظام الأسرة وقواعد السلوك الديني المروجة والمعمولة في الاجتماع .

ومن الباب الثاني عشر إلى الباب الرابع عشر، قد ذكر عن النصوص الدينية والعلمية.

ومن الباب الخامس عشر إلى الباب السابع عشر، قد ذكر طرق الهنود في الكيمياء والعلوم.

ومن الباب الثامن عشر إلى الباب الثاني والستين ، قد أبلغ المعلومات حول النظام الاجتماعي والطقوس.

ومن الباب الثالث والستين الى الباب التاسع والسبعين، أخبر البيروني مفصلا عن الجغرافيا الهندية والفلك والتاريخ والمهرجانات.

وقد خص الباب الأخير "**الثمانين**" لذكر الفلك وحركات النجوم فيه.كما أن البيروني كان بنفسه خبيراً للعلوم الفلكية. فقد بحث بالتفصيل كمال الهنود في العلوم والحركات الفلكية التى يتبعها العلماء الهنود.٦

قضى البيروني وقتا طويلا في الهند باحثا في الثقافة والدين واللغة من ١٠١٧ حتى ١٠٣١م. ونتيجة لذلك قام البيروني بأول عمل ميداني للإثنوغرافية حول موضوع الثقافة والدين الهندوسي في الهند. فإن تحقيقه وتقديمه على هذا الموضوع يثبت أن البيروني احاط بجميع أنحاء الثقافة الهندية بصفة مراقب موضوعي للهند. ورغم انتمائه وعلاقته الوطيدة بالبلاط الغزنوي، سجل البيروني بعض نهب أكثر فظاعة من قبل السلطان محمود الغزنوي خاصة في "ماثورا" و"سومناث" قائلا " إن السلطان محمود دمر تماما ازدهار البلاد، وخلق الكراهية للمسلمين بين السكان المحليين، وتسببت الغزوات تراجعا كبيرا في العلوم الهندية فى تلك الأجزاء من البلاد التي غزاها" مقارنا مع المدن التي لا يمكن الوصول لنا إليها حتى الآن.٧

ومن خصائص البيروني, أنه أثناء تصريحاته وبياناته عن العقائد والأديان والأعراف الرائجة في الهند، لا يصل إلى نتيجة معينة ولا يصدر حكما على الثقافة الهندية أو العقيدة الهندوسية، وإنما يتحدث من خلالها عن تطوير الطرق والأدوات لدفع الحوار بين الأديان و التسامح الديني. وفي مقدمة "كتاب الهند" يكتب البيروني نفسه "أن النية وراء هذا السعي الحوار بين الإسلام والديانات الهندية، ولا سيما الهندوسية وكذلك البوذية". ٨

في الباب الثاني عشر لكتاب الهند , ألقى البيروني الضوء على العقيدة الهندوسية والكتب الدينية المعروفة أمثال " بورانا" و"فيدا" و قد ذكر عن أربعة كتب "فيدا" و ثمانية عشر "بوران" وعشرين " إسمرتي" بالاضافة إلى "مهابهاراتا". وقد خص بابا للذكر عن "مها بهاراتا". ووفر لنا معلومات دقيقة عنه ، وحتى أنه قد ذكر عن كاتبه العظيم " فياس". وقد صرح في هذا السياق أن هذا الكتاب هو سجل يومي للتنازعات والحرب بين فئتين من الأشقاء. وهم "كورو" و"باندو" من الطبقة الحاكمة في ذالك الزمان. و أفاد أن هناك مأة ألف قطعة من الدعاء و المناجات و تسمى كل واحدة منها "برب". ٩

في الباب الثامن عشر من الكتاب، ذكر البيروني عن "رام" و"رامائنا"و " راونا" مشيرا إلى قصة "سيتا" والحرب بين "رام وراونا" وقد أشار خاصة في هذا السياق إلى سلسلة جبل يسمى "كاشكندها" وهي تعرف عامة "بجبل القرود".ويعتقد أن ملك القرود يخرج مع جماعته كل يوم وله أماكن الجلوس الخاصة. ويوفر الناس لهم هناك الأرز المطبوخ على أوراق الأشجار الكبيرة. ويعتقد أيضا أن القرود هناك يسمعون كلام "راما" للذين ينصتون إليهم وإنهم يهدون من يضلون الطرق في الغابات .

وقد شاهد البيروني في ذكر تفاصيل قصة "رام" و"سيتا" على "سيتو سمودرم" كجسر على البحر. وقال إن الهندوس، يعتقدون أن "رام" كان وضع قطعة من الجبل في البحر للوصول إلى بلاد "سريلانكا" للقتال مع "راونا" لإطلاق سراح

زوجتها "سيتا". وقطع "رام" الجسر بسهم له أثناء عودته من "سيريلانكا". وهذا المكان لايزال واضحا حتى الآن. ١٠

وقد عقد البيروني بابا طويلاً للكلام على عقيدة التناسخ عند السكان المحليين. وأفاد: أن الإيمان بالتناسخ شعار العقيدة الهندية كما أن كلمة التوحيد شعار الإسلام، وكلمة التثليث شعار النصرانية. ونقل عن كتاب (باتانجلي) مقتبسات لإثبات عقيدة التوحيد عند الهنود. كما نجد:

"ويعتقد الهندوس فيما يتعلق بالله أنه هو واحد أبدي، من دون بداية ونهاية، ويعمل بإرادة حرة، هو سبحانه وتعالى، حكيم حي، ويعطي الحياة والعيش ، وهو حاكم، وله سيادة فريدة من نوعها وراء جميع الشبه والتغاير، وهو عليم خبير".١١

قد قال البيروني في موضع آخر في كتاب الهند:

"إن عبادة الأصنام هي نوع من الإرتباك. وإنها حصريا سمة من سمات عامة الناس وهي الآثار تكريما لبعض الأشخاص كالأنبياء، والحكماء، والملائكة، وتبجيلا لهم، وروجت هذه الاشياء للحفاظ على آثار هذه الشخصيات في ذاكرة عامة الناس بعد غيابهم أو وفاتهم".١٢

قواعد اللغة والأدب:

قد ناقش البيروني تطور قواعد اللغة والمعلمات الشعرية في الهند. وفي هذا السياق قد ذكر خلفية وراء تطوير قواعد اللغة والأدب والمبادىء الادبية في الهند قائلا:

"يروي الناس "كان هناك ملك يسمى "سمل واهن" في اللغة العامية او "ستواهن" في اللغة الفصحى، كان يوما من الأيام يلعب مع ملكاته في بركة قصره. وقال لإحدى ملكاته "مودا كام ديهي" يعني "لا تدشن الماء علي". ولكن سمعت الملكة هكذا "مود كام ديهي" يعني "إيتي بالحلويات". فذهبت وأحضرت الحلويات. فغضب الملك. وأصبحت غاضبة أيضا، وبدأ الجدل بينهما. ووفقا للتقاليد الهندوسية، انعزل الملك في زاوية من القصر وترك كل شيء وتنحى عن الأمور . فأتى إليه

رجل دين هندوسي ووعد أنه سيضع قواعد للغة وسيعلم الناس النحو والقواعد لجعل اللغة سهلة الفهم والإدراك، فرضي الملك. عاد رجل الدين يصلي "ماهاديف" (واحد من الآلهة الهندوسية). ظهر "ماهاديف" وعلم رجل الدين بعض أسباق النحو والقواعد. وهكذا وضع رجل الدين قواعد اللغة كما وضع أبو الأسود الدؤلي قواعد اللغة العربية. وجاءت قواعد اللغة في الهند إلى الوجود".١٣

العروض والأوزان الشعرية:

بعد ذكر قصة وجود القواعد، يخبر البيروني أن هناك أساليب و طرقا خاصة لنظم الشعر في الأدب الهندي وهو أمر مفيد للممارسة الشعرية، ويقول:

إن النظام لتقويم الشعر الهندي هو نظام مثل عروض الشعر العربي لدينا. وهذا هو جزء أساسي للأدب الهندي و قد دونت معظم الكتب الهندية في الأساليب الشعرية. والسبب وراء الكتابة في الأسلوب الشعري هو أن الكتب في النظم الشعري هي سهلة للحفظ والرواية. ويكفي لها أن تحفظ و تذكر عند الحاجة وخاصة عندما تعقد هناك أي نوع من المناقشة. ويعتقد الهندوس أن طبيعة الناس تنجذب إلى الأساليب الشعرية مقارنة مع الأساليب الأخرى عندما يجد الهنود كتبا يترجمونها على نمط "أشلوك" استخداما أساليبهم الشعرية. لا يسهل فهم هذه السطور المترجمة لأنها في أكثر الأحيان تتغير إلى حد ما للضرورة الشعرية.١٤

الطب الهندي:

قد ذكر البيروني أن للهنود كتابا في الطب. فقد ذكر خصوصا الكتاب الهندي الذي يعرف مع اسم كاتبها "تشراك". يعتبر الهنود هذا الكتاب أكبر وأفضل من كل الكتب الأخرى حول هذا الموضوع. أنهم يعتقدون أن الكاتب "تشراك" كان رجل دين ورعا. و كان اسمه "اغنى ويش". إنه سمي بـ"تشراك" عندما تعلم الطب من أبناء "ساوتر".وهم كانوا شخصيات دينية، وكانت استفادت هذه الشخصيات الدينية الطب من الإله "إندر". وكان تعلم اندر الطب من "أسوان" الذي كان طبيب الآلهة، وكان أسوان اكتسبه من برهما الذي هو خالق الأرواح البشرية. وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية لتعليم الأمراء العرب من سلالة البرامكة.١٥

بانج تانترا:

مشيرا إلى "بانج تانترا"، يقول البيروني إن الهنود لديهم براعة في مجالات متعددة تدل عليها كتبهم الكثيرة في العلوم والفنون والاجتماع والحكمة. وفي هذا السياق، يذكر البيروني المشاكل اللغوية التي واجهه في دراسة العلوم الهندية قائلا إن له رغبة شديدة في تعلم هذه العلوم والفنون. ولكن السد اللغوي يحول بين رغبته وتلك الفنون.

كان البيروني متأثرا "ببانج تانترا". يقول إن هذا الكتاب هو المعروف باسم "كليلة ودمنة" في الأوساط العربية. وقد تمت ترجمته إلى العديد من اللغات مثل العربية والفارسية وغيرها. ولكن، حسب البيروني، قام بترجمة هذه الكتاب أشخاص لم يخلوا بإدخال تغييرات و تحولات في جوهر النص حسب أهدافهم بعيدة المدى.١٦

طريق الكتابة و أدواتها لدى الهنود:

ليس هناك رواية شيء يدل على أن الهنود كانوا يمارسون الكتابة على الجلد كما كانت هذه الممارسة موجودة في اليونان وفي الاوساط العربية فيما بعد. وأما بالنسبة للهند، فاختار الناس تقنية خاصة للكتابة هناك. وخاصة في جنوب الهند حيث توجد شجرة مثل شجرة تمر. أوراقها تكون طويلة واسعة تصل إلى ثلاثة أصابع طولا. يطلق عليه إسم "تاد".يكتب الهنود على هذه الأوراق. ومجموعة هذه الأوراق بشكل كتاب تربط بالخيط لجعلها سليمة ومحفوظة من الإنتشار.

بينما في وسط الهند وشمالها، يستخدم الناس جلد شجرة تسمى "طوز". ويسمى أيضاً "بهوج". تؤخذ قطعة متواضعة منها. وتعد هذه القطعة عن طريق الدس والضرب حتى تصبح قابلة للكتابة عليها . والهنود لديهم صفة خاصة بهذا الصدد، وهي أنهم يكتبون رقما على كل صفحة. يربط الكتاب بقطعتين منفصلتين من الخشب ثم يلف هذا الكتاب بقطعة من القماش. وهكذا يتم إعداد كتاب ويطلق عليه إسم "بوثي". ويكتب الهنود رسائلهم والأشياء الأخرى على قطعة من شجرة "طوز".

ويشير البيروني إلى بعض المراجع التي تقول إنها مضت فترة من الزمان أن الهنود نسوا الكتابة بالخط الهندي الرائج في ذلك الوقت وتركوا الكتابة البتة. وترك الهنود أساليب الكتابة الخاصة بهذا الخط. ولم يكن أحد يلتفت إليه. ونتيجة لذلك، فشا الجهل في كل مكان. واصبح الناس بعيدين عن كل أشكال العلم والمعرفة. فجاء رجل وهو ابن "باراسا" ويسمى "فياس". فاخترع "فياس"٥٠ حرفا. وتقال هذه الحروف "اكشار". يقول الهنود إن الحروف كانت قليلة في البداية. ولكن مع مرور الزمان زادت فزادت.

ويشهد البيروني هذه الحكاية قائلا إن الحروف الهندية تجب أن تكون أكثر من هذا العدد كما أن لديهم علامات متعددة لحرف واحد للتعبير عن الأصوات المختلفة. اللغة الهندية لديها حروف وأصوات لا توجد في اللغات الأخرى، ويصعب التعبير عنها والأداء بها، لأن العرب لا يستطيعون إخراج أصوات هذه الحروف بالضبط، وآذاننا لا تستطيع التفريق بين صوتين مماثلين.١٧

الخط الرائج في مختلف الأقاليم الهندية:

الخط الأكثر شهرة بين الهنود يسمى "**سدها ماترك**" الذي وضع، وفقا لبعض الأقوال، في كشمير. يستخدمه الناس للكتابة هنا. و يستخدم هذا الخط في منطقة "باناراس" أيضا. باناراس وكشمير هما مركزان كبيران للثقافة الهندية والأعراف الدينية. و كذلك يستخدم هذا الخط في "مادهيا ديس" يعني في الجزء الأوسط للهند. المناطق المحيطة بمدينة "قنوج" تسمى "مادهيا ديس". وتعرف أيضا بإسم "آريا ورت". والخط الثاني الموجود في الأوساط الهندية يستخدم في منطقة "مالوه" ويسمى "ناغر". تختلف أشكال الحروف في هذا الخط عن الحروف التي تستخدم في كشمير، وباناراس ومادهيا ديس. و بالإضافة إلى ذالك،هناك خط آخر يسمى "ارده ناجري" أو "نيم ناجري". وهو خليط من الخطين المذكورين سابقا. ويستخدم هذا الخط في أجزاء من السند. والخط الآخر يسمى "مالواري" و هو يستخدم في المنطقة

"مالوشو" وهذه المنطقة جزء من جنوب السند. و هناك خط مروج آخر يسمى "سيندهو" و يستخدم في منطقة "بهموا" .

وأما بالنسبة للخطوط الرائجة في جنوب الهند، فيقول البيروني إن الخط" كنر" يستخدم في "كرنات ديس". وبينما يستخدم الخط "آندهري" في آ"ندراديس". وفي الوقت نفسه يستخدم الخط "دراويدي" في منطقة " دراويد" ، ويستخدم الخط "لاري" في منطقة "لار"، ويمارس الخط "غوري" في منطقة "بورب ديس". ويستخدم الخط "بهيك شو" في منطقة "اودن فور" لجنوب الهند. وهذا الخط يخص بالبوذيين.

ويقول البيروني أيضاً: "إن الهنود لا يستخدمون الحروف للحساب كما يستخدمها الناس في بعض أجزاء العالم حسب ترتيب الحروف. والسبب وراء ذلك هو أن أشكال الحروف في منطقة تختلف من الأشكال التي توجد في منطقة أخرى للهند. وما يستخدم للحساب في المناطق العربية هي مأخوذة من المرحلة المتقدمة للأرقام الهندية و تطلق على الأرقام إسم "انك". ولكن الكشميريين يكتبون على رأس كتبهم الأرقام التي تبدو كالأشكال و تشبه بالحروف الصينية".١٨

الأماكن المقدسة للهنود:

وقد ذكر البيروني الأماكن الدينية الشهيرة للهنود في ذلك الوقت قائلا إن معظم معابد هندوسية في جنوب غربي السند معروفة بعبادة "لينغ". والهندوس يعبدون "لينغ" إعتقادا أنه جزء لجسم إلههم "مهاديف". والمعبد الأكثر شهرة منها هو معبد "سومناث". تحضر كل يوم فيها كمية كبيرة من المياه من نهر الغانج والزهور من كشمير للتقديم أمام "لينغ". يعتقد الهنود أن "لينغ" يشفي من الأمراض العضال، وفي عبادته علاج لكل مرض.

ويقول البيروني إن السبب الآخر وراء شهرة مدينة "سومناث" هو أنه مدينة تطل على البحر فينزل فيها التجار وخاصة التجار الصينيون و الأفارقة.

إن الأسفار الدينية ليست إلزامية في الدين الهندوسي ولكنها تعتبر فعل الخيرات والحسنات. فالناس في الهند يقصدون إلى مكان مقدس أو إلى معبد كبير

أو إلى نهر مقدس. وإنهم يقومون بالعبادات والأعمال الخيرية هناك. ويسعون إلى تأدية صلوتهم وصيامهم أكثر فاكثر. يعطون البراهمة التبرعات والصدقات. ويحلقون رؤوسهم ولحيتهم ثم يعودون إلى منازلهم.

البرك المقدسة:

وفي سياق ذكر المقدسات الهندوسية، أفاد البيروني أن الهنود لديهم برك ضخمة شامخة تدل على أعلى فن العمارة في هذا البلد، ونحن في العرب، يمكن لنا أن نتصور فقط بناء البرك كتلك التي توجد في الهند. إن الهنود هم خبراء هذا الفن.

"**بركة مولتان**"

إن السكان الذين يتبعون الدين الهندوسي يقصدون البرك المقدسة ليزكوا أنفسهم روحا وجسما بعد الاغتسال في هذه البرك المقدسة. إن البركة التي تعد أفضل البرك وأزكاها هي بركة في مدينة "مولتان"(وهي تقع الآن تحت سيطرة باكستان وسيادتها). والاستحمام في هذه البركة تعتبر عبادة عظيمة.

وقد أفاد البيروني عن بركة واقعة في منطقة "ثانيسار"، وهي تعتبر مقدسا ومباركا. ويقصد إليها الناس للحصول على التزكية وتطهير الروح والجسم. وتحصل أية بركة على الشهرة والتقديس أساسا على أي حادث كبير له علاقة وطيدة مع الدين أو أن تكون إليها إشارة خاصة مذكورة في الكتب الدينية الهندوسية.

الأماكن المقدس:

"**باناراس**"

إن بعض الأماكن تكتسب أهمية بالغة بين الهندوس لكونها مرتبطة بالدين والثقافة الهندوسية منذ عصور. إن مدينة "باناراس" تعد من إحدى هذه المقدسات . إن الرجل يعتنق الرهبانية ويطلق عليه لقب "سادهو" أو "الراهب الهندوسي"، ويقضي بقية أيام حياته في هذه المدينة (كما يفعل بيننا جيران مكة، إنهم لا يزالون يبذلون جهودهم للقيام في مكة المكرمة لكسب الفيوض والبركات). إنه يود مماته في هذه

المدينة معتقدا أن الشعائر والتقاليد النهائية ستكون أفضل وأحسن من أي مكان آخر. وحسب العقيدة الهندوسية، يعاقب المجرم في أي مكان كان ولكن إذا دخل مدينة "باناراس" فيعفى ما تقدم من ذنبه.

"**ثانيسار**":

مدينة "ثانيسار" هي من إحدى الأماكن الهندوسية المقدسة. وتطلق عليها أيضاً اسم " كروك شيتر" أي "دولة كروك". كان "كروك" اسم فلاح معروف لأعمال الخير. وتنسب إليه بعض الكرامات. اشتهرت هذه المنطقة بهذه الشخصية وسميت بـ"كروك شيترا" وحصلت على مكانة كريمة بين الأماكن المقدسة. وتزداد مكانتها أهمية بسبب وقوع حرب مها بهارات في هذه المنطقة حيث أظهر "فاسوديف" خبرته وشجاعته ومهارته الحربية. وهزمت العناصر السيئة هنا. وكذلك أقرها الناس مكانا مقدسا و يقصدونها لكسب البركة والثواب.

"**ماثورا**":

تعد مدينة "ماثورا" أيضا من الأماكن الهندوسية المقدسة ولها شهرة مرموقة بين الأوساط الدينية. ويقطن عدد كبير من البراهمة فيها، أو غالبية سكانها هم البراهمة. إنها مقدسة لأن "فاسوديف" ولد ونشأ و ترعرع في قرية "ناند كول" قرب ماثورا.

"**كاشمير**":

أما بالنسبة "لكاشمير" فقد اكتفى هنا البيروني بالذكر أن الناس في هذه الأيام يقيمون بالرحلات المقدسة إلى كشمير أيضا. ولكنه قد أشار إلى تقديسها ورفعة مكانها في الأبواب الأخرى. وكما ذكر وجود أزهار كاشمير في معبد "سومناث" العظيم.١٩

وقد ذكر البيروني بالتفصيل أربع طبقات الناس في المجتمع الهندي، أرفعها و أزكاها طبقة يسمى "البرهمن": إن البرهمن له ثلاثة أدوار في الحياة. الأول يبدأ من السنة الثمانية إلى الخامس والعشرين من عمره. عندما يبلغ الولد الثامنة من

العمر يأتي إليه العلماء الهندوس. فيعلمونه الدعاء والأعراف الدينية و يؤدون المراسيم و الطقوس الهندوسية أمامه. و يلبسونه "جنيو"، وهو الخيط المقدس الذي يلبسه الولد في حفل ديني يعقد حينما يدخل الولد مرحلة التعلم والدراسة، ويعتبر هذا الخيط مباركا لحياة الولد. ثم يتم تعيين أستاذ له. هذا الأستاذ يعلمه العلوم والفنون.

وعندما يبلغ الولد الخامس والعشرين من عمره. فيلزم له أن ينهمك في الدراسة والتحصيل عند الأستاذ، و ينام على الأرضية، و يسأل الطعام من خمسة بيوت، ويأخذ منه قليلا. وفي هذه المرحلة، يجيزه الأستاذ للزواج والقيام بالحياة العائلية. ولا يجوز له أن يخلو بزوجته إلا مرة في الشهر. ولا يجوز له أيضا أن يتزوج مع بنت يبلغ عمرها أكثر من عشر سنوات. وهو يقضي ضرورة الحياة عن طريق تعليم الرجال من طبقة برهمن و تشاتري. و يلزم عليه أن لا يسأل أجرا على التدريس ولكن الطلبة بأنفسهم يقدمون له بعض الأشياء. ويعطيه الملك و الأمراء مقدارا من المال. ولا يلزم للبرهمن أن يدفع الضرائب كما يفعل الآخرون. ولكن لا يجوز له أن يملك الخيل والبقر، وكذالك لا يأخذ الربا. وحياته تعنى بالشفافية والصفاء. حياة البرهمن تجري هكذا حتى يبلغ الخمسين عاما من العمر.

وإن المرحلة الثالثة لحياة البرهمن تبدأ من السنة الخمسين من عمره حتى الخامس والسبعين. ويسلم الأمور العائلية و زوجته إلى أولاده. وإذا رضيت زوجته أن تذهب مع الزوج إلى الأماكن النأئية فلها خيار مفتوح أن تذهب مع زوجه أو تمكث مع أولادها. ويسكن البرهمن في هذه المرحلة في الصحراء والغابات. يستخدم أوراق الأشجار لستر سوءاته.

وإن المرحلة الرابعة لحياته تبدأ من االخامس و السبعين إلى نهاية عمره، هو يلبس الثياب الحمراء، و يتكئ على العصا، و يتأمل في الآفاق و خالقها، و يسيطر على الغضب والعداوة، ويتجنب الرفاقة، ولا يتكلم مع أحد. عندما يذهب لزيارة الأماكن المقدسة فلا يمكث إلا ليلة في قرية أو خمسة أيام في مدينة.

وتجيء من بعدهم طبقة "تشتري" و رتبتهم قريبة من البراهمة. هذه الطبقة تعرف بشجاعتها و بسالتها. وأهل هذه الطبقة يشاركون فى الحرب و يدافعون عن الحكومة.

ثم تأتي طبقة "وايش" في هذا الترتيب. إنهم يقومون بالتجارة، و يدفعون الضرائب، ويوفرون الأموال للحكومة.

وآخر طبقاتهم "شودر" وهى طبقة المنبوذين الذين يحترفون أدنى الحرف، من أمثال "دوم" و"تشندال" ونحوهما. وحسب الفلسفة الهندوسية، هذه الطبقة خلقت لخدمة الطبقات العليا.٢٠

هذا قليل من كثير ما أحاط به أبو ريحان البيروني في كتابه " كتاب الهند" من تنوعات ثقافة الهند و علومها و فنونها.

الحواشي:

١- حفظ الرحمان الإصلاحي، دور الهند في نشر التراث العربي، مطبعة "كتاب العربية" المملكة العربية لبسعودية ٢٠١١، ص ٨.

٢ –" الهند كما يراها أبوريحان البيروني" مجلة ثقافة الهند،المجلد ٥٩، العدد ١-٢ ، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، ص،٣٠٤

٣- قمر غفار البروفيسور، نقش أفكار أبو ريحان البيروني در دنياى امروز، السفارة الإيرانية لدى نيودلهي ٢٠١٠، ص ١٩٢

٤- نفس المصدر، ص ٢٣٢

٥- نفس المصدر، ص ١١٠

٦-" الهند كما يراها أبو ريحان البيروني" مجلة ثقافة الهند،المجلد ٥٩، العدد ١-٢ ، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، ص، ٣٠٦

٧- أبو ريحان البيروني، كتاب الهند، (أردو ترجمة) بك تاك(إسم مطبع) ميان تشمبر، لاهور ٢٠١١،ص ١٧

٨- نفس المصدر،ص ١٦

٩- نفس المصدر،ص ٢٠٣

١٠- قمر غفار البروفيسور، نقش أفكار أبو ريحان البيروني در دنياى امروز، السفارة الإيرانية ٢٠١٠، ص ٢٠٥
١١- أبو ريحان البيروني، كتاب الهند ,ص ٣٢
١٢- نفس المصدر،ص ٦٢
١٣- نفس المصدر،ص ٧٧
١٤- نفس المصدر،ص ٧٨
١٥- نفس المصدر،ص ٩٠
١٦- نفس المصدر،ص ٨٧
١٧- نفس المصدر،ص ٩٧
١٨- نفس المصدر،ص ٢٥٦
١٩- نفس المصدر،ص٢٥٨
٢٠-" الهند كما يراها أبوريحان البيروني" مجلة ثقافة الهند،المجلد ٥٩، العدد ١-٢ ، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، ص، ٣١٠

أبو الفيض فيضي وتفسيره سواطع الإلهام

د. محمد مهدي حسن**

{هو الكاتب الشاعر الأديب الفقيه المؤرخ المفسر الوزير أبو الفيض بن المبارك المتخلص بـ"فيضي" الناغوري الأكبرآبادي الذي لم يكن له نظير في الشعر والعروض والقافية واللغة والتاريخ واللغز والإنشاء والطب.}

مولده وأسرته ونشأته:

ولد الشيخ أبوالفيض فيضي بمدينة "أكبرآباد" الشهيرة بـ"آكرة"[1] حاليا سنة أربع وخمسين وتسع مائة (954هـ=1547م)[2]، وكان جدّه الشيخ خضر يماني الأصل، هندي المسكن والمدفن. وكان أسلافه وأجداده غالبا من أهل العلم، وأصحاب الفضل والكمال، ومشايخ الصوفية؛ وأصل هذه السلالة من اليمن، فقد هاجر الشيخ موسى جدّه الخامس من وطنه حباً للرحلة ودخل السند، وسكن في قرية اسمها "ريل" وتزوج هناك.[3]

وقد ترك الشيخ خضر– جد الفيضي– بلاده في القرن العاشر الهجري وسافر إلى "ناكور"[4] في ولاية "غوجرات"، فتزوج هناك امرأة عربية، فأنجبت له الشيخ مبارك[5]،وغادر الشيخ مبارك تلك المدينة إلى بلدة "أكبرآباد" سنة950هـ=1543/ 1544م[6] حيث تزوج في أسرة من السادات، وكان فيضي ثمرة هذا الزواج. وأنجبت أمه ابناً آخر اسمه أبو الفضل بن المبارك الناكوري.[7]

** الأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية، جامعة غوربنغا، مالده، الهند.

حياته التعليمية:

كان أبوه الشيخ مبارك أول أستاذ له، فقد تلمذ عليه فيضي وأخذ عنه مبادئ القراءة والنحو والصرف وعلوم البلاغة، ثم أخذ عنه الفقه وأصول الفقه وأصول الدين وعلم الفلسفة والكلام وجميع العلوم المتداولة التي كان الطلاب يدرسونها آنذاك، وصب الأب الرؤف في روحه حرية الفكر وسمو النفس. يقول فيضي في مقدمة تفسيره: "علّمه الوالد الواطد علم الحلال والحرام والأصول والكلام"[8]

ويقول صاحب "سبحة المرجان": "وتلمذ على أبيه الشيخ مبارك صاحب التفسير المسمى بـ"منبع عيون المعاني" المتوفى 1001هـ، وأخذ عنه الفنون المتداولة وحصّل الفراغ من تحصيلها وهو ابن أربع عشرة سنة، وخاض كثيرا في الحكمة والعربية."[9]

وكان من أساتذته أيضاً الخواجه حسين المروزي من أسرة علاء الدولة السمناني[10]، فإنه أخذ عنه العلوم العقلية، كذلك أخذ العلوم النقلية والشرعية عن الشيخ بن حجر المكي، كما أخذ عن أبي الفضل الكازروني ورفيع الدين الصفدي.[11] وأقبل على قرض الشعر إقبالا كلياً، وأتقن اللغات الثلاث: العربية والفارسية والسنسكريتية.

نشاطه السياسي والعلمي والثقافي:

ولما وصل صيت كماله إلى مسامع السلطان أكبر[12] أرسل إليه منثورا في طلبه سنة 974هـ،[13] وبعدما دخل فيضي البلاط أخذ بالتقرب رويدا رويداً إلى أكبر الذي ازداد حبه واحترامه لفيضي يوماً بعد يوم، فكان السلطان كثير الإجلال له، وكان فيضي في المرحلة الأولى من اتصاله بالبلاط يأبى أن يتقلَّد المناصب الإدارية، بل كان مشغولا ومكباً على القراءة والتأليف وتعليم الأمراء، وكان حريصاً على جمع الكتب النفيسة، وبذل عليها أموالاً طائلة، وجمع ثلاثمائة وأربعة آلاف من الكتب المصححة النفيسة، أكثرها كانت مكتوبة بأيدي مصنفيها، وبعضها كانت قريبة العهد من عصر التأليف.[14]

ويقول الدكتور الساداتي ناقلا عن منتخب التواريخ للبدايوني: "وترك هذا العالم من بعده مكتبة كبيرة ضمت قرابة خمسة آلاف مجلد من النوادر في الشعر والطب والفلك والموسيقى والرياضيات والفلسفة والحديث والفقه. وقد نقلت جميعها، على إثر وفاته، إلى البلاط بعد تصنيفها."[15]وقد سلِّمت إليه مسئولية تعليم الأمير دانيال، الولد الثالث للسلطان أكبر سنة 987هـ=1579م،[16] وفي سنة 990هـ وكِّل إليه –من قبل أكبر– الصدارة لـ"أكرا" و"كالنجر" و"كاليبي" وفي سنة 996هـ، العام الثالث والثلاثون من جلوس أكبر على العرش لقب بلقب "**ملك الشعراء**"،[17] وسافر إلى كشمير برفقة السلطان أكبر سنة 997هـ=1588م.[18]

وفي سنة 999هـ=1590م أُرسل كمبعوث خاص وكسفير في مهمات شتى، ورجع بعد إتمام المهمات إلى العاصمة فتح بور سكري سنة 1001هـ=1592م،[19] وأدَّى جميع مسئولياته كما حقه؛ فأنعم الملك أكبر عليه بهدايا كثيرة مختلفة.[20]

وفاته:

وفي العام التاسع والثلاثين من تتويج السلطان أكبر أصيب فيضي بالربو (احتقان في النفس)، فجاء إليه الحكماء والأطباء لعلاجه، ولكن لم تجْدِ المعالجات ولم تنفع حتى جاءه الأجل المحتوم في العاشر من شهر صفر سنة أربع وألف (5/1004 اكتوبر، 1592م)،[21] ودفن بآكرة (أكبرآباد)،[22] وقيل: بمدينة لاهور عند أبيه.[23]

شاعريته:

وكانت شاعرية فيضي موهوبة وذاتية، لأن أسرته لم ترتبط بالشعر والشاعرية، ولم يدرس الشعر دراسة عميقة خاصة، مع ذلك أنه قرض الشعر باللغة الفارسية منذ صغر سنه، كما جرَّب النظم باللغة العربية، فنجد قصيدة مصطنعة ومتكلفة من شعره في مقدمة تفسيره مدحاً وإطراء لـ"سواطع الإلهام".

وقد ترعرع فيضي في عهد سيطر فيه على عامة الشعراء التصنع والكلفة في الشعر، فلم يكن فيضي مستثنى منهم، فنجده أيضاً مائلا إلى التصنع في الشعر حيث يكثر استعمال الألفاظ الغريبة في أشعاره العربية والفارسية، ولكن كلما تزداد

صحبته مع أصحاب اللغة الفارسية كانت تصفو لغته وتتمايز بالخروج عن الكلفة والتصنع.

وسيّر فيضي قلمه في شتى ميادين الشعر كالغزل والمثنويات والرثاء وغيرها. ومن أهم ميزات أسلوبه وتعبيره الجد الحيوية النابضة حيث ابتدأت به وختمت معه.[24] ومن ميزات شعره الاستعارات الهزلية وقدرته العظيمة على التشبيهات.

مذهبه وعقيدته:

وقد اتُّهم فيضي بالتشيع والإلحاد والزندقة، يقول النواب صديق حسن خان القنوجي في كتابه الشهير "أبجد العلوم": "وكان فيضي على طريقة الحكماء وكذا إخوانه أبو الفضل وغيره وكانوا معروفين بانحلال العقائد وسوء التدني والإلحاد والزندقة نعوذ بالله منها."[25]

ويقول عبد الحي اللكنوي:" وكان يرمي بالإلحاد والزندقة – نعوذ بالله منها! – قال الشيخ عبد الحق ابن سيف الدين الدهلوي في كتابه في أخبار الشعراء: إنه كان ممن تفرد في عصره بالفصاحة والبلاغة والمتانة والرصانة، ولكنه لوقوعه وهبوطه في هاوية الكفر والضلالة، أثبت على جبينه نقوش الرد والإنكار والإدبار، ولذلك يستنكف أهل الدين والملة وأحباء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن ينتسب إليه من أن يذكروا اسمه وأسماء رهطه – تاب الله عليهم إن كانوا مؤمنين! انتهى معرباً".[26]

ويستمر الشيخ عبد الحي اللكنوي قائلاً: وقال عبد القادر بن ملوك شاه البدايوني في المنتخب: إنه كان مخترع الجد والهزل والعجب والكبر والحقد، وقد جمع فيه من الخصال الغير المرضية ما لم يجمع في غيره من النفاق والخبث والرياء والخيلاء وحب الجاه والرعونة، وكان غاية في العناد والعداوة لأهل الإسلام والطعن في أصول الدين، والحط من الصحابة وتابعيهم والسلف والخلف من القدماء والمتأخرين والمشايخ من الأحياء والأموات، حتى كان يفوق اليهود والنصارى والهنود

والمجوس ألف مرة في هذا الباب، فضلاً عن النزارية والصباحية، وكان يحل المحرمات الشرعية على رغم الدين ويحرم الفرائض والمباحات، وصنف تفسير القرآن لتطهير عرضه عن ذلك بمشهد من الناس، ولكنه كان يصنفه في حالة السكر والجنابة، وكانت الكلاب تطأ أوراقها حتى مات على ذلك الإنكار والإصرار والاستكبار والإدبار، تورم وجهه في مرض الموت واسود، وكان يعوي كالكلاب، وكان السلطان جلال الدين أكبر صاحب الهند يقول مع رضائه عنه في الديوان بمشهد عظيم من الناس إنه لما عاده في بيته عوى عليه كالكلب، وقد استخرج الناس لوفاته تواريخ فظيعة الألفاظ والمعاني، قال بعضهم: سال تاريخ فيضي مردار شد مقرر بجار مذهب نار وقال الآخر: قاعده إلحاد شكست، وقال الآخر: فيضي ملحدي، وقال الآخر: خالد في النار انتهى".[27]

ولكن عندما نقرأ تفسيره لم نجد شيئاً يخالف عقيدة أهل السنة، فمن الغريب جداً أنه لم يظهر ولم يقل في تفسيره بكامله شيئاً يثبت خروجه عن الملة الإسلامية، يقول شبلي النعماني:" تدل مصنفاته على أنه من أهل السنة"[28]؛ ويقول الدكتور زبيد أحمد:

'Faydi was commonly considered to be a heretic as regards his religious faith, but curiously enough he has never said anything against the orthodox view in the introduction or in the commentary itself. If we, for instance, take the following four points on which a heretic or freethinker may differ from the orthodox:

1-The Quran is the last book of revelation and Muhammad is the last Prophet.
2-Miracles and supernatural things such as the birth of Christ without a father, the story of the 'The People of the Cave', and that of 'The People of the Elephant', etc.
3-God leads to the straight path whomsoever He likes, and lets go astray whomsoever He likes, etc.
4-The only true religion is Islam. We find that he interprets all these points entirely from the orthodox standpoint.'[29]

وقد جاء في موسوعة الإسلام:

'But most of these charges are ill-founded and seem to be the result of some personal grudge, as there are in Faydi's diwan poems in praise of the Prophet and his Companions'[30]

آثاره:

كتب هذا العالم الفريد عدة كتب في موضوعات شتى حتى يقال إنه ألف مئة كتاب وكتابا[31]، وقد فقد معظمه، فمن مؤلفاته الموجودة في المكتبات المختلفة في أنحاء العالم:

1- **موارد الكلم وسلك درر الحكم:** وهو كتاب في الأخلاق، فلما أراد الفيضي أن يفسر كتاب الله تعالى بالحروف المهملة أخذ يكتب هذا الكتاب تمرينا له، فألفه سنة خمس و ثمانين وتسع مائة (985هـ)[32]، وقد طبع هذا الكتاب في كلكتا سنة 1241هـ/1825م[33].

2- **ترجمة ليلاوتي** (بكسر اللام): وهو كتاب في علم الحساب والمساحة في السنسكريتية، صنفه بهاسكر البيدري، من علماء الهنود. وبيدر بكسر الباء وسكون الياء بلدة عظيمة من بلاد الدكن، وبهاسكر كان عالماً عديم المثال في الرياضي، ولم يذكر في ليلاوتي تاريخ تأليفه، لكن له كتاب آخر أرخ له بالتاريخ المعمول في الدكن وهو مطابق لسنة اثنتين وعشرين وستمائة (622) الهجرية.[34]وقد طبع هذا الكتاب في كلكتا سنة 1826م.[35]

3- خمسة فيضي: شرع يكتبها سنة 993هـ/1590م استجابة لالتماس الملك أكبر[36]على نسق خمسة النظامي الكنجوي، وقد قسمها إلى خمسة كتب[37]:

(أ) **مركز الأدوار:** فِي مُعَارضَة مخزن الأسرار للنظامي،[38] وأكثر ذلك يدور حول "فتح بور" في 1462 بيتاً، وقيل 3000 بيتاً، وسماه أكبر بـ"مرأة القلوب". ورتبه أخوه الشيخ أبو الفضل بعد موته.

(ب) سليمان وبلقيس: منظومة فارسية، وقد نظم قسماً منه في لاهور مقابل خسرو وشيرين.

(ج) **نل مع دمن (نلدمن)** منظومة فارسية مَوْجُودَة فِي كتبخانة أسمد أفندي[39]، نظمها مقابل قصة ليلى ومجنون، وهي مأخوذة من القصص السنسكريتية

والقصص الشعبية الهندوسية، وأكملها في أربعة أشهر ثم قدّمها إلى السلطان أكبر سنة 1003هـ/1594م، وفيها أربعة آلاف بيت[40].

(د)- هفت كِشور (الأقاليم السبعة): منظومة فارسية، على وزن "هفت بيكر"، و فيها خمسة آلاف بيت.

(هـ)- أكبر نامه: و هو كتاب فارسي في التأريخ، في وقائع الملك أكبر.[41]

4- لطيفه فيضي: وهو مجموعة رسائله، جمعها بعد وفاته تلميذ هو ابن أخته نور الدين محمد بن عبد الله بن علي عين الملك الشيرازي[42].

5- تباشير الصبح: وهو ديوان شعره، وفيه تسعة آلاف بيت، وله ديوان آخر في قصائده.

6- ترجمة مهابهارت: وهو في الأصل قصيدة ملحمية سنسكريتية، ومن أمهات الكتب الأساطيرية الهندوسية، فترجمه فيضي إلى الفارسية مع عبد القادر البدايوني والملا شيري بأمر الإمبراطور أكبر شاه.[43]

تفسيره "سواطع الإلهام":

وهو أجل وأشهر مؤلفات العلامة فيضي، فإنه كتب هذا التفسير بأسلوب لم يعرفه كتّاب اللغة العربية قبله، إذ لم يستخدم في تفسيره هذا من أوله إلى أخره أياً من الحروف العربية المنقوطة، فنجح في مجهوداته، وحيَّر لباب أهل هذا الفن.

وبدأ فيضي تأليف هذا التفسير الفريد سنة 999هـ أول محرم الحرام وأتمه في 1002هـ، أي في سنتين ونصف سنة، ويقول في إحدى رسالاته إلى أصدقائه: إن هذا التفسير تم في العاشر من ربيع الثاني عام 1002هـ، وهذه من المنح الغيبية الإلهية التي من بها على هذا الفقير"[44]، ويقول عبد الحي الحسني: "صنفه في سنتين وأتمه سنة اثنتين وألف."[45]

ويبدأ فيضي تفسيره بمقدمة طويلة تشتمل على عشرين صفحة، وهي أيضاً في حروف مهملة؛ فبدأت المقدمة هكذا: "أحامد المحامد ومحامد الأحامد لله،

مصعد لوامع العلم وملهم سواطع الإلهام، مرصّص أساس الكلام ومؤسّس محكم الكلام، مرسل الكلام سهما سهما، أصالح الحصص وأكامل السّهام ومحذّر السّور كلاما كلاما صالحا للمصالح والمهام ملوّح معالم الدرك وملمّح مدارك الاعلام، مصلح أسرار الصدور ومطلح وساوس الأوهام، مطهّر ألواح الأرواح، ومصوّر صور الأرحام، ومحوّل أحوال الدّهور، ومدوّر أدوار الأعوام، محرّك سلاسل الآسار ومعطّر دماء الآرام، مطاوع عادل أمره السّوام والهوام، ومهلّل حرم طهره الرّمال والسّلام، علّم آدم الأسماء كلّها للإعلاء والإكرام وكرّمه علما وعملا واعسمه كمال الإعسام ... (اللّهمّ) صلّ وسلّم رسولا مودودا محمّدا محمودا إماما لكل إمام أرسله الله، ممهّدا لصوالح الأوامر والأحكام مصلحا للأمم، محدّدا لحدود الحلال والحرام وأوحاه طرسا معلوما ولوحا مرسوما لإصلاح الكل وإسعاد العام، حصار أمره الآمر ما صكّه صواكم الإعدام وسور حكمه الأحكم ما دكّه صوادم الأهدام، حرم سدده مصمد الدّعاء ومصمّم الإحرام، وهو رسول وما صار آدم مؤدما وما وسوسه المارد اللّوام وهو سام وحام للعالم، وما ولد سام وحام وطاوعه الكلّ، وما سادّ هود وما عصاه عاد وما أطاحهم الصّرصر والسّهام، وهو رادع الدّاعر وما الاح الدّهر الكالح صالحا وما الطّور حاملا للسّمام وهو ادرع مرط العلو، وما سرد داود دروعا لادّراع العرام، وآله الأطهار ورهطه الأحرار هم أولوا الوصل والأرحام كلّهم مطالع لوامع الدعاء وموارد مراحم السّلام..."[46]

وبعد أن حمد الله وسلم على رسوله قسّم المقدمة إلى جزئين رئيسين، ثم قسم هذين الجزئين إلى أجزاء جانبية، وسمى كل جزء منها "ساطعا"؛ وسمّى الجزء الأول من المقدمة بـ"السّواطع الصّوالح لصدر الكلام الحوامل لأحوال محرّر سواطع الإلهام"، وفي هذا الجزء ستة عشر ساطعا، وفيها ألقى الضوء على حياته الذاتية وعلى أحوال أسرته، فكتب في "ساطع" من الجزء الأول: أين وُلِد، وكيف حصل على الوظيفة عند السلطان أكبر، كما كتب ساطعين في مدحه، وعندما بيّن أحوال أبيه وإخوته كتب أسماءهم التي كانت منقوطة كاللغز والمعميات، من بينها–ذكر اسم

أبيه مبارك مثلا بأنه: " أساس العلم وأصل الروع ومطلع الإلهام ورأس الرؤس وإمام الكرام"[47]. ومدح في "ساطع" مسقط رأسه مدينة أكبرآباد، وما فيها من المساجد والمدارس وذكر مجالس علمائها.

وأطول السواطع التي كتبها في هذا الجزء، هي في مدح والده، وذكر أن أباه عندما اطلع على أوائل تفسيره فرح ودعا له وأصلح له بإرشاداته القيمة، يقول: "المحرّر لمّا ألهمه الله إملاء سواطع الإلهام صار الوالد مرحا مسرورا و عدّه أكرم الآلاء، و لمّا حرّر المحرّر كردوسا، و سمعه الوالد و رآه مدحه مدحا كاملا، و دعا له إكمالا سلاما و سرورا، و لمّا سوّد سدسه صار الوالد وراه حامدا لله، مادحا للمحرّر كمال المدح، و لمّا سطر المحرّر أول الطّرس و صدره وهو حامد ومصلّ، وأورد أوّل الكلام الحمد لله كما هو رسم الرّسام و رآه الوالد حوّله إصلاحا وأورد وسّه "أحامد المحامد و محامد الاحامد لله" و المحرّر مرح وسطر كما أصلحه الوالد وأراد".[48]

وفي "ساطع" كتب كيف تمكن من تأليف تفسيره، وهو كان مشتغلا بالتأليف حتى استلم دعوة الإمبراطور فتوجه إليه تاركا شغله الشاغل، وبعد أن أكمل الجزء السادس أرسله لملك أكبر إلى مهمة دكن، فاستأنفه بعد سنة كاملة وأكمله بمدينة لاهور كما يقول نفسه إن "محلّ إكماله دار الكمال و الإكمال لاهور"[49]؛ وفي خلال هذه الفترة انتقل والده إلى الرفيق الأعلى سنة 1001هـ .

وفي "ساطع" ذكر أسلوبه ومسلكه في تفسيره هذا، فيقول: "كلّ كلام أورده المحرّر لصدع كلام الله وإعلاء مدلوله هو ألمع ممّا أوّله ومدلوله أصرح والكلم العسر مدلولها، وأوردها المحرّر أواسط الكلام، لعمرك ما هو مدلول أصل كلام الله وما حرّرها إلا لإعلام أحوال الرّسل والأمم وإعلاء دواع لإرسال السّور والكلام والكلم وما هو أصل المراد."[50]

وجميع السواطع في هذا التفسير ليست متساوية حجما، فبعضها يساوي سطراً واحداً أو سطرين، وبعضها يتسع إلى ثلاثين سطراً.[51]

وفي نهاية الجزء الأول من المقدمة مدح تفسيره، فيقول: "سواطع الإلهام لعمرك طرس أروع ولوح أطهر، اسمه كمسمّاه سطوعا وإلهاما ... سواطع الإلهام لعمرك كاللّؤلؤ المكلّل المرصّع، لا والله هو السّماء الأسطع والذّاماء الألمع در دور درر الأسرار محطّ أمطار الأدرار، كاس مدام الأرواح، صراع لعاع السّحر والرّواح، دعاء صوامع الكرام، لواء معارك الكلام..."[52]ثم قرض قصيدة ميمية مدحاً له وإطراء عليه.

وأما الجزء الثاني من المقدمة فسماه "**السّواطع اللّوامع لعلوم كلام الله العلّام وأسراره الصّوالح لصدر المرام**"، فيتحدث فيه عن علوم القرآن وما يتعلق به؛ فيقول في ساطع:" أمّ علوم كلام الله صروع (3)، الأوّل: علم ما وحّده، و هو علم المأسور كلّه وعلم آسره ومصوّره مع الأسماه، 2- علم ما وعد وأوعد و ادكار دار السلام ودار الآلام، 3- علم الأحكام وهو الأمر والرّدع وما سواهما،وللمحه سمّوا الحَمدُ لِلّه أم كلام الله لما عمّ صروع مدلوله وهؤلاء أصول كلام الله المرسل"[53].

ومدح في ساطع العلماء الربّانيين، فيقول: "العلماء الصّلحاء هم الأرهاط السّعداء، همّهم همّ الإسلام وسرورهم لعلوّ أمره وسرور أهله، ومرادهم هوالله وإعلاء أوامره وروادعه وورد صلاح العالم صلاح العالم، والعالم الصّالح صلاح الممالك وسلاح المعارك، ولهؤلاء العلماء كلام كالمسك معطّر الأرواح ومروّح الصدّور"[54]

ثم ذمّ علماء السّوء في ساطع يليها قائلا:"علماء السّوء لصوص الإسلام وأعداء الله ورسوله ومحوّلو كلام الله ورسوله، لهم سوء العمل وطول الأمل، صدورهم مصادر الأسواء، مرادهم ومدارهم الدّراهم والأهواء، مسالكهم سدد الحرص والطّمع، أمرهم إهلاك العوام، لهم هلاك وإهلاك، علمهم كالطّسل، مرامهم أهواءهم حلالا وحراما."[55]

وذكر في "ساطع" أخر من الجزء الثاني كيف كان الوحي ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم وماذا تكون حالته عند نزولها، ثم ذكر كيف دُون القرآن في حياة النبي صلى الله وعليه وسلم، ثم كيف جمعه السيد عثمان رضى الله تعالى

عنه، وذكر أحوال حفاظه ومفسريه ورواته المتقدمين، ثم بين أصول التفسير وما هي مقتضياته، كما أشار إلى تجويد ألفاظه، وذكر عدد سور القرآن وآياته، فيقول: "عدّ العلماء سور كلام الله وأعلامه وكلمه للأحكام، أعداد سوره 114 وهو الأصحّ، و أعداد أعلامه 6616، ولأعلام السّور كلّه أعداد كما ورد أعلام الحمد لله 7 وهود 121 والرّعد 43 والأسراء 111 وطه 132 وطسم 229 والرّوم 59 وص 85 والطول 82 والدّهر 32 ومحمّد 36 والطّور 27 والملك 31 وعمّ 41 والعصر 3، وعدّ رهط كلمه كلّها وهو 77934."[56]

وكذا ذكر ما فيها من محكماتها وغير المحكمات، كما عدّد الأسماء غير المنقوط للقرآن مثلا "الصراط" و"الروح" و"العلم" و"العدل" و"الكلام" و"الإمام".

ثم قبل أن يفسر القرآن دعا الله سبحانه وتعالى بالعجز والذل قائلا: اللّهم أسألك صوالح الأعمال، ومصالح الأعمال مادام مرّ الدّهور وكرّ الأحوال، والمأمول إصلاح الكلام وهو أصلح أوامر الكرام وأسلم مراسم الإسلام، وها أصدر ما هو المصمود والمراد ممددا موردا لمدلول كلام الله، ومؤول كلمه، وحاصل أسراره والله الملهم للسّداد والممدّ للمداد".[57]

ثم فسر سورة الفاتحة، فسلط الضوء على أهميتها قائلا: "وهو أوّل السّور، وصدر كلام الله، مطلع صراح العلم والكلام، مصدر مصاص الأوامر والأحكام، سلّم مصاعد الحكم والأسرار، مدار مصالح الآصال والأسحار، درر سلسال الأرواح والصدور، ساحل داماء الهمّ والسّرو، سماء عوالم اللمع والحلك، دعاء صوامع الملك والملك".[58]

وبعد ذلك ذكر أسماءها الأخرى مع بيان وجوه تسميتها بها، فيقول: "ولها أسماء أحصاها العلماء، أحدها "الدّعاء" لما هو مدعو أهل الله و هم دعوه لحصول المصامد، و"الأساس" لما هو أسّ الكلام وأصله، و"الأم" لما هو حامل لمدلول الكل، ومولد لمحصول ما أوحاه الله طرّا. و"الحمد" لمّا هو أوّل كلمها كما حكموا لأسماء السّور كلّها أو هو حاو لمحامده".[59]

ثم "فسر بسم الله"، يقول: "**الاسم**: أصله سِمْوٌ كعِلْمٍ، ومصدره السُّمُوُّ و هو العُلُوُّ، واحد الأسماء، وورد أُسْمٌ، وَسِمٌ، وَسُمٌ، أو وَسْمٌ، اسمه اعلمه، والموسم المعلم، والاسم العلم، والأول أصحّ لعدم ورود الأوسام مكسرا، وعامله أصدِّر، والاسم إما مسمّاه ما سواه، أو هو مسمّاه لا ما سواه، أو مسمّاه لا هو و لا ما سواه ولكلّ واحد أصل. وأهل الرّسم طوّلوا أوّلها إعلاما لما هو المطروح أو إكراما لصدر كلام الله الاحكم الأكمل.

"**الله**": أصله الإله و هو المألوه، أو مصدر "وَلِهَ" مسكور اللام، ولوهاً وولهاً حارالأصل ولاة أعلّ واوه كما أعلّ واو وعاء حلّ محلّ الاسم كعدل، و ورد أصله مصدر "إله" كسمع أولع و العالم كلّه مولع له، و ورد "اله" حار أو رد أو ال و الهه رعاه و لاح لمّها واحدا واحدا، و ورد أصله لاه مصدرا و هو العلوّ، و ورد أصله هاء و صلوها لام الملك و اللّام للعهد و هو الإله المعهود و المولوه المحمود، وورد هو علم لا اصل له و لا مصدر له كمسمّاه و هو أصل الكلّ و مصدره وهو أصحّ ما أوردوه."[60]

ويقول في تفسير "**غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِم ولَا الضّالّينَ**"[61] المروم إصرهم أو الملوم عملهم عموما أو هم الهود. هم ما سلكوا مسالك هداه و هم أهل الأعمال السؤآء كلّهم أو رهط روح الله، وأمّا المروم صراطهم هم رهط والأهم الله ولاء كاملا ووصل لهم آلاؤه و هم سلموا عمّا حردهم و ما هم أهل الصّدود والعدول عمدا.[62]

وفي بداية تفسير البقرة بين سبب تسميتها بها، فيقول: "سمّوها لورود أحوالها ومحامد أطوارها وسطوع أسرارها وإعلاء أمورها ممّا طال كلامه". ثم أشار إلى كونها مدنية بـ" موردها مصر رسول الله"؛ ثم بين موضوعها قائلا: " و حاصل أصول مدلولها مدح الكلام المرسل له علاه السّلام وأهل الإسلام والورع، وردّ أهل الصّدود، وأسر آدم وعلمه الأسماء كلّها وكوحه الأملاك و إكرامه علاهم، و لوم علماء الهود و إعلام أحوال رسولهم وعمل رهطه معه، وحال ولد داود ولوم أهل السّحر، و ردّ رهط روح الله وإكمال ودود الله لكلمه و أحكامه لمّا محصّه الله ومؤسّسه الودع، وأمره

وأمر إسرال أولادهما لسلوك صراط الإسلام ووطودهم علاه حال ورود السّام وحول ما صلّوا سدو الودع، والأمر لحمل المكاره والصّلاح وعدو المحرم ومعساه وسط أطواد الحرم وصدع ادلاء وجود الله، والأمر لأكل الحلال، وإعلام كسر ممّا حرم أكله وإحلال ما وصله السام وما سدح، وإعداد حال السّعاد المهلك وحكم ما أهلك مع الصّارم حدلا وروم الحلال، وحكم هادر الدّم، وأمر الصّوم العصر المعهود المعمول الحال، والرّدع عمّا أكل مال أحد مع الأمر المحرم، وأمر العماس لإعلاء الإسلام وإكمال طوع لسم أداؤه مع الإحرام، وسؤال أولاد إسرال عمّا آلاء أعطاها الله لهم، وحكم العماس وسط الأعصار الحرم، والسّؤال عمّا الرّاح واللّهو المعهود مع السّهام، ومال حساكل هلك والدوهم، واحمام الأعراس حال دم الرّحم المعهود وصدع أحكامها، وحكم الأهول والسراح وادّكار ما حدّد الله لعرس الهالك والمسرح لحلّ الأهول ولسوم إعطاء المأكل، والكساء للأعراس والأولاد الحساكل ومحرّص الله أولاد آدم لاعطاء المال لله، وإعطاء الله ملكا لأولاد اسرال لمّا سألوا رسولهم ملكا لعماس الأعداء، وإهلاك داود عدوّا دلع ملك الهود المسطور مع عسكره لعماسه ومراه عدوّ الله مع ودود الله والسام الودود له، وإعطاء الله العمر للهلاك لسؤال ودود الله، ومدح إعطاء المال لله ووصمه لأداء أهل العالم وأسماعهم وإحرام الرّما وإحلال السّلم"[63]

ويتحدث عن الحروف المقطعات حينما فسّر "الم" فيقول: 'الم'– سرّ الله مع رسوله أرسله لا علامه ما اطلع أحدا سواه، أو هو وأعد له أسماء السّور أو أسماء كلام الله كلّه، أو عهود الله أو أسماء و لها محلّ كما للأعلام و العهود، وورد هو سرّ ما علمه إلّا الله أرسله لإعلام حصر علمه له وما مصمود إرساله اعلام مدلوله لأحد، وورد مراده الله و الملك ومحمّد والحاصل الله مرسل الكلام والملك مورده ومحمّد مرسل له."[64]

وطبع هذا التفسير من مطبعة "نولكشور" بـ 'لكهنؤ' سنة 1306هـ/1889م كما ذكر في صفحته الأخيرة "قد طبع الكتاب بعون الملك الوهاب مرة أولى في

المطبع المشهور المعزى لمنشى نولكشور الواقع في اللكهنؤ في شهر جمادي الأولى سنة ألف وثلثمائة وستة من هجرة سيد البرية مطابقا لشهر يناير سنة ألف وثمانمائة وتسع وثمانين من سنين العيسوية."[65]ويشتمل هذا التفسير على ثمانين وسبعمائة صفحة، وفي كل صفحة تسع وعشرون سطرا ما عدا الصفحتين في البداية والصفحة الأخيرة، وبدأ التفسير في الحقيقة من صفحة 21 بتفسير سورة البقرة، وانتهى إلى صحفة 726 بتفسير سورة الناس.

وأعيد طبعه في ستة مجلدات سنة 1417هـ/1996م من "دار المنار، بتحقيق د. سيد مرتضى آيت الله زاده الشيرازي الشيعي.

مخطوطة سواطع الإلهام:

ومخطوطات هذا التفسير موجودة في شتى المكتبات في مختلف أنحاء العالم، ونذكر هنا–على سبيل المثال لا الحصر– بعضها كي يتيسر الحصول عليها لمن يريد:[66]

"سواطع الإلهام (في تفسير القرآن) أو تفسير الهندي بالحروف المهملة"

1– خدابخش (إنجليزي) 18 (2)/117 (1444) 228و–1000هـ– إلى سورة المائدة–ناقص الآخر– (بروم (م) 610/2.

2– جامعة الإمام محمد بن سعود 147 (1882)– 269 و (النصف الأول)– 1035هـ .

3– رضا 46/1، (ط 2) 511/1– 512 (1342) – 1039هـ – (بورك (م) 610/2).

4– جامعة ليدن 334 [Or. 269 (CCO1702)] – 558و – قبل 1076 – (بروك 549/2).

5– الدولة / برلين 370/1 [925 Spr. 452]– 318و – 1100هـ – من سورة مريم إلى آخر القرآن.

6– جامعة إستنبول 1/ 262 [614A993]– 364و ق 11هـ.

7- رامبور 276/1 [53at-Tafsir146M]-659و- ق 11هـ- (بروم (م) 610/2).

8- المكتب الهندي (لوث) 22-23[896 (104)] - 530و - قبل 1115هـ - (بروك 549/2).

9- ديوبند 44/1 (التفسير 60/25) 31-32، تام بجزئين، - 1211هـ.

10- جامعة القاهرة 293/3 (22186) - 58ص (ضمن مجموعة) - 1247هـ - جزء عم.

11- جامعة البنجاب 37 (100-6386) - 955و - 1306هـ - من سورة الفاتحة إلى آخر الجزء الحادي والعشرين.

12- آيا صوفيا 14 (180) - (بروك 549/2).

13- دار الكتب/القاهرة 54/1 (175) - (بروك 2/ 549، (م) 2/ 610).

14- الوطنية/طهران 256/8 (756/ع) - (283/د) - 425و - ق 13هـ تقريباً.

خصائص تفسير "سواطع الإلهام":

1. إنه خال من الحروف المنقوطة، فلم يُكتب أي كتاب قبله في العربية في هذا الأسلوب. فقد رأى فيضي أن الأبجدية في الأصل ثلاثة عشر حرفا فحسب وهي الثلاثة عشر حرفا المهملة (غير المنقوطة) وهي بالترتيب. أ، ح، د، ر، س، ص، ط، ع، ك، ل، م، هـ، و. وأن الأحرف المنقوطة وهي خمسة عشر حرفاً زيدت على الأبجدية بعد ذلك ولولا عدم أصالة الحروف المنقوطة ما خلت شهادة 'لا إله الا الله محمد رسول الله' منها. فلم يستعمل فيضي حرف الباء ولا التاء ولا الثاء والجيم وغيرها من الحروف المنقوطة من أول تفسيره بدء بالعنوان "سواطع الإلهام" إلى آخر التفسير عند قوله "الحمد لله وحده" بعد تفسير سورة الناس.

2. ذكر فيضي في بداية كل سورة أ هي مكية أم مدنية، ولأن الكلمتين "المكية والمدنية" منقوطتان فأتى بألفاظ مهملة تدل على معناهما، فبين المكية بأن "موردها أم الرحم" والمدنية بأن "موردها مصر رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما وضح المراد بالمكية والمدنية، يقول: "لكلام الله موارد ومراسل كأم رحم وما حولها ومصر رسول الله صلعم (صلى الله عليه وسلم) وما حوله كأحد وسلع والصّرط والمسالك والمراحل والمرامك ومصاعد السّماء والهواء حال صعوده وحدوره صلعم (صلى الله عليه وسلم) آصالا وأسحارا وحرّا وصردا...ماأورده المحرّر صدور السّور موردها أمّ الرّحم المراد أرسلها الله أمام رحل رسول الله صعلم (صلى الله عليه وسلم)، سواء حلّ أمّ الرّحم أو سواه كأحد وحراء وصراط مصره حال رحله لا عوده، وما أورد صدور السّور موردها مصر رسول الله صلعم (صلى الله عليه وسلم) المراد أرسلها الله وحصل رحله سواء حلّ أمّ الرّحم عام وروده أمّ الرّحم سطوا وعلوّا، أو عام الوداع أو مصره صلعم(صلى الله عليه وسلم) أو سواهما وهو اصطلاح أعود وأصلح."[67]

3. وقام في تفسيره بشرح المفردات وتحقيقها أحيانا، فعلى سبيل المثال، يقول في شرح كلمة "الصِّراط المُستَقِيم"[68]: "أصله السّراط صار أوّله صادا وآما للطّاء، وسمّاه سراطا لمّا هو سارط لسالكه كما سرط أحدكم الطّعام."[69] كما حقق لفظ "اسم" و"الله" في السورة نفسها وقد مر ذكر ذلك.

4. وقد بين فيضي وجه التسمية لسورتين فقط، وهما سورة الفاتحة والبقرة؛ فيقول في تسمية سورة الفاتحة: "وهو أوّل السّور، وصدر كلام الله، مطلع صراح العلم والكلام، مصدر مصاص الأوامر والأحكام، سلّم مصاعد الحكم والأسرار، مدار مصالح الآصال والأسحار... ولها أسماء أحصاها العلماء، أحدها "الدّعاء" لما هو مدعو أهل الله و هم دعوه لحصول المصامد، و"الأساس" لما هو أسّ الكلام وأصله، و"الأم" لما هو حامل لمدلول الكل، ومولد لمحصول ما

أوحاه الله طرّا. و"الحمد" لمّا هو أوّل كلمها كما حكوا لأسماء السّور كلّها أو هو حاو لمحامده"70

ويقول في تسمية سورة البقرة: "سمّوها لورود أحوالها ومحامد أطوارها وسطوع أسرارها وإعلاء أمورها ممّا طال كلامه".[71]

5. وقد ذكر فيضي المسائل الصرفية والنحوية أحياناً؛ فعلى سبيل المثال يقول في تفسير"إياك نستعين" "إياك"ـــ "كرره إمحاء لوهم عدم الحصر"[72]؛ ويقول في تفسير "الكتاب": "وهو مصدر صار اسما اطرا"[73]؛ ويقول في "سَواءٌ عَلَيهِم":"وهو اسم مدلوله المصدر عومل معه كما عومل مع المصادر"[74]؛ ويقول في تفسير "سجدا": "وهو حال"[75]

6. وذكر فيضي الاختلافات في القراءات، يقول في تفسير: "الحمد الله": "ورووا الحَمْدِ لله مكسور الدّال مطاوعا للام، ورووا اللام مطاوعا للدّال عكسا للاوّل"[76]؛ ويقول في "نعبد": ورووه مكسور الأوّل"[77] أي نِعْبُدُ؛ كما يقول في تفسير "فلأُمِّهِ الثُّلُثُ" رووا مكسور الأول لوام اللام، "الثلث" ورووا كالسدس"[78]

7. وقد ذكر فيضي أقوال العلماء المختلفة ثم رجّح واحدها، فيقول في تفسير "ملك": وأصله المِلْكُ مكسوراً رواه عاصم، ورَوَوْا مَلِكِ و هو الأصح لمّا ورد كلّ ملك مالك و لا عكس وكلّ مالك مأمورُ مَلِكٍ لا عكسه"[79]؛ ويقول:"الَّذِينَ آتَيناهُمُ الكِتابَ المراد علماؤهم يَعرِفُونَهُ رسولَ الله مع محامده ومكارمه أو العلم أو كلام الله أو الحوّل والأوّل أصحّ وأمسّ لكلامه"[80]

8. وقد بين فيضي موضوع كل سورة بالاختصار في بدايتها، كما نراه يفعل ذلك في سورة المائدة، فيقول" ومحصول أصول مدلولها: الأمر لأداء العهود، وإعلام ما أحلّه الله ممّا له حسّ و حراك و إحرام المحرّم، و إعلام إكمال الإسلام وإعلاء أحكام المصطاد، و حلّ طعام أهل الطِّرْس، و حلّ أهول حررهم الصوالح، وإعلام أحكام الموص و أحكام ما صلّوا، و ألس أهل الطرسللرسول صلعم و كلام الله، و إعلام الكلام المردود لرهط روح الله، وإعلاء ما عمل ولد

آدم و أهلك أحدهما و حكم لصوص الصراط وحكم الإسلال وحدّ عامله، و لوم أهل الطرس لولعهم و إعلاء، أحكام الكلوم وسواها، و ردع أهل الإسلام عمّا ودّ الهود و رهط روح الله، والردّ لأهل الردّ، و مدح العماس مع أعداء الإسلام، و إعلام ودّ الله و الرسول لأهل الإسلام و إلهاد الهود لإعلام ما صلّوا، و لوم الهود لسوء كلامهم، ولوم رهط روح الله لطلاح أوهامهم، و إعلام حدّ عداء أحدهم أحدا، ومدح أهل إسلام هم أهل طرس ورودا صدد رسول الله صلعم و أرسلهم ملك السود و حكم عهودهم، و إحرام المدام و إحرام مصطاد الحرم، و الردع عمّا سألوا عداء و حسدا أو حكم إعلام أهل الطرس و حسم المراء معهم، و لمّ الأمم مع الرسل معادا، و إعلام أعلام ألوك روح الله، و ورود الطعام لسؤال رهطه رسول الله له معادا ردّا لرهط ألّهوه، و إعلام سطوع عود السداد لأهل السداد معادا و ما سواها.[81]

ويقول مبينا موضوع سورة يونس: "ومحصول مدلولها إعلاء أمر الألوك وأحكامه، وسوء وهم أهل العدول مع رسول الله صلعم و كلام الله، و لوم ودّاد العمر الماصل وحده، و مدح أهل الإسلام لرومهم دار السلام، و سؤال العدّال ورود الإصر لهم إسراعا، و وصم العدّال لكلام الله و وهمهم ولعه، و دعاء الله العالم لدار السلام و طرد العدّال و دحورهم معادا، و وصول العالم عدل أعمالهم الصوالح والطوالح معادا، والسداد واحد وما عداه سوء وطلاح، و إعلاء ردّ الأرواح للأعطال وإحصاء أعمالهم و عود إرسال كلام الله و أمر السرور مع الإسلام و كلام الله، وإعلام ما هو مسلّ لرسول الله صلعم، و إهلاك عدوّ الله ملك مصر مع رهطه وطمس أموالهم و سلام رهط رسول الهود، و إعلاء إرسال محمّد رسول الله صلعم والأمر له لحمل مكاره الطلاح."[82]

وذكر موضوع سورة مريم قائلا: "ومحصول أصول مدلولها سماع دعاء رسول سمحه الله الولد حال الهرم، و إعطاء علم الطرس لولده المسموح، و أحوال روح الله و أمّه و ولاده مع عدم الوالد له، و إعلام أهوال المعاد وهول رسول أوّاه

لوالده الطالح و مراه معه، و أحوال رسول الهود، و سداد وعد إسماعيل الرسول، وأحوال رسل سواهم، و لوم العالم السوء، و إعلاء أحوال أهل دار السلام، و طرد العدّال معادا، و ردّ أهل الصدود لسمودهم، و أحوال الما له العواطل، و طوعهم أمد الأعصار، و إعلام حال أهل دار السلام و دار الساعور و ادعاء أهل العدول لله ولدا و مساهما، و هول الطلّاح لآصار الأمم الأول."[83]

ويقول في سورة الناس: "ومحصول أصول مدلولها الإمساك بحرس الله وروع وساوس المارد المطرود وطلاح ولد آدم."[84]

9. وقد ذكر فيضي أسباب النزول، فمثلًا يقول: "و لمّا سأل أحد رسول الله صلعم (ﷺ) ما حال الهلال أوّل ما طلع مساء لاح كالسّلك و صار مملوّا مدوّرا لامعا و عاد و صار كما هو أوّلا، أرسل الله يَسئَلُونَكَ محمّد (ص) عَنِ الأَهِلَّةِ واحدها الهلال قُل لهم هِيَ مَواقِيتُ لِلنّاسِ معالم أهل العالم ومعاهد أمورهم و محالّ أعمالهم و صومهم و عدد أعراسهم و مدد عهودهم وما سواها وَ معالم الحَجّ و مراسمه و مواسمه و أعماله، له عصر معهود وعهد معلوم، مِعْلامه الهلال.[85]

10. كتب فيضي كلمات آيات القرأن الكريم بخط سميك، لتتميز عن كلمات تفسيره لها.

ثناء العلماء على فيضي وتفسيره:

ولقد أثني على فيضي وتفسيره عديد من العلماء البارزين، فمنهم:

قال نظام الدين أحمد بخشي الهروي: "وأتم أيضا تفسير كلام الله بدون نقط، أسماه "سواطع الإلهام"...ولي مع هذا الفريد في عصره صداقة، له همة في مكارم الأخلاق وانبساط السريرة، صفاته منة الزمان"[86]

وقال صاحب "كشف الظنون": "وهو كتاب منفرد بين التفاسير، لأنه فسر الآيات بكلمات حروفها مهملة كلها، من أول القرآن الكريم إلى آخره."[87]

وقال العلامة عبد الحي الحسني: "وهو يدل على طول باعه في اللغة العربية"[88]

وقال صديق حسن خان القنوجي: "وأجل مصنفاته (سواطع الإلهام تفسير القرآن الكريم) الغير المنقوط يدل على إطالة يده في علم اللغة وأنا وقفت عليه"[89]

وقال صاحب "طبقات المفسرين": "وَهُوَ كتاب مُفْرد بَين التفاسير لِأَنَّهُ فسر الْآيَات بِكَلِمَات حروفها مُهْملَة كلهَا من أَوله إِلَى آخر الْقُرْآن الْكَرِيم."[90]

ويقول صاحب "معجم المطبوعات العربية والمعربة": "وهو تفسير للقرآن الشريف بالحروف المهملة صححه العلماء الأعلام والكملاء الكرام."

وبعدما انتهى فيضي من هذا التفسير أرسل نسخها إلى البلاد المختلفة، وتدل الروايات على أن الجميع استحسنوها، ولم يطعن أحد فيها بل كتب لها علماء ذلك العصر تقارير، واستخرجوا أعداد التاريخ لها، فألحقت بآخر هذا التفسير، ومن هؤلاء العلماء محمد حسينى المعروف بـ"الشامي"، ومولانا يعقوب صرفي الكشميري، وقاضي نور الله شوستري، وأمان الله بن غازي السرهندي وغيرهم، وحسب بعض الروايات ساعد الشيخ المجدد السرهندي فيضي في إعداد هذا التفسير، وكتب جزء صعبا منه لم يستطع فيضي إعداده مما يدل على أنه ارتضى الشيخ المجدد بهذه الجهود العلمية لفيضي.[91]

وعبّر مولانا مناظر أحسن كيلاني عن رأيه بالتفصيل في فيضي وتفسيره في كتابه "هندوستان مين مسلمانون كا نظام تعليم وتربيت " (*نظام التعليم* والتربية في العهد الإسلامي في الهند) بما يفيد:

"أرى أن هذا الجهد عمل تذكاري لا يوجد له نظير في الأوساط العلمية للبلاد الإسلامية الأخرى، وصلت بعد الدراسة إلى أن فيضي مع كونها متقيدا بالكلمات غير المنقوطة قد برع في بذل الجهود الناجحة في جمع ما قال المفسرون في تفسير الآيات القرآنية من أقوال وآراء، والذي ندر أن يوجد له نظير قبله وإن كان تفسيره لا يشتمل من حيث المعاني على شيئ جديد ولكنه رجل ذو فطانة فائقة

صدر منه بعض النكات العلمية بانطلاق لو جمعت لصارت شيئاً مهماً يمكن أن نسميه خصائص تفسيره المعنوية"[92]

المؤاخذة على تفسير فيضي:

لم يتعرض فيضي خلال تفسيره لأية مشكلة بالنسبة إلى الألفاظ، ولا يصعب على القاري فهمه إلا أحيانا وخاصة من بينها الأسماء التي احتاج إلى ذكرها أثناء تفسيره وتذكير أحواله وأحوال أسرته، فلكونها منقوطة صنع صنعا لا يفهمه إلا من له ذهن وقاد وحس مرهف، "لذلك من ناحية فن التفسير لا يحتل "سواطع الإلهام" مكانا هاما بين التفاسير العربية، فإنه مملوء بالتعقيد الذي اقتضته الأساليب المصطنعة وإن كان فيضي حاول كثيراً أن لا يبقى غموض في تفسيره إلا أنه بقي في كثير من عباراته غموض وتعقيد"[93]

ويقول الدكتور زبيد أحمد:

"He has mentioned the names of his father and his brothers in an enigmatical way in order to avoid the dotted letters which they contain. These riddles are very difficult and far-fetched. A man, who does not already know those names, can hardly solve them. Even with previous knowledge of the names, it is very difficult to work them out."[94]

ويستمر الدكتور زبيد قائلا:

"This commentary, apart from the literary skill, has no value, as the self-imposed restriction has made the brief comments that he offers more difficult than the text itself. His chief point is to avoid the dotted letters while commenting on the Quran and so he is unnecessarily lengthy wherever ideas could have been expressed concisely, otherwise he is brief to obscurity.[95]

الحواشي

[1]. ذكر فيضي مسقط رأسه في مقدمة تفسيره فيقول: "مولد محرّر سواطع الإلهام دار الملك ومصر العدل"اكره" حرسه الله وعصمه، وهو مصر ممرع معمور ممطور واسع... وهوأكرم الأمصار ووسط الممالك،حاو الصّوامع والمدارس محلّ العلماء والصّلحاء وأهل الوسع والعدم" (سواطع الإلهام، ص 4).

[2]. سبحة المرجان، ص 45.

[3] . One of his ancestors Shaykh Musa had migrated to Sind and settled at Rel, a small place near Siwastan, modern Sehwan (*The Encyclopedia of Islam*, Brill, New Edition, Vol. ii, pp.870).

[4]. وكانت ناكور آنذاك مركزاً للصوفية ومسكنا لكثير من العلماء والصوفيين، يقول السيد أطهر عباس الرضوي: Nagaur was a sufi centre. It attracted other Sufis and it was this galaxy of saints and scholars that prompted Sheikh khizr, the father of Sheikh Mubarak and the grandfather of Sheikh Abul Fazl, to settle there' (*A History of Sufism in India*, vol. I, New Delhi, p 131; نقلا عن مجلة المعارف، جون، 2011، ص 424.

[5]. هو الشيخ العلامة مبارك بن خضر الناكوري، أحد العلماء المشهورين بأرض الهند، ولد سنة911هـ بمدينة ناكور وسافر للعلم إلى كجرات، وجد في البحث والاشتغال حتى برز في الفضائل وتأهل للفتوى والتدريس، وصنف تفسيراً كبيراً في أربع مجلدات كبار سماه "منبع نفائس العيون"، توفي السابع عشر من ذي القعدة سنة إحدى وألف بلاهور فدفن بها.(انظر :نزهة الخواطر، ج 5، ص 608.

[6]. One of his ancestors Shaykh Musa had migrated to Sind and settled at Rel, a small place near Siwastan, modern Sehwan (*The Encyclopedia of Islam*, Brill, New Edition, Vol: II, pp.870).

[7]. هو الشيخ العلامة أبو الفضل بن المبارك الناكوري، ولد سنة ثمان وخمسين وتسعمائة، وفرغ من تحصيل العلوم المتعارفة في الخامس عشر من سنه، ودرس وأفاد نحو عشر سنين حتى فاق فيه أهله المنسوبين إليه، ودعاه السلطان أكبر بن همايون التيموري بمدينة أكبر آباد وقربه إلى نفسه، فتدرج إلى نهاية القرب حتى نال الوزارة الجليلة. وقد وصفه البدايوني في المنتخب بالإلحاد والزندقة.

ومن مصنفاته المشهورة "آئين أكبري"و "أكبر نامه"، وله غير ذلك من الكتب والرسائل. (انظر للتفاصيل: نزهة الخواطر، ج 5، ص 471، والمسلمون في الهند للشاذلي،ج 2، ص 230).

[8]. مقدمة سواطع الإلهام، ص 4.

[9]. سبحة المرجان، ص 45.

[10]. نزهة الخواطر، ج 5، ص 472.

[11]. معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ص 423.

[12]. هو أبو الفتح جلال الدين محمد أكبر بن همايون بن بابر التيموري الكوركاني (949هـ / 1014هـ= 1542-1605م)، أكبر ملوك الهند وأشهرهم في الذكر وأسعدهم في الحظ والإقبال، وهو ثالث ملوك الأسرة التيمورية في الهند، (انظر للتفاصيل:تاريخ الإسلام في الهند، ص 199، وتاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، للساداتي، والمسلمون في الهند، للشاذلي، ج 2، ص 5.، ونزهة الخواطر، 496/5).

[13]. سبحة المرجان، ص 45.

[14]. نزهة الخواطر، ج5، ص 472.

[15]. تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ج 2، ص 158.

[16]. An accomplished scholar, physician, and poet, he was appointed in 987/1579 tutor to prince Daniyal (*The Encyclopedia of Islam,* Brill, New Edition, Vol: II, pp.871).

[17]. المسلمون في الهند، ج 2، ص 250؛ نقلا عن أئين أكبري 98/1، و"أبجد العلوم، ج 3، ص 224؛ وكان الشاعر الغزالي المشهدي ملقَّباً بهذا اللقب قبل الفيضي (تذكره مفسرين هند، ج1، ص 91).

[18]. Treated as a close companion, he was included in the royal *entourage* during Akbar's visit to Kashmir in 997/1588 (*The Encyclopedia of Islam*, Brill, New Edition, Vol: II, pp.871).

[19]. After the completion of his mission, he returned to Fathpur Sikri, the capital, in 1001/1592 (*The Encyclopedia of Islam*, Brill, New Edition, Vol: II, pp.871).

[20]. أكبر نامه، لأبي الفضل، ص 380؛ نقلاً عن تذكره مفسرين هند، ج 2، ص 91.

[21]. سبحة المرجان، ص 46.

[22]. أبجد العلوم، ج 3، ص 225، والأعلام، ج 5، ص 168.

[23]. نزهة الخواطر، ج5، ص 475، ويقول صاحب "سبحة المرجان" -إن قبر أبي الفيض يقع في آكره تحت قدم والده الشيخ مبارك -ليس بصحيح، لأن لا يختلف فيه اثنان أن قبر

والده في "لاهور"، كما صرح بذلك فيضي و أخوه والبدايوني، فإن كان مدفن فيضي عند قبر والده الشيخ مبارك فلا بد أن يكون ذلك بلاهور، ووقع في هذا الخطأ الشيخ محمد إكرام أيضاً بحيث ذكر أنه دفن في لاهور (رود كوثر، ص 135).

[24]. شعر العجم، لشبلي النعماني، ص 57/3.

[25]. أبجد العلوم، ج 3، ص 225.

[26]. نزهة الخواطر، ج 5، ص 473.

[27]. نزهة الخواطر، ج 5، ص 473.

[28]. "فیضی کی مذہبی آزادی کی باری میں. ہم جو کچھ سنتے ہیں زبانی سنتے ہیں، تصنیفات میں تو وہ ملاے مسجد ہی نظر آتا ہے۔۔۔ حقیقت یہ ہے کہ یہ لوگ فیضی کے رتبہ کو سمجھ نہیں سکتے تھے، وہ جو حکیمانہ خیالات ظاہر کرتا تھا ان لوگوں کو الحاد وزندقہ نظر آتا تھا" (شعر العجم لمولانا شبلي النعماني، ج 3، ص 52، و مجلة معارف، أعظم كره، جولائي 2011، ص 26)

[29]. *The contribution of Indo-Pakistan to Arabic Literature,* pp.27. ؛

"كان ينظر إلى فيضي من ناحية إيمانه أنه رجل مبتدع ملحد لكن من الغريب جدا أنه لم يقل أي شيئ ضد العقيدة الدينية في المقدمة أو في التفسير نفسه وليس من صواب العقيدة أن تحكم على أي إنسان بالإلحاد ما دام يؤمن بالأصول الأربعة الآتية:

1- القرآن آخر كتاب نزل من السماء ومحمد ﷺ آخر الأنبياء.

2- المعجزات والخوارق مثل ولادة المسيح من غير أب وقصة أهل الكهف وأصحاب الفيل...ألخ.

3- يهدي الله من يشاء إلى الطريق المستقيم ويضل عنه من يشاء ...إلخ.

4- الدين الصحيح الحق هو الإسلام وحده.

وإننا لنجد أن فيضي يوضح هذه الأصول تماما من وجهة نظر سديدة تتفق مع العقيدة الإسلامية." (الآداب العربية في شبه القارة الهندية، ترجمه عن الإنجليزية د. محمد شلقامي، ص 72)

[30]. *The Encyclopedia of Islam*, Brill, New Edition, Vol: II, pp.871

[31]. 'He is said to be the author of 101 books (apparently an exaggeration), of which very few are now extant' (*The Encyclopedia of Islam*, Brill, New Edition, Vol: II, pp.871).

[32]. نزهة الخواطر، ج 5، ص 472.

[33]. 'One of these, the Mawdrid al-kilam on ethics (ed. Calcutta 1241/1825), which contains pithy and laconic sentences defining terms like Islam, ilm al-Kalam, Adam, Kalam Allah, ahl Allah was intended to be a preliminary to the writing of the Sawdti al-ilham' (*The Encyclopaedia of Islam*, Brill, New Edition, Vol: II, pp.871).

[34]. سبحة المرجان، ص 42.

[35]. He also translated Lilavati, a Sanskrit work on arithmetic (ed. Calcutta 1826) *The Encyclopaedia of Islam*, Brill, New Edition, Vol: II, pp.871).

[36]. مجلة معارف، جولائي، 2011، ص 31.

[37]. 'He composed a Khamsa (Quintet) in imitation of Nizami, the titles of these five poems being Markaz-i-Adwar, Sulayman u Bilqis, Nal u Daman (the most celebrated), Haft Kiskwar, and Akbar-nama, but some of them remained incomplete' (*A literary History of Persia* by Edward G. Browne, Cambridge University Press, vol. iv, p. 244)

[38]. هدية العارفين، ج 1، ص 823.

[39]. هدية العارفين، ج 1، ص 823

[40]. مجلة "معارف"، جولائي، 2011، "ملك الشعراء فيضي" ص 31.

[41]. هدية العارفين، ج 1، ص 823.

[42]. نزهة الخواطر، ج 5، ص 472.

[43]. He also translated some portions of the epic poem Mahabharata into Persian at the express command of Akbar, in collaboration with Al-Bada'uni and Mulla Shiri (*The Encyclopaedia of Islam*, Brill, New Edition, Vol: II, pp.871).

[44]. مقدمة سواطع الإلهام، لمرتضى الشيرازي، ج 1، ص 70.

[45]. نزهة الخواطر، ج 5، ص 472.

[46]. سواطع الإلهام، ص 2.

[47]. سواطع الإلهام، ص 5.، أساس العلم أي "م"، وأصل الروع، أى لفظ يترادف الروع في المعنى وهو القلب، وآخر القلب "ب" فأراد "باء"، ثم كتب " مطلع الالهام، أى "الف"، ورأس الرؤس، أى " راء" و إمام الكرام، أى: "ك". هكذا كتب اسم أبيه "مبارك".(عربي أدبيات مين باك وهند كا حصه/د:زبيد احمد53.)

[48]. سواطع الإلهام، ص 8.

[49]. سواطع الإلهام، ص 9.

[50]. سواطع الإلهام، ص 9.

[51]. 'All these 'flashes' are of different lengths, varying from one line to thirty lines or so' (*The contribution of Indo-Pakistan to Arabic Literature*, p.24)

[52]. سواطع الإلهام، ص 9.

[53]. سواطع الإلهام، ص 12.

[54].سواطع الإلهام، ص 10 وما بعده.

[55]. سواطع الإلهام، ص 11.

[56]. سواطع الإلهام، ص 14.

[57]. سواطع الإلهام، ص 20.

[58]. سواطع الإلهام، ص 21.

[59]. سواطع الإلهام، ص 21.

[60]. سواطع الإلهام، ص 21.

[61]. سورة الفاتحة، الآية:7.

[62]. سواطع الإلهام، ص 22.

[63]. سواطع الإلهام، ص 22 وما بعدها.

[64]. سواطع الإلهام، ص 23.

[65]. سواطع الإلهام، ص 780.

[66]. المعلومات مأخوذة من كتاب "الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط"، الجزء الثاني، "مخطوطات التفسير وعلومه"، مؤسسة آل البيت، 1989، ص 655.

[67]. سواطع الإلهام، ص 13.

[68]. سورة الفاتحة، الآية–6.

[69]. سواطع الإلهام، ص 22.

[70]. سواطع الإلهام، ص 21.

[71]. سواطع الإلهام، ص 22.

[72]. سواطع الإلهام، ص 22.

[73]. سواطع الإلهام، ص 23.

[74]. سواطع الإلهام، ص 24.

[75]. سواطع الإلهام، ص 34.

[76]. سواطع الإلهام، ص 21.

[77]. سواطع الإلهام، ص 22.

[78]. سواطع الإلهام، ص 115.

[79]. سواطع الإلهام، ص 22.

[80]. سواطع الإلهام، ص 50.

[81]. سواطع الإلهام، ص 144.

[82]. سواطعالألهام، ص 265.

[83]. سواطع الألهام، ص 376.

[84]. سواطع الإلهام، ص 726.

[85]. سواطع الإلهام، ص 57.

[86]. المسلمون في الهند، (الترجمة الكاملة لكتاب طبقات أكبري) ص 250.

[87]. كشف الظنون، ج 2، ص 1008.

[88]. نزهة الخواطر، ج ص 472.

[89]. أبجد العلوم، ج 3، ص 225.

[90]. طبقات المفسرين، للأدنهوي، ص 408.

[91]. المقالة" تطور أدب التفسير في الهند بمراجعة خاصة لمساهمة العلامة أبي الفيض فيضي" في تطور علم التفسير في الهند'، للدكتورة مه جبين أختر، ص 64.

[92]. نقلا عن المقالة" تطور أدب التفسير في الهند بمراجعة خاصة لمساهمة العلامة أبي الفيض فيضي" في تطورعلم التفسير في الهند، للدكتورة مه جبين أختر، ص 64.

[93]. المقالة" تطور أدب التفسير في الهند بمراجعة خاصة لمساهمة العلامة أبي الفيض فيضي" في تطور علم التفسير في الهند، للدكتورة مه جبين أختر، ص 62.

[94] . *The contribution of Indo-Pakistan to Arabic Literature*, pp. 24.(مساهمات الهند وباكستان في الآداب العربية)

("وذكر أيضا في المقدمة أسماء والده وإخوته على طريقة الألغاز حتى يتفادى الحروف المنقوطة التي تحتوي عليها أسماؤهم وهذه الألغاز صعبة لا يستطيع استخراجها من المعمى حتى مع المعرفة السابقة للأسماء يكون من الصعوبة بمكان استخراج هذه الأسماء"-الآداب العربية في شبه القارة الهندية، ص 68)

[95]. *The contribution of Indo-Pakistan to Arabic Literature*, pp. 28.

("وهذا التفسير بصرف النظر عن المهارة الأدبية ليست له قيمة علمية، فقد قيد نفسه في استعمال الحروف المهملة، ولهذا جاءت تفسيراته موجزة وأكثر صعوبة من النص القرآني نفسه، وإذا كانت النقطة الرئيسة في تفسيره هي تجنب الكلمات ذوات الحروف المنقوطة فإنه لذلك أطال في غير ما ضرورة أو اختصر فأغمض وأبهم"-الآداب العربية في شبه القارة الهندية، ص 72.)

المصادر والمراجع:

1. أبجد العلوم

المؤلف: صديق حسن خان القنَّوجي، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة الأولى 1423 هـ-2002 م، ص 698.

2. الأعلام

المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى:1396هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر – أيار / مايو 2002 م.

3. معجم المؤلفين

المؤلف: عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (المتوفى: 1408هـ)، الناشر: مكتبة المثنى –بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

4. معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر

المؤلف: عادل نويْهض، قدم له: سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثالثة 1409هـ–1988م.

5. الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، المسمى بـ "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر".

المؤلف: عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي (المتوفى: 1341هـ)، دار النشر: دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1420 هـ، 1999م.

6. طبقات المفسرين

المؤلف: أحمد بن محمد الأدنه وي من علماء القرن الحادي عشر (المتوفى: ق 11هـ)، المحقق: سليمان بن صالح الخزي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – السعودية، الطبعة: الأولى، 1417هـ–1997م.

7. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون

المؤلف: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (ت: 1067 هـ)، الناشر: مكتبة المثنى –بغداد (وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية)، تاريخ النشر: 1941م.

8. معجم المطبوعات العربية والمعربة

المؤلف: يوسف بن إليان بن موسى سركيس (المتوفى: 1351هـ)، الناشر: مطبعة سركيس بمصر 1346 هـ –1928 م.

9. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين

المؤلف: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، الناشر: طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية إستانبول 1951، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان، عدد الأجزاء: 2.

10. ذكريات المفسرين الهنود

(تذكره مفسرين هند)، المؤلف: محمد عارف الأعظمي العمري، الناشر: دار المصنفين (شبلي اكيدمي)، أعظم كره، الطبعة الثانية–2006، ص 17–27.

11. المفسرون الهنود وتفاسيرهم (هندوستاني مفسرين اور ان كي عربي تفسيرين)

المولف: د. محمد سالم القدوائي، الناشر: إسلامك بك فاؤنديشن، نيو دهلي، ط–2006م، ص 28–33.

12. سبحة المرجان في آثار هندوستان

غلام علي آزاد البلغرامي، ص 45.

محمد احتشام الحسن الكاندهلوي وإسهاماته في العلوم الإسلامية (1324-1392هـ/1906-1971م)

د. محمد أكرم نواز **

{ إن الشيخ محمد احتشام الحسن الكاندهلوي كان مولعا بالتأليف والتصنيف منذ أيام طلبه للعلم، ورأس حياته هو التصانيف، فأصبح التصنيف والتأليف طبيعة ثانية له، يبلغ عدد مؤلفاته العربية والأردية 65 مؤلفا تقريبا}.

ولد الشيخ محمد احتشام الحسن بن مولانا رؤوف الحسن بن مولانا ضياء الحسن في 16 من ربيع الأول 1324هـ الموافق 11 من مايو 1906م ببلدة "كاندهله" من أعمال "مظفر نگر" بولاية أترا براديش الغربية من الهند، توفيت أمه عندما كان ابن سنتين ونصف، وبعد وفاة أمه أخذته خالته التي كانت زوجة عمه مولانا شمس الحسن، تحت رعايتها وربتها بحب كبير وحنان بالغ.[1]

وبعد أن بلغ سن الرشد بدأ يقرأ القرآن على الحافظ "منگتو" في الكُتّاب الواقع أمام جامع بلدة "كاندهلة"، حفظ شيئا من الجزء الثلاثين من القرآن الكريم، وأوقفت خالته هذه السلسلة لتعنف أستاذه الحافظ "منگتو"، وانتهى من قراءة القرآن الكريم في شعبان 1334هـ الموافق يونيو 1916م،[2] يكتب الشيخ الكاندهلوي معربا عن قلقه على أنه لم يستطع حفظ القرآن الكريم:

** الأستاذ المساعد، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي، الهند.

"لا أزال أتأسف على سوء عطف خالتي، لأن الجميع في أسرتي حفاظ سواي، وحاولت غير مرة لأن أملأ هذا الثغر، لكن الله كان قَدّرَ حرماني من هذه النعمة، ولا أزال محروما منها[3]".

وبعد الفراغ من قراءة القرآن الكريم في 1334هـ الموافق 1916م ذهب إلى "مظفر نگر" مع أبيه وبدأ يتلقى المعارف العصرية، ولكن طبيعته لم تمل إليها وعاد إلى "كاندهله"، وفُوِّض الشيخُ محمد احتشام الحسن الكاندهلوي إلى مولانا عبد الله الكنكوهي الذي كان يدرِّس آنذاك في المدرسة العربية[4] التابعة لجامع بلدة "كاندهله" ليتلقى الدراسات الابتدائية، وانتهى من قراءة مبادئ اللغة الأردية والتعليم الديني، وانتهى كذلك من قراءة "كريما"، و"پند نامه"، و"مالا بد منه"، و"گلستان"، و"بوستان"، وغيرها من الكتب الفارسية،[5] وأبى الشيخ عبد الله الكنكوهي أن يدرِّسه العربية بما يسود بيئته الأسرية المعارف العصرية، وكان قد عزم خاله مولانا بدر الحسن على تعليمه المعارف العصرية في كلية علي كراه، غير أنه كان يميل إلى التعليم الديني، لكنه ما كان هناك أحد يؤيده في هذا الأمر سوى خالته وليس لرأيها أهمية بالنسبة إلى آراء رجال الأسرة، فكان يعاني من هذا الصراع الداخلي.

وفي غضون ذلك قدم الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي من سهارنفور إلى "كاندهله" مصابا بمرض شديد وخدمه الشيخ محمد احتشام الحسن خلال هذا المرض فتحابّا، ولما شُفِي الشيخ محمد إلياس حرضه في غاية من العطف على الذهاب إلى قرية نظام الدين بدلهي معه حتى يشتغل بالدراسات العربية بها، وقبل مشورته هذه، وذهب الشيخ محمد احتشام الحسن إلى قرية نظام الدين بدلهي مع الشيخ محمد إلياس في 15 من شوال 1336هـ الموافق 24 يوليو 1918م، وكان عمره آنذاك 12 سنة و7 أشهر،[6] وأخذ العلوم العربية الإسلامية تحت رعاية الشيخ محمد إلياس سبع سنوات متوالية بمدرسة كاشف العلوم بقرية نظام الدين في دلهي،[7] وخلال هذه الفترة قرأ جميع الكتب المتداولة إلى "مشكوة المصابيح" على الشيخ محمد إلياس،[8] ثم التحق بمدرسة مظاهرِ علوم بسهارنپور في شوال 1343هـ الموافق يونيو

1925م لإكمال مختلف العلوم والفنون ودورة الحديث الشريف في صف "مشكوة المصابيح"، وما أن شرع في الدروس في 1344هـ الموافق 1926م حتى زار الحجاز لأداء مناسك الحج والعمرة في 25 من ذي القعدة 1344هـ الموافق 5 من يونيو 1926م مع الشيخ خليل أحمد السهارنبوري، والشيخ محمد إلياس الكاندهلوي، والشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، وعاد إلى الهند في وسط ربيع الثاني 1345هـ الموافق 22 من أكتوبر 1926م.

وكان قد قارب العام الدراسي الانتهاء بمدرسة مظاهرِ علوم لما عاد من رحلة الحج. فذهب إلى لاهور الباكستانية للاشتراك في اختبار المولوي الفاضل، ونجح فيه بتقدير ممتاز، وأثناء هذا السفر للاهور لقي العلامة محمد إقبال شاعر الشرق، وتأثر به أبلغ التأثر،[9] ثم أقبل على إكمال المنهاج الدراسي "النظامي" لأنه لم يتخرج في علوم الحديث الشريف بعد، وآنذاك كان الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي يقيم بالحجاز فتوجه إلى قرية نظام الدين وبدأ يدرس الحديث الشريف لدى الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي، وانتقل إلى سهارنبور لما عاد الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي إلى الهند وقرأ الحديث من جديد[10]، فالتحق بمدرسة مظاهرِ علوم مرة ثانية في شوال 1346هـ الموافق أبريل 1928م، وفرغ منها في 1347هـ الموافق يناير 1929م، وسنح له الفرصة أن يقرأ كتب الحديث على العلماء الأجلة، فقرأ المجلد الأول من "صحيح البخاري"، و"سنن أبي داؤد"، و"شمائل الترمذي" على الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، والمجلد الثاني من "صحيح البخاري" على الشيخ عبد اللطيف ناظم المدرسة سابقا، و"صحيح مسلم"، و"جامع الترمذي"، و"شرح معاني الآثار" للإمام الطحاوي على الشيخ عبد الرحمن، و"سنن النسائي"، و"سنن ابن ماجة" على الشيخ منظور أحمد خان، وبجانب هذه الكتب في الحديث قرأ بعض الكتب في مختلف الفنون، ونجح في الاختبار السنوي في الحديث بتقدير ممتاز، وكان الشيخ أمير أحمد الكاندهلوي رئيس هيئة التدريس سابقا بمدرسة مظاهرِ علوم، والشيخ جميل الرحمن أستاذ المدرسة وناظم المدرسة الخليلية التابعة لمدرسة مظاهرِ علوم،

والشيخ عبد الحليم الفيض آبادي أحد أعضاء المجلس الاستشاري لدار العلوم الكائنة في بلدة ديوبند ومدرسة مظاهر علوم من زملاء درسه. [11]

وبعد أن تخرج في مدرسة مظاهرِ علوم في شعبان 1347هـ الموافق يناير 1929م عاد إلى "كاندهله"، وبعد شهر رمضان 1347هـ الموافق مارس 1929م توجه إلى حيدر آباد عند النواب (الأمير) صدر يار جنگ مولانا حبيب الرحمن خان الشيرواني (صدر الصدور) بإلحاح من النواب (الأمير) المذكور وعلى أمر من أبيه مولانا رؤوف الحسن، وبقي بها أربعة أشهر[12]، وأثناء ذلك توفيت زوجته الأولى فاضطر إلى العودة إلى الوطن مؤقتا، وبعد العودة إلى الوطن لم يسمح له الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي بالذهاب إلى حيدر آباد مرة أخرى، وأمره بالمكوث بقرية نظام الدين بدلهي،[13] فتوجه إليها في ربيع الثاني 1348هـ الموافق سبتمبر 1929م، وجعل يقيم بها بشكل دائم، ويقوم بخدمات دعوية، وألف كتبا عديدة[14] في نشر الدعوة والتبليغ باللغة الأردية بأمر من الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي، وأصبح مساعدا لشيخه المذكور في جل نشاطاته الدعوية والإصلاحية،[15] وفَوَّضَ إليه شيخُه مسؤوليات إدارة مدرسة كاشف العلوم رغم صغر سنه فقام بواجبات إدارية للمدرسة وخدمات تدريسية فيها، وقام بخدمات دعوية وإصلاحية وأبلى فيها بلاء حسنا،[16] فدرّس كتبا مهمة مثل "مشكوة المصابيح"، و"تفسير الجلالين"، وقرأ عليه الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي، والشيخ محمد إنعام الحسن الكاندهلوي "تفسير الجلالين"،[17] وقرأ الشيخ إظهار الحسن الكاندهلوي، والحكيم عين الحسن الكاندهلوي عليه "المقامات الحريرية"، و"ديوان المتنبي"، و"ديوان الحماسة"، و"تفسير الجلالين".[18]

وكان قد قدم الشيخ محمد احتشام الحسن الكاندهلوي إلى قرية نظام الدين بدلهي في 15 من شوال 1336هـ الموافق 24 من يوليو 1918م وكان ابن 12 سنة وسبعة أشهر. توفي شيخه مولانا محمد إلياس الكاندهلوي في 21 من رجب 1363هـ الموافق 13 من يوليو 1944م، فقضى 27 سنة معه سوى زمن إقامته بمدرسة

مظاهرِ علوم بسهارنپور بوصفه طالبا، وبحيدر آباد بوصفه موظفا لأربعة أشهر، وظل دائما طول حياة شيخه مرافقا له في السفر والحضر، وبدأ القيام بخدمات دعوية من الأيام الابتدائية من طلب علمه، ففي أيام طلبه للعلم بقرية نظام الدين قضى شهرا كاملا من رمضان بـ"فريد آباد" من ولاية "هريانه" الهندية، وبـ"كهادر" أحد دساكر نواحي دلهي مع وفد متكون من الطلبة في قمع جذور فتنة "شدهي" الهندوسية، وأحرزوا في ذلك انتصارات كبيرة، وعادت القرى التي ارتدت من الإسلام إلى الإسلام من جديد، وكأن هذه الجماعة كانت أول من نوعها بعثها الشيخ محمد إلياس هادفا إلى الدعوة والتبليغ، وذلك قبل 1343هـ الموافق 1925م.

ولما أعلن الدكتور بي. آر. أمبيدكر زعيم الطبقة المنبوذة في الهند المعروفة بـ"هريجن" عن تغيير ديانتها بصورة جماعية أمر الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي صاحبنا هذا أن يزور الدكتور المذكور ويدعوه إلى الإسلام، فذهب إليه وتحدث معه في هذا الأمر،[19] وطبقا لما رواه الشيخ نور الحسن راشد، زار مولانا محمد احتشام الحسن الدكتور أمبيدكر مرتين، تأثر للمرة الأولى أعظم التأثر بما قدّمه إليه من رسالة الإسلام، وأعرب عن التجاوب لاعتناق الإسلام، ولكنه لما زاره للمرة الثانية كان قد تغير ذهنه، وأجاب: "لم أستطع أن أفهم من منكم مسلمون؟" وانكشف فيما بعد أنه أثناء ذلك كان زاره بعض العلماء من المذهب البريلوي، ونفروه من المذهب الديوبندي فتنفر من الدين الإسلامي.[20]

تم انتخابه عضوا للهيئة الاستشارية لدار العلوم التابعة لندوة العلماء في العاشر من محرم الحرام 1363هـ الموافق السابع من يناير 1944م، وبقي عضوا لها حتى خمس سنوات، واعتذر إليها فيما بعد بسبب مرضه.[21]

وزار الحجاز للمرة الأولى لأداء مناسك الحج والعمرة في 1344هـ الموافق 1926م أيام طلبه للعلم عند الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي، والشيخ خليل أحمد السهارنبوري، والشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، وكان من مرافقيه في هذه الرحلة كذلك عمه مولانا شمس الحسن، ووالده مولانا رؤوف الحسن،[22] وللمرة الثانية في 1351هـ

الموافق 1933م مع شيخه محمد إلياس الكاندهلوي، وللمرة الثالثة والأخيرة في 1356هـ الموافق 1938م أيضا مع شيخه محمد إلياس. [23]

وبايع الشيخ محمد احتشام الحسن على يد الشيخ خليل أحمد السهارنبوري، وإثر وفاته رجع إلى شيخه محمد إلياس وحصل على الإجازة بأخذ البيعة والتلقين والإرشاد[24]، وإضافة إلى ذلك أجازه الشيخ محب الدين أحد خلفاء الشيخ إمداد الله المهاجر إلى مكة المكرمة بمكة المكرمة بأخذ البيعة في السلاسل الأربعة.[25]

وكان العلماء المنتسبون إلى حركة الدعوة والتبليغ غير مرتضين بالنهج الذي اختير لتعيين الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي خليفة الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي مؤسس الحركة المذكورة، ومن بينهم الشيخ محمد احتشام الحسن، وانفصل عن الحركة بعد وفاة شيخه مولانا محمد إلياس الكاندهلوي، وأقام في وطنه "كاندهله" بشكل دائم، وبعد مدة طويلة من انفصاله عن الحركة ألف كتابا باسم "زندگي كي صراطِ مستقيم" (صراط الحياة المستقيم) باللغة الأردية، وكتب في آخر الكتاب تحت عنوان "ضروري انتباه" (التحذير الضروري) عن حركة الدعوة والتبليغ:

"لا تلائم حركة الدعوة والتبليغ الحاضرة التي تتخذ من قرية نظام الدين بدلهي مقرا لها، كما أنا أعرف، الكتاب والسنة، ولا تنسجم مع المذهب الذي اختاره الشيخ مجدد الألف الثاني، والشاه ولي الله المحدّث الدهلوي، وعلماء الحق . . ..[26]"

توفي الشيخ محمد احتشام الحسن الكاندهلوي في الساعة الثامنة و35 دقيقة ليلةَ 15 من شوال 1391هـ الموافق 4 من ديسمبر 1971م إثر عملية جراحية أجريت في البطن، ودُفن في اليوم التالي بعد صلوة الفجر في مقبرة "عيد گاه" الوراثية ببلدة "كاندهله".[27]

آثاره العلمية:

كان الشيخ محمد احتشام الحسن الكاندهلوي مولعا بالتأليف والتصنيف منذ أيام طلبه للعلم، ورأس حياته هو التصانيف، فأصبح التصنيف والتأليف طبيعة ثانية

له، يبلغ عدد مؤلفاته العربية والأردية 65 مؤلفا تقريبا، أما العربية منها فهي كما يلي:

"**المسند الأعظم**":

تلخيص جامع المسانيد للإمام أبي حنيفة النعمان، صفحاته 528، لم يطبع.[28]

"**مفتاح العلوم**":

يشتمل هذا الكتاب على ثلاثة مجلدات، عرّف فيه المؤلف بجميع العلوم الإسلامية بإيجاز، صفحاته 700، أكمله في رمضان 1380هـ الموافق مارس 1961م، لم يطبع.[29]

"**الموجز للسيرة النبوية**":

هذا كتاب وجيز باللغة العربية وجامع يحيط بالسيرة النبوية، ألفه أثناء إقامته بالمدينة المنورة في 1353هـ الموافق 1953م على أمر من الشيخ أحمد الفيض آبادي، صفحاته 46، لم يطبع. [30]

"**شرح قصيدة البردة**":

تحت كل شعر ذكر حل اللغات، وشرحه شرحا وافيا، لم يطبع، ومسودته موجودة عند ابنه الشيخ احترام الحسن الكاندهلوي. [31]

"**جوامع الكلم**":

هذه الرسالة المختصرة الطيبة مجموعة للأحاديث النبوية الشريفة التي انتقاها الشيخ محمد احتشام الحسن الكاندهلوي من الجامع الصحيح للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ومن صحيح الإمام مسلم القشيري ليسهل حفظها ومحافظتها على طلبة العلم الناشئين، ويكونوا على بصيرة بالأمور الشرعية والسنة النبوية، وهي المجموعة الأولى ضمن مجموعات مختصرات تحمل كمقرر دراسي للطلاب المبتدئين باسم "جوامع الكلم"، و"منابع الحكم"، و"بدائع الحكم".

هذه الرسالة تتضمن 300 حديث من الصحيحين على الإيمان وملحقاته، والصلوة وملحقاتها، والجنائز، والزكوة، والصدقات، والصيام، والحج والعمرة، والمجتمع والمعاملات، والأدب والأخلاق، وتحت كل حديث ذكر اسم راويه. ألفها ونشرها في 1372هـ الموافق 1952م أول مرة، وأعاد نشرها دار السنة للنشر والتوزيع، بروليا، تيگور مارگ، لكناؤ الهندية سنة 1421هـ الموافق 2000م.[32]

"**منابع الحكم**":

هذه الرسالة المختصرة الطيبة مجموعة للأحاديث الوجيزة السهلة التي انتقاها الشيخ محمد احتشام الحسن الكاندهلوي من "الجامع الصحيح" للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ليسهل حفظها ومحافظتها على طلبة العلم الناشئين، ويكونوا على بصيرة بالأمور الشرعية والسنة النبوية، وهي المجموعة الثانية بعد مجموعة الأحاديث الوجيزة المنتقاة من صحيحي البخاري ومسلم المسماة بـ"جوامع الكلم" اختارها المؤلف المذكور، وقد أحسن العلامة الفاضل صنعا إذ علق على الأحاديث المختارة وشرح غريبها وحل عويصها، فلا يحتاج المعلمون إلى أن يراجعوا الشروح الكبيرة فإنهم يجدون ما يحتاجون إليه في حل الغريب وفهم الحديث في هامش الرسالة، وبذلك جاء الكتاب جامعا بين فائدتين.[33]

"**بدائع الحكم**":

هذه الرسالة الطيبة الوجيزة مجموعة للأحاديث التي انتخبها العلامة محمد احتشام الحسن الكاندهلوي من "الجامع الصحيح" للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ليحفظها الطلاب بغاية من السهولة ويكونوا على بصيرة في الأمور الشرعية والسنة النبوية على صاحبها ألف ألف صلوة وتحية ما دامت البرية، وهي المجموعة الثالثة من نوعها.

وقد أحسن المؤلف الفاضل صنعا إذ علق على الأحاديث المختارة وشرح غريبها وحل عويصها فلا يحتاج المعلمون إلى مراجعة الشروح الكبيرة فإنهم يجدون ما يحتاجون إليه في حل الغريب وفهم الحديث في هامش الكتاب وبذلك جاءت

الرسالة تجمع بين فائدتين، فالرسالة انتقاء جيد من الأحاديث النبوية وشرحها شرحا مختصرا وافيا يدل على قدرة المؤلف على استيعاب المعاني مع الوجازة والرشاقة.

هذه الرسالة تتضمن 110 أحاديث وجيزة من "صحيح مسلم" على الإيمان وملحقاته، واستفاد في شرح الأحاديث وحل اللغات من شرحي العلامة النووي والعلامة شبير أحمد العثماني. ألفها في 1373هـ الموافق 1953م، ونشرتها دار السنة للنشر والتوزيع، بروليا، تيگور مارگ، لكناؤ الهندية سنة 1421هـ الموافق 2000م. [34]

"**حجة الوداع**":

ذكر في هذه الرسالة تفاصيل الحجة النهائية للنبي ﷺ (حجة الوداع) وخطباته، صفحاتها 121، ألفها في 1369هـ الموافق 1950م، وتم نشرها غير مرة. [35]

"**العروة الوثقى**":

ذكر في هذه الرسالة العربية أصول الدعوة والتبليغ وآدابها للعرب، فأولا ذكر فيها الفساد المتفشي في الأمة الإسلامية وقدّم حلولا لإصلاحها، وذكر كذلك فيها الأمور التي يلزم للداعي الاهتمام بها، تقع الرسالة في 21 صفحة، وتم نشرها في 1366هـ الموافق 1947م من مركز الدعوة والتبليغ بقرية نظام الدين في دلهي. [36]

"**حاشية ديوان المتنبي**":

ألف العلامة محمد احتشام الحسن الكاندهلوي حاشيةً لديوان المتنبي بأسلوب جديد، ذكر فيها حل اللغات ومغزى الشعر بأسلوب سهل المأخذ، أكمل المؤلف هذا الشرح إلى قافية الفاء، صفحاتها 180، ونشرت من محبوب المطابع بدلهي في 1352هـ الموافق 1934م، أخذ الشارح جميع التحقيقات اللغوية فيها من الشروح والحواشي وكتب اللغة المعتمد عليها. [37]

"**حاشية الجلالين**":

علق المؤلف على تفسير الجلالين أثناء تدريسه له باللغة العربية، لم يطبع بعد.[38]

الحواشي

[1]احترام الحسن الكاندهلوي، "تذكره مولانا احتشام الحسن كاندهلوي"، ص 15-16

[2] نفس المصدر، ص 18

[3] نفس المصدر

[4] تلك المدرسة هي مدرسة نصرة الإسلام (الحلقة الأولى من مقال "مولانا احتشام الحسن كاندهلوي") الذي كتبه ارتقاء الحسن رقي الكاندهلوي، المطبوع في مجلة "مظاهرِ علوم" الشهرية الأردية الصادرة من مدرسة مظاهرِ علوم، سهارنپور (جديد)، ص 35).

[5] احترام الحسن الكاندهلوي، "تذكره مولانا احتشام الحســـن كاندهلوي"، ص 19؛ ارتقاء الحسن رقي الكاندهلوي، الحلقة الأولى من مقال عنوانه"مولانا احتشام الحسن كاندهلوي"، مجلة "مظاهرِ علوم" الشــهرية الأردية الصادرة من مدرسة مظاهرِ علوم، سهارنپور (جديد)، مارس 2009م، ص 35

[6]احترام الحسن الكاندهلوي، "تذكره مولانا احتشام الحســـن كاندهلوي"، ص 20-21؛ ارتقاء الحسن رقي الكاندهلوي، الحلقة الأولى من مقال عنوانه "مولانا احتشام الحسن كاندهلوي"، مجلة "مظاهرِ علوم" الشــهرية الأردية الصادرة من مدرسة مظاهرِ علوم، سهارنپور (جديد)، مارس 2009م، ص 37؛ محمد شاهد السهارنبوري، "علمائے مظاهرِ علوم سهارنپور اور انكي علمي وتصنيفي خدمات"، 99/2

[7] ارتقاء الحسن رقي الكاندهلوي، الحلقة الثانية من مقال عنوانه "مولانا احتشام الحسن كاندهلوي"، مجلة "مظاهرِ علوم" الشــهرية الأردية الصادرة من مدرسة مظاهرِ علوم، سهارنپور (جديد)، أبريل 2009م، ص 36؛ محمد شاهد السهارنبوري، "علمائے مظاهرِ علوم سهارنپور اور انكي علمي وتصنيفي خدمات"، 99/2

[8] محمد شاهد السهارنبوري، "علمائے مظاهرِ علوم سهارنپور اور انكي علمي وتصنيفي خدمات"، 99/2

[9] محمد شاهد الســهارنبوري، "علمائے مظاهرِ علوم سهارنپور اور انكي علمي وتصنيفي خدمات"، 99/2؛ احترام الحسن الكاندهلوي، "تذكره مولانا احتشام الحسن كاندهلوي"، ص 25

[10] احترام الحسن الكاندهلوي، "تذكره مولانا احتشام الحسن كاندهلوي"، ص 26-27

[11] محمد شاهد السهارنبوري، "علمائے مظاهرِ علوم سهارنپور اور انكي علمي وتصنيفي خدمات"، 100/2

[12] وكانت وظيفته هناك أن يقيم عند النواب المذكور ويشتغل بالخدمات العلمية، وأثناء إقامته هذه عنده نقل بأمر النواب "الموافقة بين أهل البيت والصحابة" للعلامة جار الله الزمخشري إلى اللغة الأردية السلسة، ولعل هذه أول محاولة له في مجال التصنيف والتأليف، طبع بعد 32 سنة تقريبا من مكتبة برهان، دلهي الهندية، ومجلسِ توقيرِ صحابه، بلاهور الباكستانية باسم "خلفاءِ راشدين اور اهلِ بيتِ كرام كے باهمي تعلقات"، ويشتمل هذا الكتاب على 150 صفحة تقريبا. (ارتقاء الحسن رقي الكاندهلوي، الحلقة الثانية من مقال باسم "مولانا احتشام الحسن كاندهلوي"، مجلة "مظاهرِ علوم" الشهرية الأردية الصادرة عن مدرسة مظاهرِ علوم، سهارنپور (جديد)، أبريل 2009م، ص 39)

[13] احترام الحســـن الكاندهلوي، "تذكره مولانا احتشام الحسن كاندهلوي"، ص 28-29؛ محمد شــاهد السهارنبوري، "علمائے مظاهرِ علوم سهارنپور اور انكي علمي وتصنيفي خدمات"، 100/2

[14] ومن تلك الكتب التي ألفها في حقل الدعوة والتبليغ هي كما يلي: (1) "مسلمانوں كي موجوده پستي كا واحد علاج"، أولا نشرت هذه الرسالة في صورة كتيب، ثم طبعت فيما بعد ضمن "فضائلِ أعمال" للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي في آخر الكتاب، و(2) رسالة "إسلامي زندگي"، و(3) رسالة "إصلاحِ انقلاب"، (ارتقاء الحسن رقي الكاندهلوي، الحلقة الثالثة من المقال المعنون "مولانا احتشام الحسن كاندهلوي"، مجلة "مظاهرِ علوم" الشهرية الأردية الصادرة من مدرسة مظاهرِ علوم، سهارنپور (جديد)، مايو 2009م، ص 44-46) و(4) رسالة "شاهراهِ ترقي"، و(5) رسالة "إصلاحِ معاشرت"، و(6) رسالة

"آدابِ معيشت"، و(7) رسالة "پيامِ عمل" (ارتقاء الحسن رقي الكاندهلوي، الحلقة الرابعة من مقال معنون "مولانا احتشام الحسن كاندهلوي"، مجلة "مظاهرِ علوم" الشهرية الأردية الصادرة من مدرسة مظاهرِ علوم، سهارنپور (جديد)، يونيو 2009م، ص 33-34)

[15]احترام الحسن الكاندهلوي، "تذكره مولانا احتشام الحسن كاندهلوي"، ص 29

[16] ارتقاء الحسن رقي الكاندهلوي، الحلقة الثالثة من مقال معنون "مولانا احتشام الحسن كاندهلوي"، مجلة "مظاهرِ علوم" الشهرية الأردية الصادرة من مدرسة مظاهرِ علوم، سهارنپور (جديد)، مايو 2009م، ص 42-43

[17]محمد ثاني الحسني، "سوانح حضرت مولانا محمد يوسف كاندهلوي"، ص 170

[18]احترام الحسن الكاندهلوي، "تذكره مولانا احتشام الحسن كاندهلوي"، ص 48

[19]نفس المصدر، ص 30-31

[20]نفس المصدر، (هـ 2) ص 31-32

[21] رجسٹر ركنيتِ شورى ندوة العلماء، لكهنؤ، نقلا عن احترام الحسن الكاندهلوي، "تذكره مولانا احتشام الحسن كاندهلوي"، ص 47

[22]احترام الحسن الكاندهلوي، "تذكره مولانا احتشام الحسن كاندهلوي"، ص 36

[23] نفس المصدر، ص 38 و40 و42 و46

[24]محمد ثاني الحسني، "سوانحِ يوسفي"، نقلا عن نفس المصدر، ص 28

[25]احترام الحسن الكاندهلوي، "تذكره مولانا احتشام الحسن كاندهلوي"، ص 28

[26]ألطاف أحمد الأعظمي، "إحياءِ ملت اور ديني جماعتيں"، ص 339-340

[27]احترام الحسن الكاندهلوي، "تذكره مولانا احتشام الحسن كاندهلوي"، ص 54-57

[28] نفس المصدر، ص 66

[29] نفس المصدر

[30] نفس المصدر

[31] نفس المصدر، ص 67

[32] محمد احتشام الحسن الكاندهلوي، "جوامع الكلم"

[33] محمد احتشام الحسن الكاندهلوي، "منابع الحكم"

[34] محمد احتشام الحسن الكاندهلوي، "بدائع الحكم"

[35]احترام الحسن الكاندهلوي، "تذكره مولانا احتشام الحسن كاندهلوي"، ص 71

[36]احترام الحسن الكاندهلوي، "تذكره مولانا احتشام الحسن كاندهلوي"، ص 72-73؛ محمد شاهد السهارنبوري، "علمائے مظاهرِ علوم سهارنپور اور انكي علمي وتصنيفي خدمات"، 107/2

[37]احترام الحسن الكاندهلوي، "تذكره مولانا احتشام الحسن كاندهلوي"، ص 76؛ نفس المصدر،محمد شاهد السهارنبوري، "علمائے مظاهرِ علوم سهارنپور اور انكي علمي وتصنيفي خدمات"، 112/2

[38]احترام الحسن الكاندهلوي، "تذكره مولانا احتشام الحسن كاندهلوي"، ص 77؛ محمد شاهد السهارنبوري، "علمائے مظاهرِ علوم سهارنپور اور انكي علمي وتصنيفي خدمات"، 113/2

تأثير المهاتما غاندي في شخصية نيلسون مانديلا

د. محمد سليم القاسمي[**]

{فقد العالم في رحيل نيلسون مانديلا مناضلا رائدا لكفاح البشرية من أجل الحرية والعدالة والمساواة وملهما لقيم المحبة والأخوة الإنسانية وسيبقى يلهم الأجيال على مدى سنين كما ستستمر الأمهات يلدن المناضلين الصابرين. لقد كان المناضل نيلسون مانديلا برمزيته حركة تحرر كاملة تعلمت منه الأجيال والشعوب والبلدان سبل الكفاح من أجل الحرية والعدالة إذ ضرب طوال حياته الأمثال بصموده وصبره وزرع القناعة المهمة بأن الحق لا يموت ما دام وراءه مناضلون ومطالبون من أجله، وبهذا أصبح مانديلا مشعلا للمقاومة والتحرر من العنصرية والكراهية والاحتلال والقمع. وأصبح تاريخه النضالي ملهما لكل الشعوب المستضعفة في العالم في حياته، وبعد مماته سيكون مانديلا نموذجا للمناضلين الأحرار لقضايا الشعوب العادلة وسيبقى دائما لأهله ولشعب جنوب أفريقيا والهند ولكل المناضلين في العالم رمزا للصبر والصمود والتحرر.}

نيلسون روليهلاهلا مانديلا، ولد يوم 18 يوليو 1918 في قرية "ميزو" بمنطقة ترانسكاي، وكان مانديلا أول من تلقى التعليم في عائلته، فاكتسب اسم "نيلسون" من معلمه الذي وجد صعوبة في نطق اسم "روليهلاهلا" بعد أن كان يعرف باسم قبيلته "ماديبا" كان والد مانديلا رئيسا لقبيلة التيمبو الشهيرة، وتوفي وهو لا يزال

---

* كاتب حر، نيودلهي .

في التاسعة من عمره، فكان عمه هو المسؤول عنه، وتربى على قصص البطولات والملاحم لأجداده قبل أن ينتخب مكان والده.

كان مانديلا من الأطفال الأفارقة القلائل الذين استطاعوا دخول المدرسة الابتدائية وأكمل دراسته بمدارس الإرسالية والتحق بالجامعة في كلية فورت هاري قبل أن يطرد عنها بسبب مشاركته في الاحتجاجات الطلابية ضد سياسة التمييز العنصري مع رفيقه أوليفري تامبو عام 1940. عاش مانديلا فترة دراسية مضطربة وأكمل دراسته بالمراسلة في جامعة ويتووترا سراند بجوها نسبورغ حتى حصل على ليسانس الحقوق. تزوج مانديلا من زوجته الأولى "إيفيلين ماس" عام 1944 ولكنهما انفصلا عام 1957 بعد أن أنجب منها ثلاثة أطفال. وفي عام 1958 تزوج من "ويني ماديكيزلا" التي كان لها دور نشط في حملة طالبت بإطلاق سراح زوجها من السجن، إلا أنهما انفصلا عام 1992 ليتزوج وهو في الثمانين من العمر "بجراساماتشيل".(1)

نشأ مانديلا في أجواء سياسية تنكر الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية للأغلبية السوداء في جنوب أفريقيا، مما كان له أثر كبير في تكوين شخصيته المعارضة لنظام الحكم في جنوب أفريقيا، وفي عام 1944 انضم إلى المجلس الأفريقي القومي الذي كان يدعو للدفاع عن حقوق الأغلبية السوداء. بدأ الحزب عام 1952 ما عرف" بحملة التحدي" وكان مانديلا مشرفا مباشرا عليها، فجاب البلاد محرضا على مقاومة قوانين التمييز العنصري وحكم بسجنه مع وقف التنفيذ لكن الحكومة اتخذت قرارا بمنعه من مغادرة جوها نسبورغ لستة أشهر. فأمضى تلك الفترة في إعداد خطة حولت فروع الحزب إلى خلايا للمقاومة السرية.

طوال تلك الفترة كان مانديلا يدعو للمقاومة غير المسلحة ضد سياسات التمييز العنصري. لكن بعد أحداث مذبحة شاريفيل عام 1960 التي أطلق فيها رجال الشرطة النار على المتظاهرين ليسقط المئات من القتلى والجرحى، وإقرار

قوانين تحظر الجماعات المضادة للعنصرية، قرر مع مجموعة من زعماء المجلس الأفريقي القومي فتح باب المقاومة المسلحة، واعتقل حتى عام 1961.(2)

وفي عام 1962 غادر مانديلا إلى الجزائر لترتيب دورات تدريبية لأفراد الجناح العسكري بالحزب، وبعد عودته ألقي القبض عليه بتهمة مغادرة البلاد بطريقة غير قانونية، والتحريض على الإضرابات وأعمال العنف، وقد تولى الدفاع عن نفسه بنفسه، في هذه المحاكمة صدر حكم بسجن خمس سنوات على مانديلا، وبعد ثلاثة أعوام حكم عليه مرة أخرى بالسجن المؤبد.(3)

وفي 11 فبراير 1990 تم إطلاق سراح "مانديلا" بأمر من رئيس الجمهورية "فريدريك ويليام دي كليرك"، فأعلن وقف الصراع المسلح وقاد المفاوضات مع سجانيه السابقين للانتقال بالبلاد إلى الديموقراطية، وهو ما انتهي بانتخابه كأول رئيس أفريقي للبلاد عام 1994. وفي عام 1999 أعلن مانديلا عن رغبته في التقاعد بعد فترة حكم واحدة، ليصبح أبرز سفير لجنوب أفريقيا وشارك في العديد من الأنشطة العامة حيث نظم حملات ضد مرض "أيدز" كما عمل لحصول جنوب أفريقيا على حق استضافة بطولة كأس العالم عام 2010 و في عام 2004 أعلن السياسي المخضرم تقاعده واعتزاله عن الحياة العامة ليتسنى له قضاء المزيد من الوقت مع عائلته وأصدقائه، ولم يظهر بعد ذلك سوى مرات قليلة.(4)

مانديلا وغاندي زعيما التسامح:

كانت جنوب أفريقيا مستعمرة بريطانية كالهند وبها العديد من العمال الهنود الذين قرر موهن داس كرم تشاند غاندي (ابوالهند) الدفاع عن حقوقهم أمام الشركات البريطانية التي كانوا يعملون فيها. وتعتبر الفترة التي قضاها بجنوب أفريقيا 1915 – 1893 من أهم مراحل تطوره الفكري والسياسي حيث أتاحت له فرصة لتعميق معارفه وثقافاته والإطلاع على ديانات وعقائد مختلفة، واختبر أسلوبا في العمل السياسي أثبت فعاليته ضد الاستعمار البريطاني، وأثرت فيه مشاهد التمييز

العنصري التي كان يتبعها البيض ضد الأفارقة أصحاب البلاد الأصليين أو ضد الفئات الملونة الأخرى المقيمة هناك.(5)

أما الفلسفة السياسية التي تبناها مانديلا في جنوب أفريقيا، وقبله المهاتما غاندي فهي قائمة على مفهوم "العفو والصفح" (forgiveness)، في مقابل فلسفة "العدالة والقصاص" الغالبة في تجارب مقاومة الاستعمار والديكتاتوريات في القرن العشرين، ولخصها غاندي ومانديلا في مقولتهما الشهيرة "لا مستقبل دون صفح" (No future without forgiveness).

وقد اتخذ مانديلا قرارا للمقاومة اللاعنفية متأثرا بحركة المهاتما غاندي الذي له شخصية مثالية. ويقول خبير الشؤون الأفريقية أبولون ديفيدسون: "لا يوجد اليوم في أفريقيا والهند و حتى في كل العالم سياسي يمكنه أن يصل مستوى نيلسون مانديلا وغاندي". ويضيف قائلا "نيلسون مانديلا مثل المهاتما غاندي، عارض الحروب من أجل المصالح الوطنية". المهاتما غاندي هو محرر المقهورين ورجل من أعظم رجال القرن العشرين. غاندي هو حرر الهند من الاحتلال البريطاني، مثال العطاء والنضال ضد كل أشكال القهر والاستبداد، قائد أشهر ثورة سلمية عرفها التاريخ وهو الذي استطاع أن يحرر الهند من استعمار المحتل البريطاني عن طريق حملات سلمية ضد العنف. إنه غاندي، ذلك الثائر والإنسان العظيم الذي كان سلاحه " الصيام حتى الموت ".(6)

واختار مانديلا فلسفة غاندي الذي استطاع أن يمنح شعبه اعتزازا بأنفسهم وشعورا بأنهم ليسوا أضعف من البريطانيين، وقادهم ليقوموا بأشهر ثورة سلمية عرفها التاريخ بعد أن أقنعهم بالفلسفة الخاصة الداعية للمقاومة السلمية. كانت شخصية غاندي مؤثرة جدا وعظيمة. الزعيم نيلسون مانديلا هو صاحب أروع قصص التضحية، والقيادة، في مواجهته الطويلة لنظام الفصل العنصري المقيت في جنوب أفريقيا إبان حكم الأقلية البيضاء. إنه كان في السجن أكثر من خمسة وعشرين عاما مثل غاندي في سجون العنصرية وبعد الخروج منه كان زعيما فذا ورمزا عالميا

للمصالحة والتعايش السلمي. ويعتبر مانديلا أكبر مؤيدي فلسفة غاندي حيث أنها كانت تحارب الاستعمار البريطاني والتمييز العنصري كما أقربه مانديلا وهو يقول "أنا والمهاتما غاندي كلانا ضحية التمييز العنصري ولكن في هذه المرحلة الشاقة وجدنا التأييد من شعوبنا المحترمة ضد حكومة البيض دائما التي كانت تنتهك بحقوقنا وحريتنا وإنه هو غاندي الذي شكل حركة الحرية في البلدين".(7)

وأعلن "لالوايو شيبا" السجين السابق مع مانديلا في جزيرة روبن أئلاند بعد رحلته "ماديبا هو نسختنا، نسخة الجنوب الأفريقية للمهاتما غاندي، مانديلا وغاندي هما ليسارمزين لدولة جنوب أفريقيا والهند، ولا لقارة، أفريقيا وآسيا فقط بل للعالم كله". فمانديلا هو راهب النضال استمرت مدة سجنه 27عاما، خرج بعدها لا لينتقم من سجانيه، بل ليمد يده إليهم من أجل بناء دولة تتسع للبيض والسود وكل المكونات وضرب مثلا مبهرا في مزج السياسة بالأخلاق. وقبل ذلك كان غاندي الذي قاد حركات احتجاجية ضد الاستبداد والظلم الاجتماعي وضد المستعمر البريطاني حتى نجحت ثورته بالإستقلال فأصبح غاندي ومانديلا قدوتين للعالم أجمع، مثلا قيمة كبرى في سوق السياسة العالمية وصارا أيقونتين خالدتين.(8)

التسامح المانديلوي والغاندوي هو قوة ناعمة، لكنها نووية اهتزت به عروش أعدائهما وخصومهما، وأجبر العالم الغربي على احترامهما وتبجيلهما وتقديرهما على الرغم من أن مصالحة مانديلا الاقتصادية العظمى كانت آنذاك مع النظام العنصري لجنوب أفريقيا. لم يغير مانديلا من مبادئه التي تبناها أيام النضال السلمي وبعد تحرر جنوب أفريقيا من ربقة النظام العنصري الأبيض، واستطاع مانديلا أن يكسب الرهان، فلم تشهد جنوب أفريقيا تيار الدماء الذي كان يلوح به البيض، كذلك لم تشهد جنوب أفريقيا الانتقام الجماعي لمئات الآلاف من ضحايا الحكم العنصري. لقد أثبت مانديلا أن "التسامح" الذي دعا إليه من البداية لم يكن مجرد شعار مؤقت، بل كان منهجا تبناه، واستطاع من خلال زعامته الشعبية أن يحدبه الرغبة في الانتقام التي كان يمكن فهم أسبابها لو انتقلت إلى أرض الواقع. قال غاندي ومانديلا: "لو

فكرنا بتمعن في شأن التسامح لوجدناه السلاح الأكثر فعالية في التأثير على الخصم". وإنهما فعلا مثل ذلك بتسامحهما مع خصومهما وهزّا عروش العنصرية والمظالم السائدة من البيض في البلدين.(9)

غالبية شعوب الأرض استفادت من تجربة مانديلا وغاندي الطويلة في السجن والنضال والدعوات إلى التسامح والصفح والعفو عن الخصوم لكن أكثر الشعوب في العالم كله بحاجة إلى تجربة مانديلا وغاندي التي يهيمن فيها مناخ التشدد وفتاوى القتل والتحريض المذهبي والديني، ويغيب فيها، أو يكاد، خطاب التسامح والصفح. إنهما حرّضا شعوبهما أن يقطعوا مع خطاب الإقصاء والاستثناء تجاه أتباع الأنظمة السابقة، لأن إقامة العدل أصعب بكثير من هدم الظلم وأن النظر إلى المستقبل والتعامل معه بواقعية أهم بكثير من الوقوف عند تفاصيل الماضي المرير.(10)

هذه الأفكار، دافع عنها مانديلا وغاندي خلال فترة سجنهما بسبب مقاومتهما لنظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا. ثم استمرا بالدفاع عنه بعد خروجهما من السجن. وفي غضون ساعات من إخلاء سبيلهما من السجن شرع مانديلا وغاندي في محاولة استمالة قلوب منتقديهما عن طريق توجيه رسالة تسامح ومحاولة نزع فتيل أي نزعة للانتقام في أوساط الأغلبية السوداء.(11)

إن مانديلا وغاندي كانا برمزيتهما حركة تحرر كاملة تعلمت منهما الأجيال والشعوب والبلدان سبل الكفاح من أجل الحرية والعدالة، إذ ضربا طوال حياتهما الأمثال بصمودهما وصبرهما وزرعا القناعة المهمة بأن الحق لا يموت ما دام وراءه مطالبون ومناضلون من أجله. وبهذا أصبح مانديلا وغاندي مشعلين للمقاومة والتحرر من العنصرية والكراهية والاحتلال والقمع والاستبداد. وأصبح تاريخهما النضالي ملهما لكل الشعوب المستضعفة في العالم. وعلى الظالمين والمعتدين أن يتعلموا الدرس بأنهم في النهاية هم الخاسرون مهما تعددت وسائل عدوانهم، ومهما تجبروا وطغوا وعاثوا في الأرض فسادا. مانديلا وغاندي في حياتهما وبعد مماتهما

سيكونان نموذجين للمناضلين الأحرار المدافعين عن قضايا الشعوب العادلة وسيبقيان دائما لأهلهما وشعب جنوب أفريقيا والهند ولكل المناضلين في العالم رمزا للصبر والصمود والتحرر. أماالناظر في تاريخ نضال مانديلا لا بد أن يرى أثر السحر الذي استمده من روح المهاتماغاندي القوية. فمن يرى مانديلا يرى ظلالا من أرواح وأفكار غاندي استشعر مانديلا بعبقريته الفذة ضرورة تطهير روح شعبه من ضغينة الانتقام.(12)

وقال نيلسون مانديلا "المقاومة السلمية" أي "ساتيا غراه" التي بدأها رمزا للحرية والمصالحة المهاتما غاندي في جنوب أفريقيا ما زالت تستخدم هذه الاسلحة المؤثرة للإعراب عن المقاومة السلمية وانتشرت نظرية غاندي ليست في جنوب أفريقيا فقط بل في العالم كله وقد أنكر غاندي نظرية التعارض بين رأس مال والعمل لكارل ماركس وركز على الإعتماد المتبادل بينهما، وأما أنا فأتبع غاندي في هذه النظرية أيضا."(13) ولذا قال الدكتور البروفيسور أجائ كوماردوبى الأستاذ في مدرسة الدراسات العالمية في جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي "تأثر نيلسون مانديلا بشخصية المهاتما غاندي وأن مانديلا وغاندي من الشخصيات البارزة التي لعبت دورا كبيرا في إنهاض الشعوب ضد المظالم وهما أيقونتان خالدتان للعالم وصورتان أصليتان للديموقراطية ولشخصيتهما أهمية كبيرة في جنوب أفريقيا والهند".(14)

مانديلا وجهوده الدولية:

ساهمت الهيئة العالمية في الكفاح العالمي ضد الفصل العنصري في جنوب أفريقيا عن طريق توجيه انتباه العالم إلى لا إنسانية النظام، وإضفاء الشرعية على المقاومة الشعبية، وتعزيز إجراءات مناهضة الفصل العنصري التي تتخذها المنظمات الحكومية وغير الحكومية، وفرض حظر على توريد الأسلحة، ودعم فرض حظر نفطي ومقاطعة نظام الفصل العنصري في العديد من المجالات.(15)

محطات رئيسية:

– ديسمبر 1950، الجمعية العامة تعلن أن "سياسة التفرقة العنصرية (الفصل العنصري) تستند بالضرورة إلى مبادئ التمييز العنصري" (القرار395 (د – 7)

– 19 إبريل 1960: مجلس الأمن، في أول إجراء له بشأن جنوب أفريقيا، يعتمد القرار 134 الذي يشجب السياسات والإجراءات التي تتخذها حكومة جنوب أفريقيا. وذلك في أعقاب مقتل 69 متظاهرا أفريقيا مسالما في شاربفيل على يد الشرطة في 21 مارس. ويدعو المجلس الحكومة إلى التخلي عن سياستها القائمة على الفصل والتمييز العنصريين.

– 2 إبريل 1963: الاجتماع الأول للجنة الخاصة المعنية بسياسات الفصل العنصري التي تتبعها حكومة جمهورية جنوب أفريقيا، والتي سميت في وقت لاحق باسم "اللجنة الخاصة لمناهضة الفصل العنصري.(16)

– 7 أغسطس 1963: مجلس الأمن يعتمد القرار 181 الذي يدعو كافة الدول إلى الكف عن بيع وشحن الأسلحة والذخيرة والمركبات العسكرية إلى جنوب أفريقيا. وأصبح الحظر المفروض على الأسلحة إلزاميا في 4 نوفمبر 1977.

– 13 نوفمبر 1963: الجمعية العامة تحت جميع الدول، في القرار 1899 (د – 18) بشأن مسألة ناميبيا، على الامتناع عن تزويد جنوب أفريقيا بالنفط. وكان هذا أول جهد من جهود عديدة بذلتها الأمم المتحدة بغرض فرض عقوبات نفطية فعالة ضد الفصل العنصري.

– 23 أغسطس/ 4 سبتمبر 1966: أقيمت شعبة حقوق الإنسان في الأمم المتحدة واللجنة الخاصة لمناهضة الفصل العنصري وحكومة البرازيل بتنظيم الحلقة الدراسية الدولية المعنية بالفصل العنصري– وهي الأولى من عشرات المؤتمرات

والحلقات الدراسية بشأن الفصل العنصري التي نظمتها الأمم المتحدة أو شاركت في رعايتها.

– 2 ديسمبر 1968: الجمعية العامة تطلب من كافة الدول والمنظمات أن تعلق المبادرات الثقافية والتعليمية والرياضية وغيرها من المبادرات من النظام العنصري والمنظمات أو المؤسسات التي تمارس الفصل العنصري في جنوب أفريقيا.

– 30 نوفمبر 1973: الجمعية العامة تقر الاتفاقية الدولية لقمع جريمة الفصل العنصري والمعاقبة عليها (القرار 3068 (د – 28). ودخلت الاتفاقية حيز النفاذ في 18 يوليو 1976.

– 9 يناير 1976: إنشاء مركز مناهضة الفصل العنصري.

– 17 أغسطس 1984: مجلس الأمن يعلن في القرار 554 أن الدستور العنصري الجديد لجنوب أفريقيا لاغ وباطل.

– 16 –20 يونيو 1986: الأمم المتحدة تنظم المؤتمر العالمي المعني بفرض عقوبات على جنوب أفريقيا العنصرية، بالتعاون مع منظمة الوحدة الأفريقية وحركة بلدان عدم الانحياز. (17)

– 14 ديسمبر 1989: الجمعية العامة تعتمد بتوافق الآراء "الإعلان المتعلق بالفصل العنصري ونتائجه المدمرة في جنوب أفريقيا" الذي يدعو إلى إجراء مفاوضات لإنهاء الفصل العنصري وإقامة ديموقراطية غير عنصرية (القرار A / RES/ S – 16/1).

– 22 يونيو 1990: نيلسون مانديلا يلقي خطابا أمام اللجنة الخاصة لمناهضة الفصل العنصري في نيويورك – في أول مثول له أمام المنظمة.

– 30 يوليو 1992: نظرا لتصاعد العنف السياسي واحتمال فشل المفاوضات، نيلسون مانديلا يطلب من الأمم المتحدة إيفاد مراقبين إلى جنوب أفريقيا. وفي اليوم التالي، يعلن الأمين العام أنه سيوفر فريقا مصغرا من مراقبي

الأمم المتحدة ومجلس الأمن ينشئ بعثة مراقبي الأمم المتحدة في جنوب أفريقيا في 17 أغسطس 1992.

– 18 أكتوبر 1993: الجمعية العامة تطلب من الدول إعادة العلاقات الاقتصادية مع جنوب أفريقيا على الفور، وإنهاء الحظر النفطي عندما يبدأ المجلس التنفيذي الانتقالي في جنوب أفريقيا عمله (القرار 48/1).(18)

– 15 مايو 1994: تنصيب أول حكومة غير عنصرية منتخبة ديموقراطية في جنوب أفريقيا عقب الانتخابات العامة التي أجريت من 26 إلى 29 إبريل.

– 23 يونيو 1994: الجمعية العامة تقر وثائق تفويض وفد جنوب أفريقيا وتشطب بند الفصل العنصري من جدول أعمالها، ومجلس الأمن يشطب مسألة جنوب أفريقيا من جدول أعماله في 27 يونيو.

– 13 أكتوبر 1994: نيلسون مانديلا، هو أول رئيس منتخب ديموقراطيا لجنوب أفريقيا، ألقى خطابا أمام الجمعية العامة.(19)

جوائز عالمية:

إضافة إلى جائزة نوبل للسلام التي نالها عام 1993 بالاشتراك مع الرئيس السابق الأبيض لجنوب أفريقيا فريديريك دي كليرك، تلقى نيلسون مانديلا جوائز وطنية ودولية عديدة على مدار أكثر من أربعين سنة بلغ عددها إلى نحو مائة وأبرزها:

– حصل نيلسون مانديلا على وسام بهارات راتنا في عام 1990، وهو أعلى تشريف هندي.

– بنهاية نظام أبارتهايد، نال مع الرئيس فريدريك وليام دي كليرك جائزة (Felix – Houphouet – (Biography) للبحث عن السلام في عام 1991.

– رفض جائزة مصطفى كمال أتاتورك للسلام في عام 1992 التي تقدمها تركيا على الخروقات المسجلة لحقوق الإنسان آنذاك، ثم قبل الجائزة لاحقا عام 1999.

– نال دكتوراة شرفية من جامعة واسيدا اليابانية في عام 1995.

– شرف في البرتغال بوسام من رتبة Infante Dom Heurique في عام 1996.

– أول شخصية حية حصلت على المواطنة في كندا عام 2001.

– نال وسام الحرية الرئاسي من الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش في عام 2002.

– نال جائزة الوعي الكوكبي من نادي بودا بست في عام 2004.

– اختارته الأمم المتحدة سفيرا للنوايا الحسنة في عام 2005.(20)

مقولات لا تنسى لمانديلا:

– لقد حاربت ضد هيمنة البيض وحاربت ضد هيمنة السود، وأثمن قيمة وجود مجتمع ديموقراطي حر يعيش فيه الجميع في تناغم وفي ظل فرص متساوية، إنها قيمة أثمن أن أعيش من أجلها وأن أحققها، ولكن إذا ما استدعت الضرورة، فإنني مستعد للموت من أجلها.

– لقد سرت على الدرب الطويل للوصول إلى الحرية، وحاولت ألا أفقد حماسي، ولقد قمت ببعض الخطوات الخاطئة على طول الطريق، ولكنني أكتشف السر أنه بعد تسلق جبل عظيم، يجد المرأ أن هناك جبالا كثيرة أخرى ينبغي تسلقها.

– التعليم هو أقوى سلاح يمكنك استخدامه لتغيير العالم.

– هناك درب سهل للحرية، وعلى العد يد منا سلوك وادي ظلال الموت مرارا وتكرارا قبل أن نصل إلى القمة التي نبتغيها.

– في بلادي، لا بد من الذهاب إلى السجن أولا قبل أن تصبح رئيسا.

– القائد الناجح هو الذي يواجه جدالا بصراحة وعمق لتقريب وجهات النظر مع الطرف الآخر، ولكن الفكرة تلك لا تخطر على بال المتعجرف، السطحي/ الجاهل.

– المال لن يصنع النجاح، إنما الحرية لإنتاج المال تصنع النجاح. (21)

– لا شيء يضاهي العودة إلى مكان لم يتغير أبدا، كي تكتشف الزوايا التي تغيرت في نفسك.

– أكره العنصرية لأنها أمر بربري، سواء كان مصدرها رجلا أسود أو أبيض.

– ليس شيء يدل على روحية مجتمع ما أكثر من طريقة تعامله مع أبنائه.

– إذا أردت أن تحقق السلام مع عدوك، عليك أن تعمل معه، بعدها فسوف يصبح شريكك.

– ليس أفضل أن تكون قائدا يقف في الخلف وتضع الأخرين في المقدمة، عليك أن تكون بالمقدمة في حال الخطر. عندها سيقدّر الناس قيادتك لهم.

– الشجاعة لا تكون في غياب الخوف إنما في التغلب عليه. الرجل الشجاع ليس من لا يشعر بالخوف وإنما من يقوم بقهره.(22)

مانديلا في السينما الهندي:

إن الممثل أننت سنغ الذي له دور في مقاومة العنصرية وأدوار أخرى في الحياة الاجتماعية ليس في الهند فقط بل في جنوب أفريقيا ضد السود، إنه التقى بنيلسون مانديلا مع زميلة مانديلا "السيدة فاطمة مير" في سجن دربن عام 1982 وكان سنغ طالبا في كلية هندية في ذلك الوقت وفاطمة هي أيضا هندية الأصل وزعيمة إصلاحية ومؤيدة للحقوق الإنسانية. هناك استأذن أننت سنغ من مانديلا بأن يرسم فيلما حول حياته التي تمتلئ بالنضال ضد الفصل العنصري والفقر وعدم المساواة. فقال نيلسون مانديلا متعجبا "من يريد أن يشاهد الفيلم حول حياتي" ولكن

استمرت جهود سنغ الجهيدة العديدة للحصول على النجاح وجرت سلسلة المكتوبات والرسائل بين مانديلا وسنغ حتى قدم سنغ فيلما بعد ثلاثة عقود حول حياة مانديلا النضالية بإسم "Mandela: Long Walk to Freedom"(مانديلا: شوط طويل نحو الحرية) في ضوء سيرته الذاتية "Long Walk to Freedom" ألفته فاطمة مير، نال هذا الفيلم شهرة واسعة وحصل على ثلاثة ترشيحات لغولدن غلوب (Golden Globe) عام 2014، ورشح هذا الفيلم لجائزة أوسكار عن غنائه الحقيقي الجيد، وتزداد أهمية الفيلم بأن المناضل نيلسون مانديلا مات حينما كان يشاهد الناس هذا الفيلم مع الأسرة الملكية في بريطانيا، فاستلم آننت سنغ رسالة في هاتفه الجوال من إبنتي مانديلا Zemina و Zindi بأن أبيهما قد مات. فبعد ان انتهى الفيلم أخبر آننت سنغ المجتمعين برحلته وبلغ عدد المجتمعين 1400 نفر، منهم كان الأمير وليم والأميرة كيت ميدلتون وغيرهما كثير، هناك أصدر آننت سنغ بيانا قال فيه: "لقد كان يشرفنا ويسعدنا كثيرا العمل معه ومع أعماله ونشعر جميعا بالأسى والحزن لفقدانه ونبعث تعازينا لأسرته في هذا الوقت العصيب". (23)

وفي خارج الهند، صور مانديلا في السينما والتلفيزيون في مناسبات عديدة.الفيلم "مانديلا ودي كليرك" لعام 1997 نال شهرة واسعة في جنوب أفريقيا وخارجها، أدى سيدني بواتييه دور مانديلا في الفيلم. وفي سنة 2009 أعدت بي بي سي التلفزيونية فيلما "السيد مانديلا" وأدى دور مانديلا كانديفيد هارورد فيه. وكذلك صور فيلم "الذي لا يقهر"عام 2009 وكان النجم فيه مورغان فريمان، رشح مورغان لجائزة أوسكار لأفضل ممثل عن دوره في هذا الفيلم وقال مورغان "أشعر بالسعادة لترشيحي لجائزة أوسكار ولكن لا أستطيع أن أفهم بل أشعر بالإحباط لعدم ترشيح الفيلم ضمن عشرة أفلام أخرى التي رشحت لجائزة أوسكار". المخرج كلينت ايستود إنه جسد فيه شخصية الزعيم الجنوب الأفريقي نيلسون مانديلا.(24)

ويعرض مهرجان شيكاغو السينمائي الدولي في دورته الـ 49 فيلم "Mandela A Long Walk to Freedom" الذي يستعرض قصة حياة

المناضل لجنوب أفريقيا نيلسون مانديلا منذ بدايته حتى تولى منصب رئاسة الجمهورية، ويلعب دور مانديلا في الفيلم الفنان الإنجليزي إدريس إلبا، الذي كشف في وقت سابق أنه لم يستطع مقابلة المناضل الراحل قبل تصوير الفيلم بسبب سوء حالته الصحية إلا أنه استوحى أداء الشخصية من كتاب مذكرات مانديلا والذي يحمل نفس اسم الفيلم وأوضح إلبا أن طريقة كلام وصوت مانديلا كان من اجتهاده الشخصي، مؤكدا أن ميزة الفيلم والحكم عليه لا يجب أن يكون على مدى حرفية في تقليد رئيس جنوب أفريقيا السابق بل في محتوى الفيلم ومضمونه. وسيعرض للمرة الأولى فيلم عن حياة الزعيم الأفريقي نيلسون مانديلا، خلال مهرجان تورنتو السينمائي الدولي في دورته الثامنة والثلاثين في سبتمبر المقبل. النجم الإنجليزي إدريس إلبا سيقوم بشخصية مانديلا في الفيلم الذي يحمل إسم "شوط طويل نحو الحرية" ويناقش قصة نضاله ضد العنصرية وكيفية تكيفه مع السجن طوال سبعة وعشرين عاما.(25)

مانديلا (مسرحية)

المخرج : فيلف سويلي

الكاتب: رونالد هارورد

النجوم: دوني غلوور، تام موفو، فرس سيلاّ، منداورا.(26)

مانديلا في رأي الأجانب:

قال برناب موخا رجي (رئيس جمهورية الهند حاليا) بهذه المناسبة الحزينة:

"الدكتور نيلسون مانديلا هو شخص محترم في الهند بأعماله النضالية وجهوده الجهيدة ضد العنصرية، إنه احترم دائما الهنود وتأثر بالزعيم الوطني المهاتما غاندي. كلنا في حزن عميق برحلة ماديبا، ونعزي شعب جنوب أفريقيا في هذا الوقت العصيب. أصبح هذا المناضل أحد الرموز الوطنية والمثل الذي يحتذي به ليس في قارة أفريقيا وآسيا بل غالبية شعوب الأرض استفادت بتجربة ماديبا الطويلة في السجن والنضال ودعواته إلى التسامح والصفح والعفو عن الخصوم.

المهاتما غاندي.

نيلسون مانديلا مع الشعب.

وهو أيقونة نهاية الذي حارب الأعداء للإنسانية، والجميع رأى في ماديبا أثر السحر الذي استمده من روح المهاتما غاندي القوية ". (27)

برناب موخا رجي، رئيس جمهورية الهند

"مانديلا زعيم تاريخي له مكانته الدولية، وله قدر كبير من الاحترام في المجتمع الدولي، نظرا لجهوده في خدمة وطنه وإقرار الوحدة الوطنية في جنوب أفريقيا." (28)

حامد أنصاري، نائب رئيس جمهورية الهندي

"إنها لحظة حزن للعالم، ورحلة نيلسون مانديلا خسارة كبيرة للهند كما هي خسارة لجنوب أفريقيا". (29)

الدكتور مان موهن سينغ، رئيس الوزراء الهندي السابق

"هو الزعيم المناضل أثبت فعاليته ضد الأبارتهايد (apartheid)، وكان شعاره هو العدل والسلم والتصالح وبناء الأمة وإقامة بلد ديموقراطي وغير عنصري، إنه رفع علم التسامح والصفح، رحلته هي خسارة كبيرة للهند ،نحن نفتخر بأنه ولد في هذه الأرض لخدمة الناس والتضحية" وأضافت قائلة "كان المهاتما غاندي شخصية مثالية في حياته، ومانديلا هو زعيم للحرية والإنسانية وله دور في ترويج الديموقراطية والعدالة الاجتماعية" وبعثت سونيا غاندي تعزيتها إلى أسرته وشعب أفريقيا في الجلسة التي أقيمت في تعزية نيلسون مانديلا في البرلمان الهندي قائلة بما يفيد:"إن مانديلا قد ركز على الحاجة الملحة إلى الدخول في نضال لضمان تحرير شعبنا من العوز ومن الجوع ومن الجهل والاستبداد."(30)

سونيا غاندي، رئيسة حزب المؤتمرالهندي

"مانديلا سعى لإسقاط نظام باطل ليقيم نظاما عادلا، وأصر على إقامة نظام ديموقراطي تعيش الأعراق المختلفة في ظله حياة عدل وكرامة وأمان".(31)

بان كي مون، الأمين العام للأمم المتحدة

"الرئيس السابق نيلسون مانديلا ،هو بطل الكفاح ضد التمييز العنصري فارقنا وإنه الآن يرقد بسلام، خسرت الأمة ابنها الأكثر تأثيرا و لقد خسر شعبنا أباه،" وقال أيضا، "فلنعرف عن امتناننا العميق لروح عاشت من أجل خدمة الناس في هذا البلد ومن أجل قضية الإنسانية، وأنها لحظة لحزن عميق، ونحبك دائما يا مانديلا."(32)

جاكوب زوما،الرئيس لجنوب أفريقيا

"يظل ماديبا نبراسا تهتدي به الأسرة العالمية وكل من يناضل في سبيل الديموقراطية والعدالة والمصالحة. نيلسون مانديلا هو رمز النضال للعدالة والمساواة والكرامة".(33)

باراك أوباما، الرئيس الأميريكي

إنه مقاوم استثنائي ومقاتل رائع، وكان يجسد شعب جنوب أفريقيا وأساس وحدتها وعزة أفريقيا بأكملها".

فرنسوا هولاند، الرئيس الفرنسي

"إن نورا كبيرا خبأ" وأعلن أن العلم البريطاني سينكس أمام مكتبه وكان مانديلا بطل عصرنا".(34)

ديفيد كاميرون، رئيس الوزراء البريطاني

"أصبح اسم نيلسون مانديلا الفائز بجائزة نوبل وسيبقى رمزا لكل الشعوب الحرة التي تبغي الديموقراطية وترنو للسلام والاستقلال دون استخدام العنف بل بواسطة الحوار والمصالحة والتسامح، وما يزال مانديلا حيا في حياتنا لأعماله الخيرية والتطوعية ولأجل نشر قيم السلام والمحبة بين شعوب الأرض ولنضاله ضد التمييز العنصري."(35)

أنجيلا ميركل، مستشارة ألمانيا

"أشعر بحزن عميق لرثاء شخص غير عادي وربما كان أحد العظماء على مر العصور وهو صديق مقرب بالنسبة لي. نيلسون روليهلاهلا مانديلا، كان رجلا من الناس، رجلا يؤثر في قلوبهم وكانت شخصيته واحدة من أكثر اللحظات تأثيرا في حياتي وسيبقى نيلسون مانديلا في قلوبنا للأبد، ذكريات نضاله الخالد ضد القمع وشخصيته المميزة وقيمته الإيجابية ستظل حية في فينا ومعنا".(36)

سيب بلاتر، رئيس الفيفا

نيلسون مانديلا "إنه كان أحد كبار فلاسفة زمانه".

رئيس الاتحاد الاوروبي

"إن سنوات النضال البطولي لمانديلا وما لقيه من مشاق وفقدان للحرية قد أهله للقيام بالدور القيادي والتاريخي الهادف إلى إرساء مبادئ الحق والعدالة في مجتمعه الذي عانى من الظلم الاجتماعي والتعسف على يد حكومات الفصل العنصري".(37)

خادم الحرمين الشريفين السابق الملك عبد الله بن عبد العزيز

"إن مانديلا ساهم بطريقة فريدة في إرساء ديموقراطيتنا وفي المصالح الوطنية."(38)

فريدريك دبليو دي كليرك، آخر رئيس لجنوب أفريقيا في عهد التفرقة العنصرية

"نيلسون مانديلا كان قائدا يفوق الوصف ومصدر إلهام للجميع".(39)

بيل غيتس، مؤسس مجموعة مايكروسوفت الأمريكية

"مانديلا هوشخصية بارزة حكيمة وكريمة، عانى كثيرا، وانتصر على أعدائه ولكنه لم ينتقم منهم، هوسياسي محنك ولكنه يتصرف كمواطن عادي بسيط." (40)

مايكل وايت، صحيفة غارديان البريطانية

الهوامش:

1. Nelson Mandela, *the Illustrated Long Walk to Freedom*, Little Brown and Company, 1996, p. 30.
2. Ibid, p 40.
3. Batters, John, *Mandela: The Authorised Biography*, Harper Collins, London, 2011, p. 10.
4. Row, Joseph, *Nelson Mandela: The Early Life of Rolihlahala Madiba*, Atlantic Books, Berkeley, 2002, pp. 9-26.
5. Jain, Jagdish Chandra, *Gandhi: the Forgotten Mahatma*, Mittal Publications, Delhi, 1997, p. 17.

6. جريدة " العرب" لندن ،2 مارس 2014، العدد 9485.

7. *Time Magazine*, The sacred warrior, "The liberator of South Africa looks at the seminal work of the liberator of India, by Nelson Mandela, 31 December, 1999.

8. جريدة" العرب"8 ديسمبر 2013، العدد 9903.

9. الشرق الأوسط، جريدة العرب الدولية ،8 ديسمبر 2013، العدد 12794.

10. *The Indian Express*, Delhi, 7 December 2013.
11. *The Hindu*, Delhi, 10 December 2013.

12.الشرق الأوسط ، 7 ديسمبر 2013، العدد 12793.

13. *Time Magazine*, The sacred warrior, "The liberator of South Africa looks at the seminal work of the liberator of India, by Nelson Mandela, 31 December, 1999.
14. *The Indian Express*, Delhi, 7 December 2013.
15. Ibid, 10 December 2013.

16.العرب ، 17 ديسمبر 2013، العدد 9412.

17.نفس المصدر،15 ديسمبر 2013.

18. Nelson Mandela, *The Illustrated Long Walk to Freedom*, p. 51.

19. Ibid, p. 51.
20.العرب، 6 ديسمبر 2013، العدد 9412.
21.نفس المصدر،6 ديسمبر 2013.
22. Nelson Mandela, *The Illustrated Long Walk to Freedom*, p. 101.
23. *The Indian Express*, Delhi, 23 January 2014.
24.الشرق الأوسط،4 فبراير 2010، العدد11391.
25. *The Indian Express*, Delhi, 23 January 2014
26. *The Indian Express*, Delhi, 7 December 2013
27. Ibid, 7 December 2013
28. Ibid, 7 December 2013
29. *The Hindu*, Delhi, 7 December 2013
30. *The Indian Express*, Delhi, 7 December 2013
31. *The Daily Telegraph*, Kolkata, 7 December 2013
32. *New York Times*, 7 December 2013
33. Ibid, 7 December 2013
34. *The Guardian*, London, 7 December 2013
35. Ibid, 7 December 2013
36. *New York Times*, 7 December 2013
37.الشرق الأوسط ، 7 ديسمبر 2013، العدد 12793
38. *The Indian Express*, Delhi, 7 December 2013
39. Ibid, 7 December 2013
40. *The Guardian*, London, 7 December 2013

قصة قصيرة

ســـاعــي الـبـريـد

- رابندرناث طاغور*

ترجمة: د. محمود عالم الصديقي**

جاء ساعي البريد إلى القرية "أولافور" لأول وظيفته. وكانت القرية فقيرة جدا. ولكن تقع بقربها شركة هندية بريطانية. و بفضل الجهود الكثيرة التي بذلها مدير الشركة البريطاني تأسس مكتب البريد الجديد في القرية. وكان ساعي البريد شابا منتميا إلى مدينة كلكتا. وكانت حالته في قرية كمثل هذه بمثابة سمك خارج من الماء. وكان مكتبه واقعا بكوخ قشي كثيف. وكانت أمام المكتب بركة محيطة بالغابة

---

* كان رابندرنات طاغور أديبا موسوعي المعرفة متنوع العطاء و نابغا في جميعها. ولدعام 1861 في أسرة متعلمة شهيرة في القرية "Jorasanko" الواقعة بمدينة كلكتا. وتوفي عام 1941م. وفي هذه الرحلة من حياته قد خلف عددا وافرا من الإنتاجات الأدبية التي يبلغ عدد مجلداتها تسعة وعشرين مجلدا كبيرا. وهذه الإنتاجات الأدبية تشتمل على الشعر والأغنيات، والمسرحيات والروايات والقصص القصيرة وغيرها. أما مجموعات شعره فيبلغ عددها ستين مجموعة شعرية. وأشهرها مجموعة "غيتانجلي" فهي التي كسبت له جائزة نوبل الدولية للآداب عام 1913م. وأما عدد أغنياته فيبلغ عددها ألفين من الأغنيات وصار منها إثنتان نشيدين وطنيين لدولتي "الهند" وبنغلاديش. وأماعدد رواياته فيبلغ عددها 25 رواية. ومن أشهرها: "Gora" يعني الأبيض، و "The home and the world" يعني البيت والعالم " الذي نقله بنفس الإسم الدكتور شكري محمد عياد إلى اللغة العربية ونشرتها مجلة الهلال". كما هذه المجلدات لإنتاجات طاغور مشتملة على عدة مسرحيات وأحسنها مسرحية : "The Post Office" يعني "مكتب البريد".===

** أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كارغل، جامعة كاشمير.

والأعشاب الضارة في جميع جوانبها. وأما عاملو الشركة وموظفوها فلم يتمتعوا بأي وقت فراغ ولم يحتاجوا إليه. في الحقيقة إن الشركة لم تكن مناسبة لرجل مثقف. أو بالأحرى أن يقال إن خلفيته بمدينة كلكتا جعلته متكبرا أو غير مريحٍ في هذاالمكان غير المأنوس. لذلك لم يكن كثير من الارتباط بينه وبين المقيمين في المنطقة.

وكان لديه قليل من الأعمال للعمل. فأحيانا يحاول في قرض الشعر. وكانت شعره يعبر عن "سعادة قضاء حياة أحد من الناس في إمعان النظر إلى ورقات ترتجف على شجرات أو إلى سحابات تطير في السماء." ولو خرج جن فجأة – كما يحدث في حكاية من حكايات العرب – وقطع جميع الشجرات المورقة في ليلة واحدة، وبنى طريقا وسد السماء بصفوف المباني الضخمة، ليحييَ من جديد هذا الرجل نصف الميت، والمتحلى بالأخلاق الحسنة.

كانت شهرية ساعي البريد قليلة جدا، ولذلك كان يطبخ طعامه بنفسه. ولكن في أعماله المنزلية تعاونه فتاة يتيمة من القرية، ويعطيها قليلا من الطعام عوضا عن هذه المعونة في العمل. وكان اسمها رتنا، وهي تناهز اثنتي عشرة أو ثلاث عشرة سنة من عمرها. ويبدو غير المحتمل بأنها تتزوج.

=== وأما قصصه القصيرة فيتجاوز عددها تسعين قصة قصيرة. وهي لا تقل عن القصص القصيرة للأديب الروائي "نجيب محفوظ" في مستواها ومضامينها ومعانيها الرفيعة السامية، وربما تفوقها بفلسفة طاغور الإنسانية وأفكاره السامية. وقصص طاغور تدور حول المجتمع البنغالي، وتبرز محسناته وسيئاته و تظهر مشاكله وتقدم حلولا لها بإسلوب عالمي. فأحسن طاغور في قصصه من تصوير المجتمع البنغالي، ومن وصف الطبيعة بما فيها الأنهار وأمواجها في موسم الفيضانات التي تجتاح بكل ما يحول سبيلها، مثلما تيار الوجدان من الفرح والحزن والسرور والغضب الذي إما يطير صاحبه في عالم الخيال أو يسقطه في العالم الأسفل سواء هذا التيار الوجداني متولد من الحب والجفاء أو من عيشة الحياة وتكبدها. ونشاهد نموذج ذلك في هذه القصة القصيرة التى تمتاز بوصف الطبيعة من نزول المطر والأنهار وأمواجها الطاغية وأمواج الفيضان وغيرها مع تصوير خوالج فتاة يتيمة فقيرة ومشاعرها القلبية بأدق معانيها.

ساعي البريد

عندما يرفع الدخان في الأمسية من زريبات البقرات في القرية، وتطلق صراصير الليل صريرتها في الأجمات وتجعلها أكثر مزعجة ومروعة جماعة من المغنين الثمِلين في قرية بعيدة الذين يغنون بصوت مرتفع ويقرعون على الطبول والصنج مما يحدث أصواتا مروعة إلى حدِّ أن شاعرا جالسا لوحده في صحن مظلم يرتعد لأقل حس متولد من الورقات المرتجفة والمبعثرة.

ففي مثل هذه الأمسية المروعة إن ساعي البريد يذهب إلى داخل كوخه، ويضيئ مصباحا ضئيلا في زاوية للغرفة، وينادي "رتنا" الفتاة اليتيمة. وكانت "رتنا" تنتظر لهذا النداء في باب الغرفة. ولكنها لا تجيئ فِي أول نداء. بَلْ إنها تُجِيْبُه بصيحة: ما الأمر ياسيدي! وماذا تريد؟ ثم يسأل ساعي البريد ماذا تصنعين؟ ذلك الحين تقول "رتنا" يجب عليَّ الآن أن أذهبَ إلى المطبخ وُأشعل نار الموقد فيه. ثم يقول ساعي البريد: أنْتِ تَسْتَطِيعِين أن تعملي أَعمالكِ المطبخِية بعد، قبل ذلك جهزِي لِيْ أركِيلتِي. وبالفور تجيئ في داخل الغرفة، وتجهز أركيلته من خلال نفخ في سلطانية الأركيلة مما تسبب إلى انتفاخ خديه وإصفرارهما. و آخذا الأركيلة منها يقول ساعي البريد بلهجة خشنة: قولي لِيْ "رتنا"، هل أنت تذكرين أمكِ؟ وإنها تريد أن تروي له عن أمها كثيرا من الأشياء التي تذكرها والتي لاتذكرها أَيضًا. كان أبوها يحبها أكثر من أمها. ولكنها لاتذكره إلا قليلا: وكانت تتذكر المساء أو المسائين الذي ترسخ في ذاكرتها. فتذكرت أن أباها كان يعود إلى البيت في المساء بعد التعب من الأعمال الشاقة كل اليوم. ولما كانت تتحدث مع ساعي البريد تتقرب منه حتى انتهت قربتها بالقعود على الفرش أمام قدميه.

وذات مرة ذكرت أخاها الأصغر قائلة: إن يوما من الأيام الغابرة، قد وقفا على طرف البركة خلال موسم المطر. ولعبا باصطياد السمك من خلال أعواد مقطوعة من الشجرات. كانت ذكرى لهذه الألعاب مترسخة أكثر في ذهنها بخلاف كثير من الواقعات الأخرى والأشياء المهمة. وتارة كانت تجري المحادثة بينهما إلى وقت متأخر في الليل حتى يغلب على ساعي البريد النعاس، فلا يريد أن يطبخ

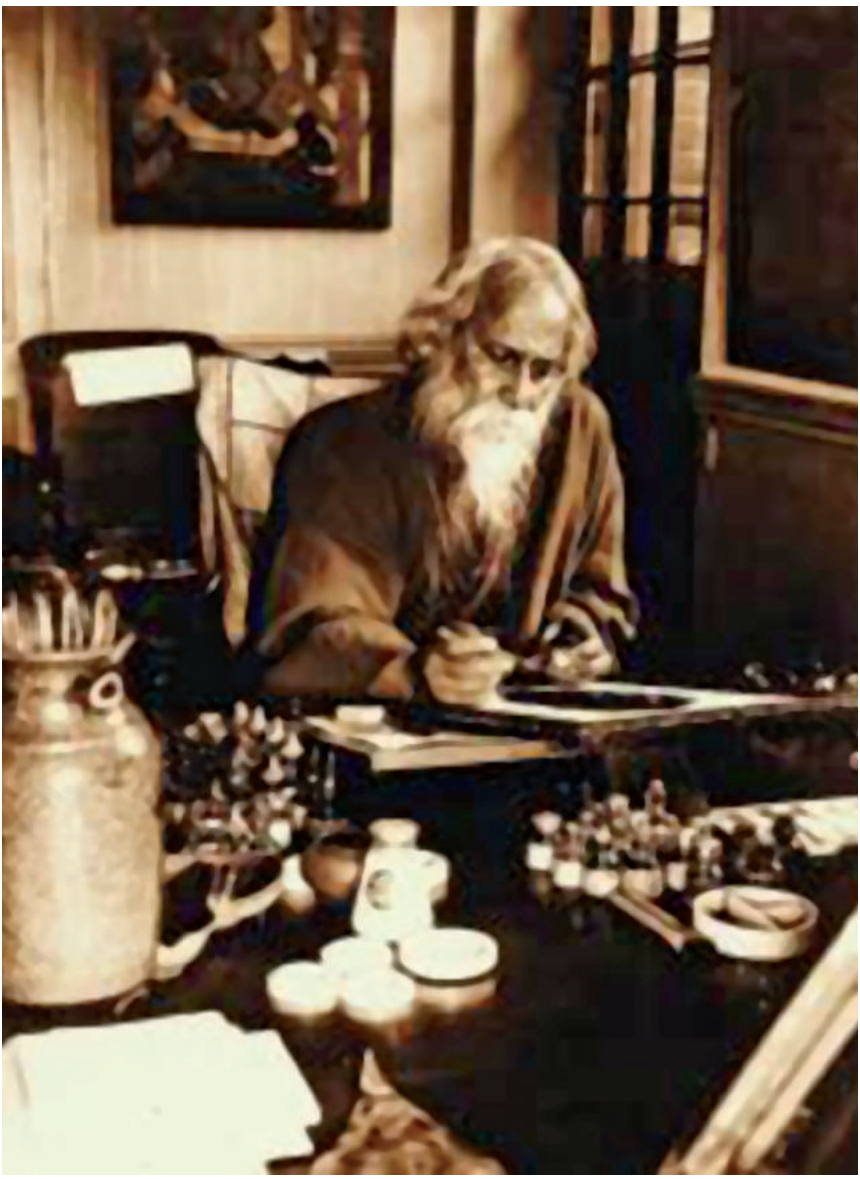

رابندر ناث طاغور.

الطعام. فيقول لـ"رتنا: إن بعض مرق الخضراوات المطبوخة يكون متروكا من الغداء. ثم تشعل "رتنا" بسرعة نار الموقد وتطبخ عديدا من الأرغفة "الشاباتي". وهكذا يقضيان مساءهما بسرور وفرح ويجعلان عشاءهما هنيئا مريئا.

جالسا على كرسي منخفض رسمي أحيانا يتحدث ساعي البريد عن أسرته المشتملة على أخيه الاصغر وأمه وأخته الكبرى، ولجميع هؤلاء الأفراد يتألم قلبه ويتحرق لهم لأنه كان وحيدا ومنفيا في هذا المكان. وكان يكشف لهذه الفتاة غير المتعلمة عن كل ما يجول في خاطره وعما لايستطيع أن يشرك فيه أحدا من موظفي الشركة. واستمرت سلسلة المحادثة حتى بدأت "رتنا" تعد أسرته كأسرتها – مع جميع أفرادها بمن فيهم أخوه وأخته وأمه – ثم أنها شكلت تصاويرهم الخيالية في ذهنها.

كان هذا ظهر من أجمل الأظهار في موسم المطر. ويجعله أكثر جميلا النسيم الساخن الذي يهب، والأعشاب الندية والورقات المبتلة التي تلمع بِشعاع الشمس، والأرض التي تتنفس نفحة ساخنة تمس الجلد وتنفخ فيه حرارة ممتعة. وفي وسط هذا الجو المبتهج أن هناك طائرا يغرد باستمرار متضرعا بالتماسات متكررة و مؤثرة إلى مجلس الطبيعة التي انعقد في هذا الظهر. وفي هذا الظهر المبتهج المنظر لم يكن لدى ساعي البريد عمل إلا عمل: وهو إمعان النظر إلى الورقات اللامعة المغسولة في الأمطار الغزيرة، المرتجعة، وإلى أشعة الشمس اللامعة ، وإلى السحب المنفصلة. فأمعن النظر إليها، وغلب عليه هذا الشعور والإحساس: " كيف كان لو امتلك صديقا حميما في هذا المكان. ثم بدا له أن الطائر يغني هذا الغناء بدقة مرة بعد مرة، "أن الإنسان يكون أكثر تقربا من القلب الإنساني عاطفيا من الأشياء الأخرى." وكما أدرك أن ظل الظهر والعزلة يحمل نفس المفهوم وحفيف الورقات تشير إلى نفس الفكرة أيضا. وإن بعض الناس لايثق ولا يتصور بأن ساعي البريد الأصغر المدفوع إليه الراتب القليل، المقيم في هذه القرية يمتلك بمثل هذه الأفكار العالية بشأن هدوء الظهر وجموده وكثافته وتعطله.

صاح ساعي البريد متنفسا الصعداء "رتنا". وكانت "رتنا" في تلك اللحظة مضطجعة تحت شجرة جوافة وتأكل الجوافات غير الناضجة. على صيحة سيدها قامت بسرعة لفورها واندفعت إليه.

نعم! ياسيدي: هل ناديتني، قالت بتلهف. ثم قال ساعي البريد: صممت على تعليمك القراءة والكتابة قليلا قليلا كل يوم. ثم أنه قام بتعليمها كل يوم في الظهر من تلك اللحظة. وبدأ بـ "الحركات" ولكن تقدم بسرعة إلى "الحروف الأبجدية" (البنجالية) ثم الي "حروف العطف".

قد أمطرت السماء بإستمرار خلال شهر "ساون" حتى فاضت الخنادق والحفرات والقنوات بماء المطر. وواصلت الضفادع تنق والمطر تقرقع على مدار الساعة. وصار المشي بالقدم غير ممكن عمليا. ولم يستطع احد أن يذهب إلى السوق إلا بالقارب. يوما من الأيام في نفس الشهر أمطرت السماء مطرا وابلا من الفجر. وذلك اليوم قد انتظرت تلميذة ساعي البريد لندائه المألوف جالسة على الباب لوقت طويل، ولكن لما فشلت من سماع نداءه المألوف دخلت سريعة في غرفته مع مجموعة كتبها. فرآت سيدها مظطجعا على فراشه. فبدأت ترجع على أعقابها ظنا أنه يستريح. ولكنها فجأة سمعته يناديها. استدرت إليه على الفور، وأسرعت إليه سائلة: ألا تنام! يا سيدي؟ أجاب ساعي البريد متألما: لست أنا بطيب، ولا أجد الراحة، أنظري إليَّ، وفحصي جبينتي.

شعر ساعي البريد بأنه في الحاجة إلى الراحة، كما كان المريض والبائس يشعربه ، في مثل هذا المكان المنعزل. واستمر المطر ينزل. إنه تذكر المساس على جبينه باليد الناعمة ذات الأساور الصدفية. وتمنى: لو كانت أمه أو أخته جالسة هناك بجواره وملطّفة ألم مرضه بعطف الأنوثة ونعومتها. ولم تبق أمنيته المتحرقة غير متحققة. فإن الفتاة "رتنا" لم تعد بنتا صغيرة الآن بل صارت شابة جميلة. ومنذ تلك اللحظة أنها لعبت دورا لأم، تستدعي الطبيب، وتعطيه الأدوية في الوقت،

وتسهر عليه طول الليل بجانب سريره ، وتطبخ له طعاما وتسأل منه أكثر من مائة مرة: هل أنت تشعر بشيء من الراحة؟

بعد أيام عديدة، نهض ساعي البريد من فراشه نحيلا وضعيفا. ثم تحدث بنفسه باللغة الصامتة: كفى ما كفى. وعقد العزم على أنه سيغادر من هذا المكان بأي حال. ثم أنه كتب إلى مقر مكتبه في كلكتا طلب النقل لكون المكان غير مناسب لصحته.

بعد الفراغ من تمريض ساعي البريد اتخذت "رتنا" مرة أخرة مكانها العادي خارج بابه منتظرة لنداءه. ولكن لم يجئ نداؤه لها كما كان يجيئ من قبل.

وربما كانت تختلس النظر إلى الداخل وتنظر إلى ساعي البريد جالسا على كرسيه المنخفض مذهولا أو مضطجعا على فراشه شارد الخيال. وبينما إنها تنتظر جالسة لندائه، وهو ينتظر بقلق لجواب طلبه للنقل. كانت تجلس خارج الباب وتكرر دروسها القديمة عدة مرات. كانت تخاف من هذه الفكرة: أن يطلبني فجأة يوماً ما تختلط الحروف الأبجدية بحروف العطف في ذهنها. وأخيرا بعد عدة اسابيع، جاء نداءه مرة ثانية في مساء. أسرعت "رتنا" بحرارة القلب إلى الغرفة. هل ناديتني ياسيدي؟ سألت "رتنا"

قال ساعي البريد: أنا أغادر غدا "رتنا"

أين ستذهب ياسيدي؟

أذهب إلى منزلي

متى ترجع سيادتك؟

لا أرجع مرة أخرى

ما سألته "رتنا" مزيدا من الأسئلة، لأن ساعي البريد بنفسه أخبرها أنه كان قدم طلبا للنقل. ولكن رُفِضَ طلبه: لذلك إنه استقال عن وظيفته. والآن هو يرجع إلى منزله. ثم ساد السكون في الغرفة ولم يتكلم أي منهما لعدة دقائق. إن المصباح خفق قليلا من خلال ثقب في سقف قشي متحطم. تقطر فيه مياه المطر باستمرار على

طبق ترابي. ثم خرجت "رتنا" ببطء من الغرفة وقصدت إلى المطبخ لتطبخ بضع أرغفة. قد طبختها بدون نشاطها العادي. فلا ريب فيه أن أفكارها قد جعلتها شاردة الخيال. وعندما أكل ساعي البريد وجبته العشائية. سألت فجأة: يا سيدي!هل أنت تستطيع أن تأخذني معك إلى بيتك؟: قال ساعي البريد ضاحكا: كيف يمكن لي أن أفعل هذا؟

وظن ساعي البريد ليس هو في حاجة إلى التقديم للفتاة سبب ذلك.

أحست "رتنا" طوال الليلة إما حالمة أو مستيقظة بأن كلمة ساعي البريد: "كيف يمكن لي أن أفعل هذا" تُدَوِّي في أذنيه".

ولما استيقظ ساعي البريد في الفجر، رأى الماء للحمام موضوعا في الخارج. لم تستطع "رتنا" استجماع جرأتها على أن تسأل منه عن وقت مغادرته. لذلك أتت بالماء للحمام من النهر متأخرا في الليل ظنا إنه يحتاج به في الصباح مبكرا. فأخذ الحمام وفقا لتقاليد "كلكتا". وفور الانتهاء من حمامه ناداها. دخلت "رتنا" في الغرفة بهدوء وألقت عليه نظرة بدون أن تنبس شفتاها بكلمة، مستعدة لإطاعة أوامره. ولكنه قال "رتنا" أنا سأقول للرجل الذي يحل محلي أنه سيعتني بك كما اعتنيت بكِ، فلا تقلقي بمجرد أنني أذهب من هذا المكان.

لا ريب فيه أن هذه الكلمة قد نطق بها ساعي البريد إشفاقا عليها ولكن من يستطيع أن يسبر غور المشاعر لمرأة؟ في الحقيقة أن رتنا" تجشمت عديدا من التوبيخات من قبل سيدها. ولكن هذه الكلمة المشفقة التي نطق بها ساعي البريد إشفاقا عليها، ثقلت عليها. فانفجرت العواطف في قلبها. وأجهشت في البكاء. وقالت: لا، لا، لا تقل أي شيء لأَي شخص، أنا لا أريد البقاء هنا مزيدا من الوقت. دهش ساعي البريد من هذا السلوك. إنه لم ير قط "رتنا" تفاعلت هكذا من قبل.

جاء ساعي البريد الجديد، فسلّم إليه عهدته. ثم أخد الاستعدادا للمغادرة. وقبل المغادرة أنه دعا "رتنا". وقال لها: ما ظلت قادرا على الدفع إليك شيئا منذ وصولي إلى هذا المكان. اليوم قبل أن أغادر، أنا أريد أن أعطيكِ شيئا يكفي لك

لعدة أيام مقبلة. وأخرج جميع راتبه الذي كان في جيبه إلا الأمول القليلة المطلوبة للسفر. ولكن "رتنا" انحنت إلى الأرض، وأمسكت بقدميه قائلة: أنا أتضرع إليك، وألتمس منك: لاتعطني فلوسا. أرجو منك العفو، لا يحتاج أحد إلى أن يقلق بشأني. ثم إنها إرتدت مسرعة وخرجت.

تنفس ساعي البريد المغادر الصعداء، وأخذ حقيبته السجادية، ووضع مظلته على كتفه، و اتجه ببطوء إلى قارب مع حمال يحمل على رأسه صندوقه الأبيض والأرزق المصنوع من القصدير.

وعندما بدأ القارب الذي كان راكبا على متنه يتحرك، وعندما بدأت موجات مياه الفيضان في النهر تموج، بدا لساعي البريد كأن الأرض تطفح بالدموع، وشعر بلوعة شديدة، وحز في نفسه الألم: لاح الوجه الحزين للفتاة القروية يتكلم عن حزن عميق عالمي غير ملفوظ. وتيقظت في قلبه رغبة شديدة بأن يرجع: ليت! لو لم يهجر تلك الفتاة اليتيمة التي هجرها العالم وحيدة. ولكن الريح بدأت تنفخ الشراع في ذلك الحين، وتيارات النهر الفائض تجري بعنف، حتى تركت القرية وراء ثم وراء، ولا يُري منها إلا محرق لجثث الأموات على الطرف. بعدما باعدت بينه وبين القرية تيارات النهر، فكر كفلسفي "أن هناك في الحياة كثيرا من الانفصالات وكثيرا من الأموات. وما الفائدة للرجوع وما النقطة للعودة؟ من يتعلق بمن في هذا العالم؟

ولكن "رتنا" لم يكن لديها مثل هذه الفلسفة لتسليتها. كل ما استطاعت أن تفعله كان أن تتجول حول مكتب البريد، باكية. قد تريث في قلبه أمل ضئيل أن صاحبها يمكن له أن يعود. كان هذا كافيا لرباطها بالمكان، ومنعها من الابتعاد منه. يأيها البائس: يأيها القلب الإنساني غير المفكر: الخطأ لا يبتعد،(يجلب على مرتكبه وخيمته) المنطق والعقل ليعملان ولو ببطء. نحن نتمسك باليدين الأمل الزائف، ونرفض الإيمان بالدلائل القاطعة ضده، ونعانقه بجميع قوانا. وفي النهاية هذا يفوت من أيدينا، ويبدأ يخترق وريدنا ويشرب دماء قلوبنا حتى نسترجع وعينا. ولكن سرعان ما نندفع إلى الوقوع من جديد في شرك الوهم.

THAQAFAT-UL-HIND		:	Statement of ownership and other particulars.

FORM IV
(See Rule 8)

1.	Place of Publication	:	Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi-110 002
2.	Periodicity of its Publication	:	Quarterly
3.	Printer's Name	:	C. Rajasekhar
	Whether citizen of India?	:	Yes
	Address	:	Director-General, Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi-110 002
4.	Publisher's Name	:	C. Rajasekhar
	Whether citizen of India?	:	Yes
	Address	:	Director-General, Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi-110 002
5.	Editor's Name	:	C. Rajasekhar
	Whether citizen of India?	:	Yes
	Address	:	Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi-110 002
6.	Name and address of individuals who own the newspaper	:	Director-General Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi-110 002

I, C. Rajasekhar, hereby declare that the particulars given above are true to the best of my knowledge and belief.

Sd/- C. Rajasekhar
Signature of Publisher

ICCR Headquarters

President	: 23378616, 23370698	Hindi Section	: 23379364
Director General	: 23378103, 23370471	Indian Cultural Centres	: 23379386
Deputy Director General (DA)	: 23370784, 23379315	Chairs of Indian Studies Abroad	: 23370233
Deputy Director General (NK)	: 23370228, 23378662	International Students Division-1	: 23370391
Director (JK)	: 23379249	International Students Division-II	: 23370234
Administration	: 23370413	Afghan Scholarships Division	: 23379371
Establishment (Despatch & Maintenance)	: 23370633	Library/Web Site/MM/AVR	: 23370249
Exhibitions	: 23379199	Outgoing Cultural Delegations/Empanelment	: 23370831
Finance & Accounts	: 23370227	Publications	: 23379930
Incoming Cultural Delegations	: 23378079	Presentation/Special Projects	: 23379386
Foreign Cultural Centres	: 23379309	Conferences & Seminars	: 23379463
Regional Offices	: 23370413	Distinguish Visitors Programme	: 23370633

Thaqafat UL Hind
(Arabic Quarterly)

Registered with the Registrar of Newspapers of India: Regd No. 14387/57

Indian Council for Cultural Relations
भारतीय सांस्कृतिक सम्बंध परिषद्